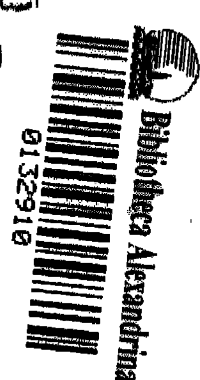
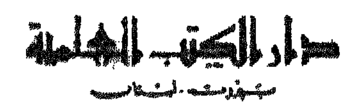
الأشاعة

لأشراط الساعة

تأليف

أستاذنا العالم العلامة المحقق والحبر البحر الفهامة
المدقق وحيد دهره وفريد عصره السيد
الشريف محمد بن رسول الحسيني
البرزنجي ثم المدني كان الله له







الإشاعة لأشراط الساعة

تأليف

أستاذنا العالم العلامة المحقق والحبر البحر الفهامة
المدقق وحيد دهره وفريد عصره السيد
الشريف محمد بن رسول الحسني
البرزنجي ثم المدني كان الله

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

احمد من أوضح منهاج الحق ونصب عليه فى كل شىء دليلا . ووعد وعد الصدق لمن اتخذه وكيلا ورضى به كفيلا . وجعل إبراهيم خليفة إنه كان أمه قانتا واتخذه خليلا وأمره ببناء بيت يقصده من كل فج عميق من استطاع إليه سبيلا . تطبيقا للصورة على المعنى وتنويها بالمجاز إلى الحقيقة وتمثيلا . هداه علما على طى بساط هذه النشأة وليبلو المؤمنين ويضل من يشاء تضليلا . وجعل بدعوته من ذريته محمدا ﷺ عبدا سيدا ونبيا رسولا . فهو دعوة أبيه إبراهيم كما أخبر عنه فى الصحيح أن دعاءه كان مقبولا . أحمده على أن أتانا منه رسول أمين بكتاب كريم وانه غفور رحيم حريص علينـــا بالمؤمنين رؤف رحيم وإنه لعلى خلق عظيم كما أخبر به العلى الحكيم وأمره باتباع ملة أبيه إبراهيم فأرسله بين يدى الساعة كالمسبحة والوسطى نذيرا وأخبر عن جميع الفتن والاشراط الكائنة قبلها فاسأل به خبيرا فبلغ وبالغ وحذر أمته الفتن عموما والدجال خصوصا تحذيرا . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ووارثيه وإخوانه وأحبابه وسلم تسليما كثيراً .

(أما بعد) فانى لما رأيت الحافظ جلال الدين أبا الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ذكر فى خطبة كتابه الذى ألفه فى بيان حال البرزخ المسمى بشرح الصدور بشرح حال الموتى فى القبور مانصه وأرجو إن كان فى الأجل فسحه أن أضم إليه كتابا إن شاء الله تعالى فى إشراط الساعة وآخر فى أحوال البعث والقيامة وصفة الجنة والنار على وجه الاستيعاب أيضا حقق الله ذلك بمنه وكرمه انتهى ووجدته قد ألف فى أحوال البعث ومابعده كتابا وسماه البدور السافرة فى أمور الآخرة ولم أجد له كتابا فى اشراط الساعة إما لعدم تأليفه أولا نعدامه أو لغير ذلك أحببت أن أؤلف فى اشراط الساعة كتابا مستوعبا لها كما أراد الحافظ السيوطى فيكون برزخا بين كتابيه شرح الصدور والبدور السافرة أو مقدمة لهما وتوكلت فى ذلك على الله تعالى مستعينا به فأقول قد قال تعالى «اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون» وقال تعالى «وما يدريك لعل الساعة قريب» وقال تعالى «فهل ينظرون إلا الساعة أن تاتيهم بغتة وهم لايشعرون» وقال

تعالى «فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها» إلى غير ذلك من الآيات وأما الأحاديث فلا تكاد تنحصر كما سيأتى بعضها إن شاء الله تعالى ولما كانت الدنيا لم تخلق للبقاء ولم تكن دار إقامة وإنما هى منزل من منازل الآخرة جعلت للتزود منها إلى الآخرة والتهيء للعرض على الله وبقائه وقد آذنت بالانصرام وولت لذا كان حقا على كل عالم أن يشيع أشراطها ويبث الأحاديث والأخبار الواردة فيها بين الانام ويسردها مرة بعد أخرى على العوام فعسى أن ينتهوا عن بعض الذنوب ويلين منهم بعض القلوب وينتبهوا من سنة الغفلة ويغتنموا المهلة قبل الوهلة فدعانى ذلك إلى أن أبسط فيها القول بعض البسط ولو أدى إلى التكرار لاكن جمع فيها أوراقا على سبيل الاختصار تبصرة لأهل الاغترار وتذكرة لأولى الأبصار ووسيلة إلى رضا الجبار وذريعة إلى دار القرار والله أسأل أن يخلص نيتى ويحسن طويتى فانما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى وأن ينفع به عامة المؤمنين وأن يغفر لى ولآبائى ولاخوانى طينا ودينا أجمعين آمين وسميته (الإشاعة لاشراط الساعة) وأرجو من النبى الشفاعة مع قلة البضاعة فأقول وفى ميدان نعمه أجول لابد من مقدمة : هى لما كان أمر الساعة شديدا وهولها مزيدا وأمدها بعيدا فإن الله فى ذلك اليوم يحكم بين الأولين والآخرين ويقضى للمؤمنين على الكافرين ويميز بين المخلصين والمنافقين كما قال تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وقال «والساعة أدهى وأمر» وقال تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان وأنها لاتجيء إلا بغتة كما قال تعالى وقد استأثر بعلمها ولم يعلمها أحد من خلقه وعلمها النبى صلى الله عليه وسلم ونهاه عن الاخبار بها تهويلا لشأنها وتعظيما لأمرها كان الاهتمام بشأنها أكثر من غيرها وضيرها أكبر من خيرها فأكثر النبى صلى الله عليه وسلم من بيان أشراطها وأماراتها ومابين يديها من الفتن القريبة والبعيدة ليكون أهل كل قرن على حذر منها متهيئين لها بالأعمال الصالحات غير منهمكين فى الشهوات واللذات فانقسمت الامارات إلى ثلاثة أقسام قسم ظهر وانقضى وهى الامارات البعيدة وقسم ظهر ولم ينقض بل لايزال يتزايد ويتكامل حتى إذا بلغ الغاية ظهر القسم الثالث وهى الامارات القريبة الكبيرة التى تعقبها الساعة وإنها تتتابع كنظام خرز انقطع سلكها فانذكر كل قسم فى باب على حدته وهذا ترتيب لم أره لغيرى ولعله أقرب إلى الضبط وأنفع للعوام إن شاء الله تعالى

﴿ تنبيه ﴾ ماخذ مانذكره فى كتابنا هذا من الاحاديث غالبا كتب الحافظين الامامين الحافظ ابن حجر العسقلانى والحافظ جلال الدين السيوطى كشرح البخارى المسمى فتح البارى للأول وكالدر المنثور والخصائص الكبرى وجمع الجوامع والعرف الوردى

والكشف الثانى وكتب الإمام الشريف نور الدين على السمهودى كتاريخ المدينة وجواهر العقدين وكتب المحقق على الملتق وغير ذلك فليعلم ذلك لئلا يحتاج إلى إعادة ذكرها كل مرة وقليلا كتب غيرهم كتخريج المصابيح للحافظ المناوى والصناعة للحافظ السخاوى وماسوى ذلك فساصرح بالنقل عنه وإنما قدمت هذه المقدمة فرارا من التحلى بحلية السرق وتحاشيا من تسويد وجه الورق وليمكن الناظر فيه مراجعة المآخذ.

(تنبيه آخر) المقصود الاصلى من تأليف هذا حفظ بعض الأحاديث النبوية على المسلمين رجاء شفاعته صلى الله عليه وسلم فلذا ترانا إذا سقنا الروايات مساقا واحدا لفهم العامة نكر عليه بسرد أحاديثها فقد يظن من لاخبرة له أنه تكرار وقد نوردها في موضعين لمناسبتها لكل منهما فليعلم ذلك لئلا يساء بالمؤلف الظن وبالله التوفيق .

الباب الأول

فى الأمارات البعيدة التى ظهرت وانقرضت وهى كثيرة فمنها موت النبى صلى الله عليه وسلم وهو من أعظم المصائب فى الدين بل أعظمها ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبته بى فانها أعظم المصائب رواه ابن سعد عن عطاء ابن أبى رباح وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال من أصيب منكم بمصيبة من بعدى فليتعز بمصيبته بى عن مصيبته فانه لن يصاب أحد من أمتى من بعدى بمثل مصيبته بى رواه الطبرانى فى الأوسط وعن أم سلمة رضى الله عنها أنها ذكرت وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يالها من مصيبة ماأصبنا بعدها من مصيبة إلا هانت إذا ذكرنا مصيبتنا به صلى الله عليه وسلم رواه البيهقى وهو أول فتح باب الاختلاف حيث قالوا منا أمير ومنكم أمير عن عوف بن مالك رفعه قال أعدد ستا بين يدى الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس الحديث وروى الطبرانى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعبد الله بن عمر وست خصال كائنة فيكم قبض نبيكم الحديث وروى نعيم عن حذيفة رضى الله عنه حديثا طويلا منه فقال هيهات هيهات والذى بعثنى بالحق ليزيدونها ياحذيفة خصالا ستا أولهن موتى قلنا إنا لله وإنا إليه راجعون الحديث وفى الصحيح مانفضنا أيدينا من تراب قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا ومنها قتل أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه فى صحيح البخارى أن عمر سأل حذيفة رضى الله عنهما عن الفتنة التى تموج كموج البحر فقال ياأمير المؤمنين

لابأس عليك منها إن بينك وبينها بابا مغلقا قال أيفتح الباب أو يكسر قال لا بل يكسر قال ذاك أحرى أن لا يغلق وفيه أن الباب هو عمر وروى الطبرانى بسند رجاله ثقات أن أبا ذر لقى عمر رضى الله عنهما فأخذ عمر بيده فغمزها فقال له أبو ذر أرسل يدى يا قفل الفتنة الحديث وفيه أن أباذر قال لا تصيبكم فتنة مادام فيكم هذا وأشار إلى عمر وروى البزار من حديث قدامة بن مظعون عن أخيه عثمان أنه قال لعمر ياغلق الفتنة فسأله عن ذلك أى فسأل عمر عثمان بن مظعون رضى الله عنهما عن سبب تسميته بذلك فقال مررت أنت يوما ونحن جلوس مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال هذا غلق الفتنة لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ماعاش وروى الخطيب فى الرواة عن مالك أن عمر دخل على امرأته أم كلثوم بنت على فوجدها تبكى فقال مايبكيك قالت هذا اليهودى لكعب الاحبار يقول انك باب من أبواب جهنم فقال عمر ماشاء الله ثم خرج فأرسل إلى كعب فجاءه فسأله عن قوله فقال ياأمير المؤمنين والذى نفسى بيده لاينسلخ ذو الحجة حتى تدخل الجنة فقال ماهذا مرة فى الجنة ومرة فى النار فقال إنا لنجدك فى كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقتحموا فيها فإذا مت اقتحموا وفى صحيح البخارى أن أبا وائل قال قلنا لحذيفة أعلم عمر من الباب قال نعم كما يعلم أن دون غد الليلة إنى حدثته حديثا ليس بالأغاليط قال فهبنا أن نسأله وأمرنا مسروقا فسأله فقال من الباب قال عمر وحاصل معنى هذه الأحاديث أنه صلى الله عليه وسلم شبه مدة حياة عمر بحصن منيع فيه أهل الإسلام وشبه شخص عمر بباب ذلك الحصن وفهم ذلك عمر وسأل حذيفة أيموت أم يقتل فأخبره أنه يقتل فقال ذاك أحرى أن لا يغلق فان الباب إذا كان موجودا يمكن غلقه بعد الفتح بخلاف ما إذا انكسر وإنما كان هو الباب دون عثمان لأن وجود الباب يمنع من دخول العدو للحصن وإن الفتنة لم تظهر فى حياة عمر رضى الله عنه لأن وجوده كان بابا مانعا من ظهورها وإنما ظهرت فى حياة عثمان وقتل هو فيها فلو كان هو الباب المانع منها لما ظهرت الفتن فى حياته فاندفع ما استشكله الزركشى من أن الواقع فى الوجود يشهد أن الأولى بذلك عثمان لأن قتله هو سبب افتراق الكلمة ووجه الاندفاع وسببه كما رواه ابن سعد عن ابن شهاب أن عمر كان لا يأذن لسبى قد احتلم فى دخول المدينة حتى كتب المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاما عنده صنعا ويستأذنه أن يدخله المدينة يقول إن عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس حداد نقاش نجار فكتب إليه عمر فأذن له أن يرسل به إلى المدينة وكان كافرا مجوسيا يدعى أبا لؤلؤة وكان خبيثا إذا نظر إلى السبى الصغار يمسح رؤسهم ويبكى ويقول إن العرب أكلت كبدى وكان قد ضرب عليه المغيرة

مائة درهم فى كل شهر وفى رواية مائة وعشرين درهما وفى رواية أربعة دراهم كل يوم فجاء إلى عمر يشتكى إليه شدة الخراج فقال له عمر ماذا تحسن من العمل فذكر له أعمالا كثيرة فقال له عمر ماخراجك بكثير فى كفة عملك فانصرف ساخطا يتذمر وفى رواية قال وما تعمل قال الارحاء وسكت عن سائر أعماله قال فى كم تعمل الرحا فأخبره قال وبكم تبيعها فأخبره فقال لقد كلفك يسيرا انطلق فاعط مولاك ماسألك فلما ولى قال عمر ألا تجعل لنا رحى وفى رواية قال له ألم أحدث أنك تقول لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح فالتفت العبد ساخطاً على عمر ومع عمر رهط فقال لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها فلما ولى العبد أقبل عمر على الرهط الذى معه فقال أوعدنى العبد آنفا وفى رواية قال بلى أجعل لك رحى يتحدث بها أهل الامصار ففزع عمر من كلمته وعلى كرم الله وجهه معه فقال ماتراه أراد قال أوعدك ياأمير المؤمنين قال عمر يكفينا الله قد علمت أنه يريد بكلمته غدرا فخرج عمر إلى الحج فلما صدر اضطجع بالمحصب وجعل رداءه تحت رأسه فنظر إلى القمر فأعجبه استواؤه وحسنه فقال اللهم إن رعيتى قد كثرت وانتشرت فاقبضنى إليك غير عاجز ولا مضيع فصدر إلى المدينة ورأى عمر رضى الله عنه فى المنام أن ديكا أحمر نقره نقرتين أو ثلاثا بين السرة والثنة فقالت أسماء بنت عميس أم عبد الله بن جعفر قولوا له فليوص فانه يقتله رجل من الأعاجم وكانت تعبر الرؤيا وروى أبو يعلى وابن حبان والحاكم والبيهقى عن أبى رافع قالوا كان أبو لؤلؤة عبداً للمغيرة بن شعبة وكان يصنع الرحى وكان المغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم فلقى أبو لؤلؤة عمر فقال ياأمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل على غلتى فكلمه يخفف عنى قال اتق الله واحسن إلى مولاك ومن نية عمر أن يلقى المغيرة فيكلمه فيخفف عنه وفى رواية أنه كلمه فى أمره ووصى به خيرا وهو لا يدرى فغضب العبد وقال وسع الناس كلهم عدله غيرى فأضمر على قتله فاصطنع خنجرا له رأسان وشحذه وسمه ثم أتى به إلى الهرمزان فقال كيف ترى هذا قال أرى أنك لاتضرب به أحدا إلا قتلته فتحين أبو لؤلؤة فجاء فى صلاة الغداة فخرج عمر بدرته يوقظ الناس لصلاة الصبح وكان عمر إذا أقيمت الصلاة يتكلم فيقول أقيموا صفوفكم فذهب يقول كما كان يقول فقام أبو لؤلؤة وراء عمر فلما كبر طعنه ثلاث طعنات طعنة فى كتفه وأخرى فى خاصرته وأخرى تحت سرته بين الثنة والسرة وقد خرقت الصفاق وهى التى قتلته وطعن ثلاثة عشر رجلا فهلك منهم سبعة وتصايح الناس فرمى رجل على رأسه برنس ثم اضطبعه إليه وفى رواية فاشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذى رأسين نصابه فى

وسطه فكمن فى زاوية البيت فى غلس السحر فلم يزل هنالك حتى خرج عمر يوقظ الناس
لصلاة الصبح وكان عمر يفعل ذلك فلما دنا عمر منه وثب عليه فطعنه ثلاث طعنات إحداهن
تحت السرة ثم أعاز أيضا على أهل المسجد فطعن من يليه حتى طعن سوى عمر أحد
عشر رجلا ثم انتحر بخنجره وفى رواية فلما رأى أنه أحيط به قتل نفسه فقال عمر
قولوا لعبد الرحمن بن عوف فليصل بالناس ثم غلب عمر النزف حتى غشى عليه فلم يزل
فى غشية واحدة حتى أسفر الصبح فلما أسفر أفاق فنظر فى وجوه الناس فقال أصلى
الناس قالوا نعم فقال لا إسلام لمن ترك الصلاة ثم دعا بوضوء فتوضأ ثم صلى ثم قال
من قتلنى قالوا أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال الحمد لله الذى لم يجعل قاتلى يحاجنى
عند الله بسجدة سجدها له قط ما كانت العرب لتقتلنى أنا أحب إليها من ذلك ثم دعا
بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فقال بعضهم نبيذ وقال بعضهم بل دم فدعا بلبن فخرج
من جرحه فلما علم أنه ميت جعل الأمر شورى بين ستة عثمان وعلى وطلحة والزبير
وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وجعل عبد الله بن عمر معهم مشيرا
وليس هو منهم وأجلهم ثلاثا وأمر صهيبا أن يصلى بالناس ثم قال ادعوا لى عليا
وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعدا فوصاهم فلما خرجوا من عنده قال
إن ولوها الأجلح يعنى عليا سلك بهم الطريق الأقوم فقال له ابن عمر
فما يمنعك يا أمير المؤمنين قال أكره أن أتحملها حيا وميتا رواه ابن سعد
والحارث وأبو نعيم فى الحلية واللالكائى فى السنة عن أبى مطر قال سمعت عليا يقول
دخلت على عمر بن الخطاب حين وجاء أبو لؤلؤة وهو يبكى فقلت ما يبكيك يا أمير
المؤمنين قال أبكانى خبر السماء أيذهب بى إلى الجنة أم إلى النار فقلت له أبشر يا أمير
المؤمنين فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول ما لا أحصيه سيدا كهول أهل الجنة أبو بكر
وعمر وأنعما فقال أشاهد أنت لى يا على بالجنة قلت نعم قال وأنت يا حسن فاشهد على
أبيك رسول الله إن عمر من أهل الجنة رواه ابن عساكر وعن أبى أوفى بن حكيم قال
لما كان اليوم الذى مات فيه عمر قلت والله لآتين باب على بن أبى طالب فأتيت باب
على فإذا الناس يرقبونه فما لبث أن خرج علينا فاطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال لله در
باكية عمر قالت واعمراه قوم الأود وأبد العمد واعمراه مات نقى الثوب بريا من العيب
واعمراه ذهب بالسنة وأبقى الفتنة صدقت أصاب والله ابن الخطاب خيرها ونجا من
شرها وفى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال انى لا اقف فى قوم تدعو
الله لعمر بن الخطاب وقد وضع على سريره إذا رجل من خلفى وضع مرفقيه على

منكبي يقول رحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأني كثيراً ماكنت أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول كنت وأبو بكر وعمر وفعلت وأبو بكر وعمر وانطلقت وابو بكر وعمر وإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما فالتفت فاذا على بن أبي طالب وفي لفظ له عن ابن أبي مليكة أنه سمع ابن عباس يقول وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم فلم يرعني إلا رجل أخذ منكبي فإذا على بن أبي طالب فترحم على عمر وقال ماخلفت أحدا أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وحسبت قال إني كنت أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر (فائدة) في شرح البخاري للقسطلاني إن الشمس كسفت يوم مات عمر وأن الأرض أظلمت فجعل الصبي يقول لأمه أقامت القيامة فتقول لا يابني ولكن قتل عمر وأن الجن ناحت على عمر قبل أن يموت بثلاث فقالت .

أبعد قتيل بالمدينة أظلمت ... له الأرض تهتز العضاه باسوق
جزى الله خيرا من إمام وباركت ... يد الله في ذاك الأديم الممزق
فمن يسعى أو يركب جناحي نعامة ... ليدرك ماقدمت بالأمس يسبق
قضيت أمورا ثم غادرت بعدها ... بوائق في اكامها لم تفتق
وما كنت أخشى أن يكون حمامه ... بكف سبنتى أزرق العين مطرق

(تنبيه) العضاه بكسر العين المهملة والضاد المعجمة جمع عضهة كعنبة وعضه كعنب وهو كالعضاهة بالكسر أعظم الشجر أو الخمط أو كل ذات شوك أو ماعظم منها وطال وأسوق جمع ساق همزت واوه لتحتمل الضمة كذا في القاموس يعني أبعد قتل عمر تهتز الأشجار على سوقها والبوائق جمع بائقه وهي الداهية والاكام جمع كم بكسر الكاف وقد يضم غطاء الزهر والورد قبل أن يتفتق يعني تركت دواهي وفتنا مستورة في أغطيتها لم تظهر في حياتك وإنما تظهر بعدك وأخشى بمعنى أظن والحمام بكسر الحاء المهملة الموت يعني ماكنت أظن أن موته يكون بكف سبنتى وسبنتي وسبدني بالتاء والدال وزن فعنلى النمر والمطرق المغضب وارجع إلى بقية حديث البخاري قال ابن عباس فلما قبض عمر خرجنا به فانطلقنا نمشي يعني إلى حجرة عائشة فسلم عبد الله بن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب قالت أدخلوه فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط يعني أهل الشورى فقال عبدالرحمن اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم فقال الزبير قدجعلت أمري إلى علي وقال

طلحة قد جعلت أمرى إلى عثمان وقال سعد قد جعلت أمرى إلى عبد الرحمن فقال عبد الرحمن أيكم يبرأ من هذا الأمر فيجعل اليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم فى نفسه فأسكت الشيخان يعنى عليا وعثمان فقال عبد الرحمن أفتجعلونه إلى والله على أن لا آلو عن أفضلكم قالا نعم فأخذ بيد أحدهما يعنى عليا فقال لك من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم فى الإسلام ما قد علمت والله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن قال نعم ثم خلا بالآخر فقال له ذلك فلما أخذ الميثاق قال ارفع يدك ياعثمان فبايعه وبايعه على ثم ولج أهل الدار فبايعوه زاد الطبرانى فى روايته أن عبد الرحمن دار تلك الليلة كلها على الصحابة ومن وافى المدينة من أشراف الناس لا يخلو برجل منهم إلا أمره بعثمان فقال ياعلى إنى سألت الناس كلهم فما رأيتهم يعدلون بعثمان .

(تنبيه) علم من هذه الاحاديث أن عمر كان أحب الناس إلى على وأن عليا كان أحب الناس إلى عمر كما يدل عليه قوله ان ولوها الأجلح الحديث وانه إنما لم يوله الخلافة مع إخباره بأولويته مخافة أن يصدر من الخليفة أمر فيكون هو المسؤل عنه لعلمه أن الفتن تقع بعده ولهذا قال لا أتحملها حيا وميتا فى جواب عبد الله بن عمر فما يمنعك أن تولى عليا وظهر بهذا كذب الرافضة وافتراؤهم ان عليا واطأ أبا لؤلؤة فى قتل عمر وأنه إنما قتله عن أمر على وان عمر إنما جعل الخلافة شورى بين ستة ليصرفها عن على وأن عبد الرحمن بن عوف باطن عثمان على ذلك إلى غير ذلك من الزور والبهتان فقاتلهم الله أنى يؤفكون وقاتلهم الله بما يفترون فإنا لله وإنا إليه راجعون ومنها قتل أمير المؤمنين وسيد المخذولين عثمان بن عفان رضى الله عنه . عن الزبير رضى الله عنه أنه قال قتل النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح رجلا من قريش صبرا ثم قال لا يقتل قرشى بعد هذا اليوم صبرا إلا رجل قتل عثمان بن عفان فاقتلوه فإلا تفعلوا تقتلوا قتل الشاه رواه البزار والطبرانى وعن أبى هريرة أنه قال وعثمان محصور سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . تكون فتنة واختلاف قلنا فما تأمرنا يارسول الله قال عليكم بالأمير وأصحابه وأشار إلى عثمان رواه الحاكم وصححه البيهقى وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ دعا عثمان فجعل يسر إليه ولون عثمان يتغير فلما كان يوم الدار قلنا ألا تقاتل قال لا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى أمرا فأنا صابر عليه رواه ابن ماجه والحاكم وصححه البيهقى وأبو نعيم وعن عبد الله بن حوالة

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تهجمون على رجل معتجر ببردة يبايع الناس من أهل الجنة فهجمت على عثمان وهو معتجر ببردة حبرة يبايع رواه الحاكم وصححه وعن كعب بن مرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة فقربها فمر رجل مقنع فى ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى فقمت اليه فاذا هو عثمان رضى الله عنه وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان ان الله مقمصك قيصا أى موليك الخلافة فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ياعثمان انك تلى الخلافة من بعدى وسيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها وصم فى ذلك اليوم تفطر عندى رواه ابن عدى وابن عساكر وعن حذيفة رضى الله عنه قال أول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال زاد ابن عساكر فى روايته والذى نفسى بيده ما من رجل فى قلبه مثقال حبة من قتل عثمان إلا تبع الدجال ان ادركه وان لم يدركه آمن به فى قبره وسبب قتله بالاختصار أنهم انتقدوا لبعض الامور منها أنه ولى محمد بن أبى بكر مصر فلما كان عليه فى بعض الطريق اذا بغلام عثمان على ناقته متوجها نحو مصر فأتوا به فسألوه عن الخبر فلم يخبرهم ففتشوه فلقوا معه كتابا الى العامل بمصر يأمره فيه بقتله فرجع الى المدينة فاجتمع عليه أربعة آلاف من أوباش مصر ورئيسهم ابن عديس وابن تميم وغيرهما وسالوه أى عثمان عن الكتاب والغلام فقال لاعلم لى به فقالوا ان هذا فعل مروان وعرفوا خطه وقالوا فادفعه إلينا فلم يفعل فأرادوه على أن يعزل نفسه فلم يفعل امتثالا للحديث المار إن الله مقمصك قيصا وكانوا لما هجموا المدينة كان عثمان يخرج ويصلى بالناس وهم يصلون خلفه شهراً ثم خرج فى آخر جمعة خرج فيها فحصبوه حتى وقع عن المنبر ولم يقدر أن يصلى بهم فصلى بهم يومئذ أبو أمامة سهل بن حنيف فمنعوه وكان يصلى ابن عديس تارة وكنانة ابن بشر أخرى فبقوا عن ذلك عشرة أيام وكان طلحة يصلى بهم وأكثر ماكان فصلى بهم على رضى الله عنه وهو الذى صلى بهم العيد فحاصروه قيل عشرة أيام وقيل أربعين يوما ويمكن الجمع بأن ثلاثين يوما كان يخرج للصلاة وعشرة شددوا عليه الحصار ومنعوه من الخروج للصلاة فجاءت الانصار إلى الباب وقالوا ياأمير المؤمنين إن شئت كنا أنصار الله مرتين فقال لاحاجة لى فى ذلك كفوا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى عهدا وأنا صائر إليه وجاء على كرم الله وجهه فى جماعة من بنى هاشم يريد نصره فقال كل من لى عهد فى ذمته يكف عن القتال فأخذ على عمامته ورمى بها فى صحن داره وقال ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لايهدى كيد الخائنين

ومنعوه الماء العذب فأرسل على الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر فى فئة من بنى
هاشم بثلاث قرب من الماء فحالوا دونهم فحملوا عليهم حتى جرح الحسن أو الحسين
ابن على وسال الدم على وجهه وأوصلوه الماء فلما رأوا ذلك خافوا بنى هاشم وتركوا
الباب وتقبوا البيت من ظهره وكان عنده فى الدار عبيده الكثيرون فأرادوا أن يمنعوا
عنه فقال من أغمد سيفه فهو حر ومنعهم من ذلك وكان ممن دخل عليه الدار محمد بن
أبى بكر فذكر له بعض مناقبه فى الإسلام ويقول أنشدك الله ألم تعلم كذا ألم تعلم
كذا وكل ذلك يقول محمد نعم ثم قال له لو رأى أبو بكر مكانك هذا منى لساءه ذلك
فخرج محمد ودخل عليه جماعة فقتلوه فى أواسط أيام التشريق والمصحف بين يديه
سنة خمس وثلاثين من الهجرة عن ثمان وثمانين سنة من العمر وقيل أكثر وقيل أقل
ورأى فى ليلة يوم قتل فيه النبى صلى الله عليه وسلم قال له ياعثمان أفطر عندنا فأصبح
صائما وقتل وهو صائم روى ابن منيع فى مسنده من طريق النعمان بن بشير عن نائلة
بنت الفرافصة امرأة عثمان قالت لما حصر عثمان ظل صائما فلما كان عند الإفطار سألهم
الماء العذب فنعوه فبات فلما كان فى السحر قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اطلع على من هذا السقف ومعه دلو من ماء فقال اشرب ياعثمان فشربت حتى
رويت ثم قال ازدد فشربت حتى تملأت وروى الحارث بن أبى أسامة فى مسنده
عن مهاجر بن حبيب قال بعث عثمان إلى عبد الله بن سلام وهو محصور فقال له ارفع
رأسك ترى هذه الكوة فان رسول الله ﷺ أشرف منها هذه الليلة فقال ياعثمان
أحصروك قلت نعم فأدلى دلوا فشربت منه فانى أجد برده على كبدى ثم قال لى إن شئت
دعوت الله فينصرك عليهم وإن شئت أفطرت عندنا فاخترت الفطر عنده فقتل فى يومه وفى
تنوير الحلك للسيوطى معزوا لابن باطيش فى كتاب مزيل الشبهات عن عبدالله بن سلام
أتيت عثمان وهو محصور فقال مرحبا ياأخى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه
الخوخة فقال ياعثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم فأدلى فيه ماء
فشربت حتى رويت وحتى أنى لأجد برده بين ثدنى وبين كتفى فقال إن شئت نصرت
عليهم وإن شئت أفطرت عندنا فاخترت أن أفطر عنده فقتل ذلك اليوم وعن عدى
ابن حاتم رضى الله عنه قال سمعت صوتا يوم قتل عثمان أبشر ياابن عفان بروح وريحان
أبشر يابن عفان برب غير غضبان أبشر يابن عفان بغفران ورضوان فالتفت فلم أر
أحداً رواه أبونعيم وروى الطبرانى وأبو نعيم عن سهل بن حبيش قال دفنا عثمان
ليلا فغشينا سواد من خلفنا فهبناهم حتى كدنا أن نفترق فنادى مناد لاروع عليكم

اثبتوا فإنا جئنا للشهده معكم فكان يقول هم والله الملائكة وروى أبو نعيم عن عروة قال مكث عثمان فى حش كوكب ثلاثا لا يدفنوه حتى هتف بهم هاتف ادفنوه ولا تصلوا عليه فإن الله قد صلى عليه وكان الذين خرجوا عليه عبد الرحمن بن عديس البلوى وكنانة بن بشر أحد رؤس الخوارج وآخرون ساروا بأهل مصر واجتمع عليهم خلق من أوباش الناس وقتل عبد الرحمن هذا وأصحابه بعد عام أو عامين بجبل لبنان وقد روى البيهقى وأبو نعيم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يخرج أناس يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقتلون فى جبل لبنان أورده السيوطى فى الخصائص وروى أ ونعيم عن عثمان بن مرة عن أمه قالت سمعت الجن تنوح على عثمان فوق مسجد رسول الله ﷺ ثلاث ليال فكان مما قالوا

ليلة الحصبة إذ يرمون بالصخر الصلاب
ثم جاءوا بكرة يبغون صقرا كالشهاب
زينهم فى الحى والـ مجلس فكاك الرقاب

وكان على حين قتل فى أرض له فجاءه الخبر فدهش من شدة ما سمع فجاء ولطم الحسن وضرب صدر الحسين وسب عبد الله بن جعفر وابن الزبير وقال أيقتل عثمان وأنتم أحياء فاعتذروا بأنهم ماعلموا وصح أنه أشرف من كوة فقال لعلى رضى الله عنه يا أبا الحسن ماهذا الذى ركب متنى فقال اصبر يا أبا عبدالله فوالله ماغبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كنا على أحد فتحرك الجبل ونحن عليه فقال أثبت أحد فإنه ليس عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد وايم الله لتقتلن ولأقتلن معك أى بعدك وليقتلن طلحة والزبير وصح أنه استشهد جماعة من الصحابة منهم على وطلحة والزبير على أنه اشترى الجنة من النبى صلى الله عليه وسلم مرات فشهدوا له فقال الخارجون عليه صدقوا ولكنك غيرت فقال ويلكم كيف يغير من هذا حاله ثم ذكر أنهم سيقولون ذلك على غيره أيضا وكان كذلك فإنهم قالوا فى على حين خرجت عليه الخوارج فاستشهد الصحابة فى خصوصياته فشهدوا له فقالوا صدقوا ولكنك غيرت . ومنها وقعة الجمل روى الحاكم عن على وطلحة رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للزبير أتحب عليا أما إنك ستخرج عليه وتقاتله وأنت له ظالم وروى هو وأحمد عن عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال لها كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب حوأب وروى ابن أبى شيبة والبزار بسند رجاله ثقات عن ابن عباس والحاكم من حديث قيس بن أبى حازم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسائه

أيتكن صاحبة الجمل الأدبب تسير أو تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيرة وتنجو بعدما كادت

﴿ تنبيهان ﴾ قال الدميرى فى حياة الحيوان قال ابن دحية والعجب من ابن العربى كيف أنكر الحديث فى كتاب العواصم والقواصم له وذكر أنه لايوجد أصلا وهو أشهر من فلق الصبح (الثانى) الأدبب بهمزة مفتوحة ودال مهملة ساكنة وموحدتين الأولى مفتوحة قال فى القاموس الأدب الجمل الكثير الشعر وبإظهارها التضعيف جاء فى الحديث صاحبة الجمل الأدبب اه قال الطائى فى شرح التسهيل فك الإدغام على غير القياس لمناسبة الحوأب انتهى بمعناه وروى أحمد والطبرانى عن أبى رافع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى سيكون بينك وبين عائشة أمر قال فأنا أشقاهما يارسول الله فقال لا ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها وروى نعيم بن حماد فى الفتن بسند صحيح عن طاوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسائه أيتكن تنبحها كذا وكذا فضحكت عائشة متعجبة فقال انظرى لاتكونى أنت يا حميراء وعن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت ذكر النبى صلى الله عليه وسلم خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة فقال أنظرى ياحميراء أن لاتكونى أنت ثم التفت إلى على فقال إن وليت من أمرها شيئا فارفق بها رواه الحاكم وصححه البيهقى وعن حذيفة أنه قال لو حدثتكم أن بعض أمهات المؤمنين تغزوكم فى كتيبة تضربكم بالسيف ماصدقتمونى قالوا سبحان الله ومن يصدق بهذا قال أتتكم الحمراء فى كتيبة تسوق بها أعلاجها رواه الحاكم وصححه البيهقى وقال أخبر بهذا حذيفة ومات قبل مسير عائشة وسبب ذلك قال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى قد جمع عمر بن شبة فى كتاب أخبار البصرة قصة الجمل مطولة وها أنا ألخصها وأقتصر على ماأورده بسند صحيح أو حسن انتهى فنذكر حاصله هنا مختصراً وهو أنه لما كان الغد من قتل عثمان خرج على رضى الله عنه ومعه سفيان الثقفى فدخل المسجد فإذا جماعة على طلحة فخرج أبو جهم بن حذيفة فقال يا على ألا ترى فلم يتكلم ودخل بيته فأتى بثريد فأكل ثم قال يقتل ابن عمى ويغلب على ملكه فخرج فأتاه الناس وهو فى سوق المدينة فقالوا ابسط يدك نبايعك فقال حتى يتشاور الناس فقال بعضهم لئن رجع الناس إلى أمصارهم بقتل عثمان ولم يقم بعده قائم لم يؤمن الاختلاف وفساد الأمة فأخذ الاشتر بيده فبايعوه وذهب إلى بيت المال ففتحه فلما تسامع الناس تركوا طلحة فلم يعدلوا به طلحة ولاغيره ثم أرسل إلى طلحة والزبير فبايعاه ثم انهما ندما على خذلان عثمان فطلبوا أن يقتل قتلة عثمان فلم يجبهما وذلك

لأن قاتله كان غير معلوم وكان ينتظر أولياء عثمان أن يتحاكموا اليه ثم استأذناه فى العمرة فاخذ عليهما العهود وأذن لهما فلقيا عائشة فاتفقا معها على الطلب بدم عثمان وكان يعلى بن أمية عامل عثمان على صنعاء وكان عظيم الشأن عنده وكان متمولا فقدم حاجا فأعانهما بأربعمائة ألف وحمل سبعين رجلا من قريش واشترى لعائشة جملا يقال له عسكر بثمانين دينارا وكان على رضى الله عنه يقول اتسرون بمن ابتليت بأطوع الناس فى الناس عائشة وأدهى الناس طلحة وأشد الناس الزبير وأثرى الناس يعلى ابن أمية فخرجوا إلى البصرة فنزلوا بعض مياه بنى عامر فنبحت الكلاب فقالت عائشة أى ماء هذا قالوا الحوأب أى بفتح المهملة وسكون الواو وبعدها همزة ثم موحدة بوزن كوكب قال فى القاموس موضع بالبصرة وقال الدميرى نهر بقرب البصرة قالت ما أظننى إلا راجعة فقال لها الزبير بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم قالت ما أظننى إلا راجعة سمعت رسول الله ﷺ يقول كيف باحداكن إذا نبحتها كلاب الحوأب رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والحاكم والبيهقى وأبو نعيم عن قيس قال لما بلغت عائشة بعض ديار بنى عامر نبحت عليها الكلاب فذكره فقدموا البصرة فتعجب الناس وسألوهم عن مسيرهم فذكروا أنهم خرجوا غضبا لعثمان وتوبة لما صنعوا من خذلانه وقبضوا على عامل على عليها ابن حنيف واقبل على لما سمع بخروجهم من المدينة ومعه تسعمائة راكب فنزل بذى قار فبلغه أن أهل البصرة اجتمعوا لطلحة والزبير فشق ذلك على أصحابه فقال والذى لا إله غيره لتظهرن على أهل البصرة ولتقتلن طلحة والزبير وبعث ابنه الحسن وعمارا إلى أهل الكوفة يستفزهم فدخلا المسجد وصعدا المنبر وكان الحسن فى أعلى المنبر وقام عمار اسفل منه فتكلم عمار وقال إن أمير المؤمنين بعثنا اليكم يستفزكم فان أمنا قد سارت إلى البصرة والله انى أقول لكم هذا ووالله إنها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلانا ليعلم اياه نطيع أو اياها وقال الحسن إن أمير المؤمنين يقول إنى أذكر الله رجلا رعى الله حقا الا نفر فان كنت مظلوما أعاننى وإن كنت ظالما أخذ منى والله ان طلحة والزبير لأول من بايعنى ثم نكثا ولم استأثر بمال ولا بدلت حكما فخرج اليه اثنا عشر ألف رجل ولما قدم قام اليه قيس بن سعد بن عبادة وابن الكوا فقالا أخبرنا عن مسيرك هذا أوصيه أوصاك به رسول الله صلى الله عليه وسلم أم رأى رأيته فقال أما والله لئن كنت أول من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أكون أول من كذب عليه والله لأن يكون عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلا ولكن مامات رسول الله فجأة ولا قتل قتلا ولقد مكث فى مرضه أياما وليالى كل ذلك يأتيه المؤذن فيؤذنه

بالصلاة فيقول مروا أبا بكر فليصل بالناس ولقد تركني وهو يرى مكاني وما كنت غائبا ولو عهد إلى شيئا لقمت به حتى ان امرأة من نسائه عارضت فى ذلك فقالت ان أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لم يسمع الناس فلو أمرت عمر فليصل بالناس فقال انكن صواحب يوسف فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرنا فاذا رسول الله قد ولاه أمر ديننا فوليناه أمر دنيانا فبايعته فى المسلمين ووفيت بيعته ثم بايعت عمر ووفيت بيعته ثم بايعت عثمان ووفيت بيعته فعدا الناس عليه فقتلوه وأنا معتزل عنهم ثم ولونى ولولا الخشية على الدين ما أجبتهم ثم وثب فيها من ليس سابقته كسابقتى ولا قرابته كقرابتى ولا علمه كعلمى يعنى معاوية قالوا صدقت فأخبرنا عن قتالك لهذين صاحباك فى بدر وحديبية وأحد وأخواك فى الدين والسابقة والهجرة يعنى طلحة والزبير فقال انهما بايعانى بالمدينة وخلعانى بالبصرة ولو أن رجلا ممن بايع أبا بكر خلعه لقاتلناه ولو أن رجلا ممن بايع عمر خلعه لقاتلناه ثم دعاهم ثلاثة أيام حتى إذا كان اليوم الثالث دخل عليه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر فقالوا قد أكثروا فينا الجراح وذلك أن قتلة عثمان كانوا متفرقين فى العسكرين فخشوا أن يصطلحوا على قتلهم فأنشبوا الحرب فتساب صبيان العسكرين ثم تراموا ثم تبعهم العبيد ثم السفهاء فصلى على ركعتين دعا ربه ثم قال ان ظهرتم على القوم فلا تطلبوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح وانظروا ما حضرت به الحرب من آنية فاقبضوه وما كان سوى ذلك فهو لورثتهم ونادى على الزبير وقال تعالى ولك الأمان فخلا به وقال أنشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وأنت لاويدى لتقاتلنه وأنت له ظالم ثم لينصرن عليك قال لقد ذكرتنى شيئا أنسانيه الدهر لاجرم لا أقاتلك فقال له ابنه ما جئت للقتال إنما جئت للصلح فأعتق غلامك ووقف فلما رأى الحرب نشبت وأيس من الصلح خرج عن العسكرين فغلب أصحاب أمير المؤمنين على وبلغت القتلى ثلاثة عشر ألفا وقتل طلحة روى الحاكم عن ثور بن مجزأة قال مررت بطلحة يوم الجمل فى آخر رمق فقال لى ممن أنت قلت من أصحاب أمير المؤمنين على فقال أبسط يدك أبايعك فبسطت يدى فبايعنى وقال هذا بيعة على وفاضت نفسه فأتيت عليا فأخبرته فقال الله أكبر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى الله أن يدخل طلحة الجنة إلا وبيعتى فى عنقه ثم جمع الناس وبايعهم وانتهى عبد الله بن يزيد بن ورقاء الخزاعى إلى عائشة وهى فى الهودج فقال يا أم المؤمنين أتعلمين أنى أتيتك عند ماقتل عثمان فقلت ما تأمرينى فقلت الزم عليا فسكتت فقال اعقروا الجمل فعقروه فنزل محمد بن أبى بكر أخوها ورجل آخر

فاحتملاهو دجها فوضعاه بين يدى على وأنه كالقنفذ من السهام فسألها محمد هل أصابك شيء منها فقالت لا وأمر على كرم الله وجهه اخاها محمد وعمارا أن يضربا عليها قبة ففعلا فجاء إليها على مسلما فقال كيف أنت يا أم قالت بخير قال يغفر الله لك وجاء وجوه الناس والأعيان يسلمون عليها فلما كان الليل دخلت البصرة ومعها أخوها ونزلت فى دار عبد الله بن خليد وهى أعظم دار بالبصرة على صفية بنت الحارث بن أبى طلحة العبدرى وهى أم طلحة الطلحات وأقام على رضى الله عنه بظاهر البصرة ثلاثا ثم دخلها فبايعه أهلها أجمعون حتى الجرحى وعرض على أبى بكرة إمارة البصرة فامتنع وأشار عليه بابن عباس رضى الله عنهما فولى عليهما ابن عباس ثم جاء إلى أم المؤمنين رضى الله عنها فاستأذن عليها ودخل وسلم عليها فردت السلام ورحبت به فقال له رجل يا أمير المؤمنين أن بالباب رجلين ينالان من عائشة فأمر القعقاع بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة جلدة وأن يجردهما من ثيابهما فلما رأت الخروج من البصرة بعث إليها على رضى الله عنه بكل ما ينبغى من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك وأذن لمن نجا من الجيش الذى معها أن يرجع إلا أن يحب المقام وأرسل معها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وسير معها أخاها محمدا فلما كان اليوم الذى ارتحلت فيه جاء على فوقف على الباب وحضر الناس وخرجت من الدار فى الهوج فودعت الناس ودعت لهم وقالت يا بنى لا يعتب بعضنا على بعض إنه والله ما كان بينى وبين على فى القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها وإنه لمن الاخيار فقال على رضى الله عنه صدقت والله ما كان بينى وبينها إلا ذلك وإنها الزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة وسار معها على مشيعا أميالا وسرح بنيه معها بقية ذلك اليوم ذكر هذا الفصل الحافظ عماد الدين بن كثير فى تاريخه وهذا ملخصه وفعل ذلك معها اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله المار إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها واداء لحق الأمومة فإنها أم المؤمنين بنص الكتاب العزيز فتلطف بها غاية التلطف ولم يعنفها ولم يوبخها بل أكرمها وردها وقصدت فى مسيرها ذلك إلى مكة فأقامت بها الى أن حجت عامها ذاك ثم رجعت الى المدينة ولما ولى الزبير تبعه عمرو بن جرموز فقتله وجاء بسيفه الى على فأخذه ننظر اليه وقال اما والله لرب كربة قد فرجها صاحب هذا السيف عن وجه رسول الله ﷺ واستاذن عليه ابن جرموز فابطأ عليه الاذن فقال أنا قاتل الزبير فقال أبقتل ابن صفية يفتخر فليتبوأ بالنار إنه حوارى رسول الله سمعت رسول الله يقول قاتل ابن صفية فى النار وجاء عمر بن طلحة عليا فقال مرحبا يا ابن اخى انى لم أقبض مالكم لاخذه ولكن خفت عليه من السفهاء

انطلق نخذ مالك انى لأرجو أن كون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا عن سر متقابلين ثم أمر ابن عباس على البصرة ورجع إلى الكوفة . عن عروة قال قلت لعائشة من كان أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت على بن أبى طالب قلت ما سبب خروجك عليه قالت لم تزوج أبوك أمك قلت ذلك من قدر الله قالت وكان ذلك من قدر الله. وذكر لها مرة يوم الجمل قالت والناس يقولون يوم الجمل قالوا نعم قالت وددت انى جلست كما جلس غيرى فكان أحب إلى من أن أكون ولدت من رسول الله عشرة كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعن أبى بكرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم هلكى لايفلحون قائدهم امرأة قائدهم فى الجنة رواه البزار والبيهق وعن أبى البحترى قال سئل عن أهل الجمل أمشركون هم قال من الشرك فروا قيل أمنافقون هم قال ان المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا قيل فما هم قال اخواننا بغوا علينا . ومنها موقعة صفين وقد صح لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة وعن عطاء بن السائب قال حدثنى غير واحد ان قاضيا من قضاة الشام أتى عمر فقال يا أمير المؤمنين رأيت كأن الشمس والقمر يقتتلان والنجوم معهما نصفين قال فمع أيهما كنت قال مع القمر على الشمس فقال عمر وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة انطلق فوالله لا تعمل لى عملا أبدا قال عطاء فبلغنى أنه قتل مع معاوية يوم صفين وسببها بالاختصار أنه لما قتل عثمان وبويع على أرسل إلى معاوية أن يدخل فيما دخل فيه المسلمون وينعزل عن العمل وكان عاملا لعمر ثم لعثمان على الشام وكان يرجو أن يبقيه على على عمله وقد كان الحسن بن على وابن عباس وغيرهما أشاروا عليه بإبقائه على الشام حتى يأخذ له البيعة ثم يقول فيه ما شاء فقال هيهات لو علمت أن المداهنة تسعنى فى دين الله لفعلت ولكن الله لم يرض لأهل القرآن بالمداهنة فبلغ معاوية فخاف أنه لا يلى لعلى عملا أبدا وكان عمرو بن العاص على مصر فعزله أيضا فاجتمع عمرو ومعاوية واتفقا على الخروج وقد روى الطبرانى عن شداد بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص جميعا ففرقوا بينهما وكان شداد إذا رآهما جالسين على فراش جلس بينهما ولما فرغ على من الجمل ورجع إلى الكوفة أرسل جرير بن عبد الله البجلى إلى معاوية يدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس فامتنع فقال له أبو مسلم الخولانى أنت تنازع عليا فى الخلافة

أو أنت مثله قال لا وإني لأعلم أنه أفضل ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه فأتوا عليا فقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان فأجاب أهل الشام فأرسل إليه معاوية أبا مسلم يطلب بدم عثمان وأنه وليه وابن عمه قال يدخل فى البيعة كما فعل الناس ثم يحاكمهم إلى فتجهز معاوية من الشام وعلى من الكوفة فالتقيا بصفين فتقاتلوا قتالا شديدا حتى بلغت القتلى ثلاثين ألفا فلما رأى أصحاب معاوية منهم العجز قال عمرو لمعاوية أرسلوا إلى على بالمصحف وادعوه إلى كتاب الله فإن عليا يجيبكم إلى ذلك ففعلوا فقال على رضى الله عنه نعم نحن أحق بالإجابة الى كتاب الله فقال القراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج يا أمير المؤمنين ماننتظر من هؤلاء ألا نمشى عليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا فقال سهل بن حنيف يا أيها الناس اتهموا رأيكم فآل الأمر الى التحكيم فحكم على أبا موسى بعد أن أراد أن يحكم ابن عباس فمنعه أهل الكوفة وحكم معاوية عمرو بن العاص فاتفق الحكمان على أن يخلع كل منهما صاحبه وكان عمرو داهية فقدم أبا موسى فخلع عليا ثم قام عمرو فقال إن أبا موسى خلع عليا وانى نصبت معاوية فاختلف الناس وأخذ أبو موسى يسب عمرا ويقول انك غدرت فرجع على إلى الكوفة ومعاوية الى الشام ثم تجهز على لقتال أهل الشام مرة بعد أخرى فشغله أمر الخوارج ثم تجهز فى سنة تسع وثلاثين فلم يتهيأ ذلك لافتراق آراء أهل العراق عليه ثم وقع الجد منه فى ذلك فى سنة أربعين وجعل على مقدمته قيس بن سعد بن عبادة وكانوا أربعين ألفا بايعوه على الموت فقتل على وكان ماقدر الله وعن عروة بن رويم قال جاء أعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال صارعنى فقام اليه معاوية فقال أنا أصارعك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لن يغلب معاوية أبدا فصرع الأعرابى فلما كان يوم صفين قال على كرم الله وجهه لو ذكرت هذا الحديث ما قاتلت معاوية رواه ابن عساكر وعن يزيد بن الاصم قال سئل على عن قتلى يوم صفين فقال قتلانا وقتلاهم فى الجنة ويصير الأمر إلى وإلى معاوية وعن المسيب بن نجبة قال أخذ على بيدى يوم صفين فوقف على قتلى أصحاب معاوية فقال يرحمكم الله ثم مال إلى قتلى أصحابه فترحم عليهم بمثل ما ترحم على أصحاب معاوية فقلت يا أمير المؤمنين استحللت دماءهم ثم تترحم عليهم قال إن الله جعل قتلنا اياهم كفارة لذنوبهم وعنه كرم الله وجهه قال من كان يريد وجه الله منا ومنهم نجا وما أحسن ما أخرج ابن عساكر قال جاء رجل إلى أبى زرعة الرازى فقال انى أبغض معاوية قال لم قال لأنه قاتل عليا بغير حق فقال أبو زرعة رب معاوية

رب رحيم وخصمه خصم كريم فما دخولك بينهما ومنها وقعة النهروان عن مخنف بن سليم قال أتينا أبا أيوب فقلنا يا أبا أيوب قاتلت المشركين بسيفك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جئت تقاتل المسلمين فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بقتال ثلاثة الناكثين والقاسطين والمارقين فقد قاتلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين رواه ابن جرير وفى رواية أبى صادق عنه عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقاتل مع على الناكثين فقد قاتلناهم يعنى أهل الجمل وعهد إلينا ان نقاتل معه القاسطين فهذا وجهنا إليهم يعنى معاوية وأصحـــابه وعهد إلينا أن نقاتل معه المارقين فلم أرهم بعد وروى الزبير بن بكار فى الموفقيات عن على رضى الله عنه أنه أوصى حين ضربه ابن ملجم فى وصيته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنى بما يكون من اختلاف أمته بعده وأمرنى بقتـــال الناكثين والمارقين والقاسطين وأخبرنى بهذا الذى أصابنى وأخبرنى أنه يملك معاوية وابنه يزيد ثم يصير إلى بنى مروان يتوارثونها وان هذا الأمر صائر إلى بنى أمية ثم إلى بنى العباس وأرانى التربة التى يقتل بها الحسين وعن أبى سعيد مرفوعا إنه يخرج من ضئضئى هـــذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وثمـــود وعن أبى ذر نحوه وزادهم شر الخلق والخليقة وعن على نحوه وزاد فاقتلوهم فإن فى قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة وعن أنس نحـــوه وزاد طوبى لمن قتلهم وقتلوه يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه من قاتلهم كان أولى بالله منهم سيماهم التحليق وعن على أيضا نحوه وزاد لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم لنكلوا عن العمل وآية ذلك ان فيهم رجلاً له عضد ليس فيه ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدى عليه شعرات بيض وعن أبى سعيد تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين فيقتلها أولى الطائفتين بالحق أقول وفى هذا دليل على أن أصحاب معاوية ما خرجوا عن الإسلام بل لم يفسقوا لأنهم مجتهدون وانهم مخطئون فى اجتهادهم وان أمير المؤمنين عليا وأصحابه كانوا أولى بالحق لأنه الذى قتلهم وقد صرح به فى رواية ابن عمـــرو يقتلهم على بن أبى طالب والأحاديث فى الخوارج كثيرة لا تكاد تنحصر وسبب وقعتهم بالاختصار أنهم لما حكموا الحكمين قالت القراء كفر على وكفـــر معاوية فاعتزلوا أمير المؤمنين ونزلوا بحروراء بضعة عشر ألفا فأرسل إليهم ابن عباس يناشدهم الله ارجعوا إلى خليفتكم فيم نقضتم عليه فى قسمة أو قضاء قالوا نخاف أن ندخل فى الفتنة قال فلا تعجلوا ضلالة العام مخافة فتنة عام قابل فرجع بعضهم إلى

الطاعة وقال بعضهم نكون على ناحيتنا فإن قبل القضية من التحكيم قاتلناه على ما قاتلنا عليه أهل الشام بصفين وان نقضها قاتلنا معه فساروا حتى قطعوا النهـــر وافترقت منهم فرقة يقتلون الناس فقال أصحابهم ما على هذا فارقنا عليا فلما بلغ عليـــا صنعهم وكان متجهزا إلى الشام قام فقال أتسيرون إلى عدوكم أو ترجعون إلى هؤلاء الذين خلفوكم فى دياركم فقالوا بل نرجع إليهم فقال ابسطوا عليهم فوالله لا يقتل منكم عشرة ولا ينجو منهم عشرة فكان كذلك فقال اطلبوا رجلا صفته كذا وكذا فطلبوه فلم يجدوه ثم طلبوه فوجدوه على النعت الذى ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل الحمـــد لله الذى أبادهم وأراحنا منهم فقال على كلا والذى نفسى بيده إن منهم لمن فى أصـــلاب الرجال لم تحمله النساء بعد وليكونن آخرهم لصاصا جرادين وروى عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن لا يجـــاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم يخرج مع المسيح الدجال وعن ابن عمر من قتله الحرورية فهو شهيد وعن الحسن قال لمـــا قتل على الحرورية قالوا من هؤلاء يا أمير المؤمنين أكفار هم قال من الكفر فروا قيل فمنافقون قال ان المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيرا قيل فاهم قال قـــوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا. ومن بقايا هؤلاء القرامطة وهم الباطنية والاسماعيلية وفتنتهم مشهورة أهلكوا العباد وأفسدوا البلاد وستأتى الإشارة إليهم . ومنها نزول أمير المؤمنين الحسن بن على لمعاوية رضى الله عنهما روى نعيم عن سفيان قال أتيت حسن بن على رضى الله عنه بعد رجوعه إلى المدينة فقلت له يا مذل المؤمنين فكان مما احتج به على أن قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب الأيام والليالى حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرم ضخم البلعوم يأكل ولا يشبع وهو معاوية فعلمت أن أمر الله واقع وروى الديلمى عن الحسن بن على قال سمعت عليا يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول لا تذهب الأيام والليالى حتى يملك معاوية (تنبيه) قال فى النهاية السرم الدبر والضخم العظيم ومعناه الشديد الذى يملك الارض كلها انتهى أهو على حقيقته فان معاوية دعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يشبع الله بطنه فلم يشبع بعد روى مسلم والبيهقى واللفظ له عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ادع لى معاوية فقلت إنه يأكل فقال فى الثالثة لا أشبع الله بطنه فما شبع بطنه أبدا أورده السيوطى فى الخصائص وقد كان سليمان بن عبد الملك من بنى أمية كذلك يأكل ولا يشبع فيحتمل أن يكون هو المراد فى الحديث والله أعلم وعن عمار بن ياسر قال إذا رأيتم الشام قد اجتمع أمره على ابن أبى سفيان فالحقوا بمكة

وروى ابن عساكر والطبرانى عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية ان الله ولاك أمر هذه الأمة فانظر ماأنت صانع قالت أم حبيبة أو يعطى الله أخى يارسول الله قال نعم وفيها هنات وهنات وهنات وروى أحمد عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يا معاوية إن وليت أمر فاتق الله واعدل قال معاوية فما زلت أظن انى مبتلى بعمل لقول النبى صلى الله عليه وسلم حتى ابتليت وسببه انه لما رجع على من قتال الخوارج وتجهز للشام كما مر قتل فى سابع عشر شهر رمضان وهو خارج لصلاة الصبح قتله اشقى الآخرين اللعين عبد الرحمن بن ملجم ضربه بسيف مسموم على جبهته فأوصله دماغه ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين فبويع للحسن بالخلافة فسار الحسن إلى معاوية بكتائب أمثال الجبال يريد الشام وخرج إليه معاوية يريد الكوفة وأرسل عبد الله بن عامر وعبد الله بن سمرة إلى الحسن رضى الله عنه يطالب الصلح فقال الحسن انى أحقن دماء المسلمين وأنزل عن الخلافة لمعاوية ولكن إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال أى جبلنا على الكرم والتوسعة على أتباعنا حتى صار لنا عادة فلا نقدر على القلة وان هذه الامة قد عاثت دمائها أى العسكرين الشامى والعراقى قد قتل بعضهم من بعض فلا يكفون الا بالفصح وعدم الانتقام قالا فانه يعرض عليك كذا وكذا ويطالب اليك ويسألك قال فمن لى بهذا قالا نحن لك به فكتب اليه معاوية أن اطلب ما شئت واشرط فانى أوفى بذلك وأرسل اليه ورقا بياضا وختم فى أسفله وقال أكتب فيه ماشئت فشرط الحسن أشياء منها ان يكون له بيت مال الكوفة وأن يكون له خراج دار أبى جرد وأن تكون الخلافة بعد معاوية له ولاخيه الحسين وفى رواية تكون للمسلمين يولون من شاؤا وأن لا يتعرض لاهل العراق ولا ينتقم منهم فنزل الحسن وبايعه فقال معاوية تكلم ياحسن فقام فحمد الله وأثنى عليه وقال ايها الناس ان الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وان معاوية نازعنى أمرا أنا أحق به منه وانى تركته حقنا لدماء المسلمين وطلبا لما عند الله فشهد جماعة من الصحابة أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للحسن ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين يكون بينهما مقتلة عظيمة وسميت تلك السنة سنة الجماعة لاجتماع الناس ورفع القتال بينهم وعن الحارث قال لما رجع على من صفين علم أنه لا يملك أبدا فتكلم بأشياء كان لا يتكلم بها وحدث بأحاديث كان لا يحدث بها وقال فيما يقول أيها الناس لا تكرهوا أمارة معاوية والله لو فقدتموه لرأيتم الرؤس تنزل عن كواهلها كالحنظل ومنها ملك بنى أمية يزيد بن معاوية ومن بعده المشتمل على الفتن العظام كقطع الليل المظلم عن عمران بن حصين قال أبغض الناس إلى رسول الله بنو أمية وثقيف

وبنو حنيفة وعن أبى ذر مرفوعا إذا بلغت بنو أمية أربعين رجلا اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دخلا وكتاب الله دغلا وفى رواية ومال الله بخلا وكتاب الله تفلا وفى رواية إذا بلغ بنو أبى العاصى ثلاثين رجلا اتخذوا دين الله دخلا الخ قال فى النهاية الخول حشم الرجل وأتباعه واحدهم خائل وقد يكون واحداً ويقع على العبد والأمة انتهى وهذا الثانى هو المراد هنا وعن ابن الموهب انه كان عند معاوية فدخل عليه مروان فقال له اقضى حاجتى ياأمير المؤمنين فوالله ان مؤنتى لعظيمة وانى أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة فلما ادبر مروان وابن عباس جالس مع معاوية على السرير فقال معاوية ياابن عباس أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله بينهم دولا وعباد الله خولا وكتاب الله دغلا فاذا بلغوا تسعة وتسعين واربعمائة رجل كان هلاكهم أسرع من أول ثمرة فقال ابن عباس اللهم نعم وذكر مروان حاجة له فرد مروان عبد الملك إلى معاوية فكلمه فيها فلما أدبر عبد الملك قال معاوية ياابن عباس أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا فقال أبو الجابرة الاربعة فقال ابن عباس اللهم نعم رواه البيهقى وعن على كرم الله وجهه قال لكل أمة آفة وآفة هذه الأمة بنو أمية وعن عمران بن جابر الحنفى وكان أحد الوفد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل لبنى أميه ثلاث مرات وعن محمد بن كعب القرظى قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم وما ولد إلا الصالحين منهم وهم قليل وعن عمرو ابن مرة الجهنى قال استأذن الحكم بن أبى العاصى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته فقال ائذنوا له حية أوولد حية لعنة الله عليه وعلى كل من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ماهم قلت وهذا الاستثناء إشارة إلى عمر بن عبد العزيز وأمثاله منهم يشرفون فى الدنيا ويوصفون فى الآخرة ذو ومكر وخديعة يعظمون فى الدنيا وما لهم فى الآخرة من خلاق وعن زهير بن الأرقم قال كان الحكم بن أبى العاصى يجلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقل كلامه إلى قريش فلعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومايخرج من صلبه إلى يوم القيامة وعن عبد الله بن الزبير انه قال وهو على المنبر ورب هذا البيت الحرام والبلد الحرام ان الحكم بن أبى العاصى وولده ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وعنه وهو يطوف ورب هذا البنية لعن رسول الله ﷺ الحكم وما ولد وعن أبى يحيى النخعى قال كنت بين الحسن والحسين ومروان يتشاتمان فجعل الحسن يكف الحسين فقال مروان أهل بيت ملعونون فغضب الحسن وقال أقلت أهل بيت ملعونون فوالله لقد لعنك الله على لسان نبيه وأنت فى صلب أبيك وفى لفظ لعن الله أباك على لسان نبيه وأنت فى صلبه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت في النوم بني الحكم ينزون على منبري كما تنزوي القردة قال فما رئي النبي صلى الله عليه وسلم ضاحكا مستجمعا حتى توفي رواه أبو يعلى والحاكم والبيهقي وعن ابن المسيب قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم بني أمية على منبره فساءه ذلك فأوحي إليه إنما هي دنيا أعطوها فقرت عينه رواه البيهقي وعن الحسن بن علي عليهما السلام قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى بني أمية يخطبون على منبره رجلا رجلا فساءه ذلك فنزلت إنا أعطيناك الكوثر ونزلت إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر يملكها بنو أمية قال القاسم بن التيم بن الفضل لحسبنا مدة ملك بني أمية فاذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص رواه الترمذي والحاكم والبيهقي وعن الزهري وعطاء الخراساني أن النبي ﷺ قال للحكم كأني أنظر الى بنيك يصعدون منبري وينزلون رواه الفاكهي وعن جبير بن مطعم قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فمر الحكم بن العاصي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل لأمتي مما في صلب هذا وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرعفن جبار من جبابرة بني أمية على منبري هذا فرعف عمرو بن سعيد بن العاصي على منبر النبي صلى الله عليه وسلم حتى سال الدم على درج المنبر وعن ابن عمر قال هجرت الرواح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أبو الحسن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أدن فلم يزل يدنيه حتى التقم أذنيه فبينما النبي صلى الله عليه وسلم يساره اذ رفع رأسه كالفزع فاذا قرع بسيفة الباب فقال لعلي اذهب فقده كما تقاد الشاة الى حالبها فاذا علي يدخل الحكم بن أبي العاصي آخذا بأذنه ولها زنمة حتى أوقفه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فلعنه نبي الله ثلاثا ثم قال اجلسه ناحية حتى راح اليه قوم من المهاجرين والأنصار ثم دعاه فلعنه ثم قال ان هذا سيخالف كتاب الله وسنة نبيه وسيخرج من صلبه فتن يبلغ دخانها السماء فقال ناس من القوم هو أقل وأذل أن يكون هذا منه قال بلى وبعضكم يومئذ شيعته ثم إنه صلى الله عليه وسلم نفاه الى الطائف فكان هناك حياته ولم يرده أبو بكر ولا عمر فرده عثمان في خلافته وهذا أحد الامور التي انتقدوها عليه وهم صاروا سبب قتله فكانت دولتهم مقتضية لمفاسد كثيرة ومظالم لا تعد ولا تحصى فمما وقع في زمن يزيد قتل الحسن بن علي رضي الله عنه وسببه أن يزيد بن معاوية أرسل إلى زوجة الحسن جعدة الكندية أنها تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة ألف درهم ففعلت فمرض أربعين يوما وجهد به أخوه الحسين أن يخبره عمن سمه فأبى وقال الله أشد نقمة وأجد كبدي تقطع وإني

لعارف من أين دهيت أى يشير إلى أنه من قبل فبحق عليك لا تكلمت فى ذلك بشىء
ثم قال أقسم عليك ألا تريق فى أمرى محجمة دم ومن كلامه له إياك وسفهاء الكوفة
أن يستخفوك فيخرجوك والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة وقد كنت
طلبت من عائشة أن أدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابت فإذا مت فاطلب منها
وما أظن القوم يعنى بنى أمية الا سيمنعونك فإن فعلوا فلا تراجعهم وادفنى عند أمى
فاطمة بالبقيع فمات رضى الله تعالى عنه بعد أربعين يوما والأكثرون أنه سنة خمسين
فلما مات سأل الحسين عائشة رضى الله عنها فقالت نعم وكرامة فمنعهم مروان وكان
أميرا بالمدينة من جهة معاوية ومن معه من بنى أمية فلبس الحسين ومن معه السلاح
وقالوا نقاتل وقال أبو هريرة والله لا يمنعه إلا ظالم والله إنه لابن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم قال أبو هريرة للحسين لا تكن أول من ترك وصية أخيك فقد
أوصاك بعدم القتال فما زال به حتى رده ودفنوه بالبقيع عند أمه وأرسلت جعدة إلى
يزيد تطالبه ماوعدها به فأبى ولم يتزوجها ومنها قتل الحسين رضى الله عنه عن معاذ رضى
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك يا معاذ واحص فلما بلغت خمسا يعنى من
الخلفاء قال يزيد لا بارك الله فى يزيد نعى إلى حسين وأتيت بتربته واخبرت بقاتله
والذى نفسى بيده لا يقتل بين ظهرانى قوم لايمنعونه إلا خالف الله بين صدورهم
وقلوبهم وسلط عليهم شرارهم وألبسهم شيعا قلت فى هذا ذم الذين بايعوه وأخرجوه
ثم أسلموه إلى العدو ولم يمنعوه واها لفراخ آل محمد من خليفة مستخلف يقتل خلفى
وخلف الخلف أمسك يامعاذ قال فلما بلغت عشرة وقال الوليد اسم فرعون هادم شرائع
الإسلام يبوء بدمه رجل من أهل بيته الحديث وقوله فلما بلغت عشرة يحتمل عشرة
مع الخلفاء الراشدين وحينئذ فهو الوليد بن عبد الملك لأن الخلفاء أربعة والخامس
معاوية والسادس يزيد والسابع ابنه معاوية والثامن ابن الزبير أو مروان والتاسع
عبد الملك والعاشر الوليد ابنه وإن كان عشرة بعد يزيد فهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك
لأنه تولى بعد الوليد هذا سليمان وأخوه وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام ابنا عبد الملك
فهؤلاء أربعة إذا انضموا الى الخمسة يكونون تسعة والعاشر الوليد بن يزيد ويؤيد
هذا الثانى قوله يبوء بدمه رجل من أهل بيته لأنه قتله ابن عمه يزيد بن الوليد وكذا
قوله سل الله سيفه فلا اغماد له لأنهم اختلفوا فقتل بعضهم بعضا فغلب عليهم بنو العباس
ومن ثم قال الزهرى ان تولى الوليد بن يزيد فهو هو والا فهو الوليد بن عبد الملك
وجاء من طرق صحح الحاكم بعضها أن جبريل وفى روايه ملك القطر جاء الى النبى صلى

الله عليه وسلم فأخبره أن الحسين مقتول وأراه من تربة الأرض التى يقتل فيها فأعطاه لأم سلمة وأخبرها أن يوم قتله يتحول دما فكان كذلك وشم صلى الله عليه وسلم ذلك فقال ريح كرب وبلاء وسببه أنه لما مات الحسن أخذ معاوية البيعة ليزيد من أهل الشام وجاء حاجا فأراد أن يأخذها من أهل الحجاز من المهاجرين والأنصار فامتنعوا وقالوا إن كان لك رغبة فيها فهى لك وإن سئمتها فردها على المسلمين فلما مات معاوية وبويع ليزيد بالشام وغيرها أرسل يزيد لعامله بالمدينة أن يأخذ له البيعة على الحسين فهرب الحسين إلى مكة خوفا عن نفسه فأرسل إليه أهل الكوفة أن يأتيهم ليبايعوه فنهاه ابن عباس وذكر له غدرهم وقتلهم لأبيه وخذلانهم لأخيه وأمره أن لا يذهب بأهله فأبى فبكى ابن عباس وقال واحسيناه وقال له ابن عمر نحو ذلك فأبى فقبل بين عينيه وقال استودعك الله من قتيل وكذلك نهاه ابن الزبير بل لم يبق بمكة أحد إلا حزن لمسيره ولما بلغ اخاه محمد بن الحنفية بكى حتى ملأ طستا بين يديه وقدم أمامه مسلم بن عقيل فبايعه من أهل الكوفة أثنا عشر ألفا أو أكثر وأرسل إليه يزيد بن زياد وحرضه على قتله وأخذوا مسلم بن عقيل فقتلوه وتفرق المبايعون وسار الحسين غير عالم بذلك فلقى الفرزدق فسأله فقال قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية والقضاء ينزل من السماء ولما قرب من القادسية تلقاه من أخبره الخبر وأمره بالرجوع فقالت إخوة مسلم بن عقيل والله لا ترجع حتى نأخذ بثارنا أو نقتل فقال لا خير فى الحياة بعدكم ثم سار فلقيه أوائل خيل ابن زياد فعدل إلى كربلاء فجهز إليه ابن زياد عشرين ألف مقاتل فلما وصلوا إليه طلبوا منه النزول على حكم ابن زياد والمبايعة ليزيد فقال دعونى أذهب إلى يزيد فأبى ابن زياد إلا النزول على حكمه فقال والله لا نزلت على حكمه أبداً فقاتلوه وكان أكثر مقاتليه المكاتبين له والمبايعين له فلعنة الله على قاتليه مرة وعلى خاذليه مائة مرة حيث جعلوا آل بيت رسول الله فدا لأنفسهم قاتلهم الله ما أغدرهم وأخذلهم ومن ثم قال لهم أمير المؤمنين على كرم الله وجهه والله لو قدرت لبعتكم باهل الشام صرف الدرهم بالدينار كل عشرة منكم بواحد منهم فحارب عليه السلام ذلك العدد الكثير ومعه من أهله نيف وثمانون فثبت فى ذلك الموقف ثباتا باهرا ولولا أنهم حالوا بينه وبين الماء ماقدروا عليه فلما بلغ القتلى من أهله خمسين نادى أما ذاب يذب عن حريم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج يزيد بن الحارث رجاء شفاعة جده ﷺ فقاتل بين يديه حتى قتل ثم ثبت فى أصحابه وبقى بمفرده فحمل عليهم حملة عمه حمزة وأبيه على وقتل كثيرا من شجعانهم فكثروا عليه حتى حالوا بينه وبين حريمه فصاح عليه السلام كفوا سفهاءكم عن النساء والأطفال فكفوا ثم لم يزل يقاتلهم حتى أثخنوه بالجراح لأنه طعن إحدى

وثلاثين طعنة وضرب أربعا وثلاثين ضربة ومع ذلك غلب عليه العطش فسقط إلى الأرض وحزوا رأسه الشريف يوم الجمعة عاشر محرم عام إحدى وستين ولما وضعه قاتله بين يدى اللعين ابن زياد أنشد متبجحا شعر :

أوقر ركابى فضة وذهبا   إنى قتلت ملكا محجبا
قتلت خير الناس أما وأبا   وخيرهم إذ ينسبون نسبا

فأمر بضرب عنقه وقال إذا علمت أنه كذلك فلم قتلته والظاهر أنه ماقتله إلا لأنه مدحه لا لأنه قتله ويدل لذلك أنه جعل الرأس الشريف فى طست وجعل يضرب ثناياه الشريفة بقضيب ويدخله أنفه ويتعجب من حسن ثغره فبكى أنس رضى الله عنه وقال كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال زيد بن ارقم ارفع قضيبك فوالله لطالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل مابين الشفتين وبكى فاغلظ عليه اللعين ابن زياد وهدده بالقتل فقال لأحدثنك بما هو أغيظ عليك من هذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقعد حسنا على فخذه اليمنى وحسينا هذا على فخذه اليسرى ثم وضع يده الكريمة على يافوخهما ثم قال اللهم إنى استودعتك إياهما وصالح المؤمنين فكيف كانت وديعة النبى عندك ياابن زياد وقد انتقم الله منه فقد روى الترمذى بسند صحيح أن رأس ابن زياد لما قتل وضع موضع رأس الحسين وإذا حية عظيمة قد جاءت فتفرق الناس عنها فتخللت الرؤس حتى جاءت ابن زياد فجعلت تدخل من فمه وتخرج من منخريه وتدخل من منخريه وتخرج من فمه فعلت ذلك مرتين أو ثلاثا ولما دخل قصر الإمارة بالكوفة أمر بالرأس فوضع على ترس عن يمينه والناس سماطان ثم أنزل وجهزه مع رؤس أصحابه وسبايا آل الحسين على أقتاب الجمال موثقين فى الحبال والنساء مكشفات الوجوه والرؤس إلى يزيد لعنه الله ولما نزل الذين أرسلهم ابن زياد بالرأس أول منزل جعلوا يشربون على الرأس فخرجت عليهم يد من الحائط فكتبت سطرا بدم

أترجو أمة قتلت حسينا   شفاعة جده يوم الحساب

فهربوا وتركوا الرأس ثم عادوا وأخذوه ولما قدموا به على يزيد أقام الحريم على درج الجامع حيث تقام الاسارى والسبى ومما ظهر يوم قتله أن السماء أمطرت دما وان أوانيهم ملئت دما وانكسفت الشمس ورؤيت النجوم واشتد الظلام حتى ظن الناس أن القيامة قد قامت وان الكواكب ضربت بعضها بعضا وانه لم يرفع حجر إلارؤى تحته دم عبيط وان الورس انقلب دما وان الدنيا أظلمت ثلاثة أيام

وقتل معه من إخوته وبنيه وبـــنى أخيه الحسن ومن أولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجــــلا قال الحسن البصرى وماكان على وجه الأرض لهم يومئذ شبيه وأنشدوا

أعين بـكى بعـــبرة وعويل ... واندبى إن ندبت آل الرسول

سبعـــة منهم لصلب على ... قـد أبيدوا وتسعـة لعقيل

ومنها وقعة الحرة روى عمر بن شيبـة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال والذى نفسى بيده ليكونن بالمدينـة ملحمة يقال لها الحالقـة لا أقول حالقة الشعر ولـكن حالقة الدين فاخرجوا من المدينة ولو على قـدر بريد وروى أيضا ويل للعرب من شر قد اقترب على رأس الستين تصير الإمامة غنيمة والصدقة غرامة والشهادة بالمعرفة والحكم بالهوى رواه الحاكم وكان أبو هريرة يقول اللهم لاتدركنى سنة ستين ولا إمارة الصبيان يشير إلى قوله ﷺ هلاك أمتى على أيدى أغيلمة من قريش فإن يزيد فيها تولى وعن أيوب بن بشير رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل فى هذه الحرة خيار أمتى بعد أصحابى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل بحرة زهرة خيار أمتى وعن أبى عبيدة لايزال هذا الدين قائما بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بنى أمية وعن أبى العالية قال كنا بالشام مـع أبى ذر فقال سمعـت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول رجل يغير سنتى رجل من بنى فلان يعنى بنى أمية فقال يزيد بن أبى سفيان أخو معاوية أنا هو قال وقد أخرج أبو يعلى عن أبى عبيدة مرفوعا لايزال أمر أمتى قائما بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بنى أمية يقال له يزيد وأخرج الرويانى عن أبى الدرداء مرفوعا أول من يبدل سنتى رجل من بنى أمية يقال له يزيد وسبب هذه الوقعة أن معاوية لما أراد أن يأخـذ البيعـة ليزيد من أكابر أهل الحجاز كابن عمر وابن عباس وعبد الرحمن بن أبى بكر أرسـل اليهم فى ذلك فلم يجيبوه فأرسل إلى ابن عمر بمائة ألف درهم فاخذها فدس اليه رجــــلا فقال له مايمنعك أن تبايع فقال له إن ذاك لذاك يعنى عطاء المـال للبايعة إن دينى إذا عندى لرخيص لا أبايع أميرين أبدا وأرسل إلى عبدالرحمن بن أبى بكر فأجابه بـكلام غليظ وأرسل إلى عبدالله ابن الزبير فأجابه بنحو ذلك فظن أنهم لايرضون بخلافة يزيد ولايبايعونه فلما احتضر معاوية قال لابنه يزيد لقد وطأت لك البلاد ومهدت لك الناس ولست أخاف عليك إلا أهل الحجاز فان رابك منهم أمر فوجه اليهم مسلم بن عقبة فإنى قد جربته ورأيت

نصيحته فلما مات وصار أمر الحسين إلى ماذكر ابن الزبير أظهر الخلاف على يزيد والتجأ إلى مكة وقام أهل المدينة فشاركوا ابن الزبير فى الخلاف وخلعوا يزيد بعد أن بايعوه وحاصروا بنى أمية الذين كانوا بالمدينة فأرسل مروان انا حصرنا ومنعنا الماء العذب فواغوثاه فوجه اليهم يزيد مسلم بن عقيل المرى فى اثنى عشر ألفا وقيل عشرين ألفا وقال ادعهم ثلاثا فان رجعوا وإلا فقاتلهم فاذا ظهرت فأبحها للجيش ثلاثا واجهز على جريحهم واتبع منهزمهم فتوجه اليهم فوصل فى ذى الحجة سنة ثلاث وستين فحاربوه وكان الأمير على الأنصار عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة وعلى قريش عبد الله بن مطيع وعلى غيرهم من القبائل معقل بن سنان الأشجعى وكانوا اتخذوا خندقا فلما رآهم أهل الشام خافوهم وكرهوا قتالهم فأدخل بنو حارثة قوما من الشاميين من جانب الخندق فلما سمعوا التكبير فى جوف المدينة خافوا على أهلهم فتركوا القتال ودخلوا المدينة فكانت الهزيمة وأباح مسلم المدينة ثلاثا يقتلون الناس ووقعوا على النساء وقاتل عبد الله بن مطيع حتى قتل هو وبنون له سبعة وبعث برأسه إلى يزيد وقتل من وجوه الناس أكثر من سبعمائة من قريش ومن أخلاط الناس من الموالى والعبيد والصبيان والنساء أكثر من عشرة آلاف وسبوا الذرية واستباحوا الفروج وأحبلوا أكثر من ألف مرأة من الزنا وسمى أولادهن أولاد الحرة وربطوا الخيل بسوارى المسجد الشريف وجالت الخيل فيه وراثت وبالت بين القبر الشريف والمنبر وتعطل المسجد الشريف ثلاثة أيام لم يصل فيه وكان ابن المسيب فى المسجد تلك الأيام يسمع من القبر الشريف الأذان والإقامة وكانوا يضحكون منه ويقولون أنظروا إلى هذا الشيخ المجنون يصلى وذلك لأنه جاؤا به ليبايع يزيد على أنه عبد قن ليزيد فى طاعة الله ومعصيته كما بايع الناس فقال بل على كتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبى بكر وعمر فأمر بقتله فقال بعض الناس دعوه فإنه مجنون فتركوه وكل من أبى أن يبايع على أنه عبد ليزيد فى طاعة الله ومعصيته أمر بقتله ودخلت طائفة بيت أبى سعيد الخدرى فأخذوا مافيه من المتاع ودخلت طائفة أخرى فلم يجدوا شيئاً فأصجعوه ومعطوا لحيته خصلة خصلة ولم يتعرض لعلى بن الحسين زين العابدين لأن يزيد وصاه به وقال انه لم يدخل فى شىء من أمرهم وسموا مسلما هذا مسرفا لإسرافه فى القتل والفساد ثم توجه إلى ابن الزبير فانه قال له يزيد إذا فرغت من أمر المدينة فتوجه إلى مكة وكان مريضا فمات فى الطريق وكان من غاية جهله وضلاله يقول اللهم انى لم أعمل بعد شهادة أن لا إله إلا الله عملا أرجى لى من قتل أهل المدينة ولئن دخلت

النار بعدها إنى لشقى ثم نادى حصين بن نمير وقال له أمير المؤمنين يعنى يزيد ولاك بعدى فأسرع السير ولا تؤخر ابن الزبير وأمره أن ينصب المجانيق على مكة وقال إن يحوذوا بالبيت فارمه فذهب وحاصر مكة أربعا وستين يوما وجرى فيها قتال شديد ورمى البيت بالمجانيق وأخذ رجل قبسا فى رأس رمح فطارت به الريح فأحرق البيت فجاءهم نعى يزيد وكان بين الحرة وموته ثلاثة أشهر وقيل دونه واجترأ أهل مكة وأهل المدينة على أهل الشام فذلوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلا أخذ بلجام دابته فنكس عنها فقال لهم بنو أمية لاتبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشام ففعلوا ومضى ذلك الجيش حتى دخل الشام فبويع لابن الزبير بالحجاز وبايع أهل الآفاق كلها لمعاوية بن يزيد وكان رجلا صالحا فيه دين وعقل فاقام فيها أربعين يوما وقيل أقام فيها خمسة أشهر وأياما وخلع نفسه وذكر غير واحد أن معاوية بن يزيد لما نازع نفسه صعد المنبر وجلس طويلا ثم حمد الله تعالى وأثنى عليه بابلغ مايكون من الحمد والثناء ثم ذكر النبى صلى الله عليه وسلم باحسن مايذكر به ثم قال أيها الناس لست أنا بالراغب فى الائتمار عليكم لعظيم ما أكرهه منكم وإنى أعلم انكم تكرهوننا أيضا لأنا بلينا بكم وبليتم بنا إلا أن جدى معاوية نازع فى هذا الأمر من كان أولى به منه ومن غيره لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظيم فضله وسابقته أعظم المهاجرين قدرا وأشجعهم قلبا وأكثرهم علما وأولهم إيمانا وأشرفهم منزلة وأقدمهم صحبة ابن عم رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره وأخوه زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته وجعله لها بعلا باختياره لها وجعلها له زوجة باختيارها له أبو سبطيه سيدا شباب أهل الجنة وأفضلا هذه الأمة تربية الرسول وابنا فاطمة البتول من الشجرة الطاهرة الزاكية فركب جدى منه ماتعلمون وركبتم مالا تجهلون حتى انتظمت لجدى الأمور فلما جاء القدر المحتوم واخترمته أيدى المنون فبقى مرتهنا بعمله فريدا فى قبره ووجد ماقدمت يداه ورأى ماركبه واعتداه ثم انتقلت الخلافة إلى يزيد فتقلد أمركم لهوى كان أبوه فيه ولقد كان أبى يزيد بسوء فعله وإسرافه على نفسه غير خليق بالخلافة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم فركب هواه واستحسن خطاه وأقدم على ماأقدم من جراءته على الله وبغيه على من استحل حرمته من أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت مدته وانقطع خبره وضاجع عمله وصار حليف حفرته ورهين خطيئته وبقيت أوزاره وتبعاته وحصل ماقدم وندم حيث لا ينفعه الندم وشغلنا الحزن له عن الحزن عليه فليت شعرى ماذا قال وماذا قيل له هل عوقب بإساءته وجوزى

بعمله وذلك ظني ثم اختنقته العبرة فبكى طويلا وعلا نحيبه ثم قال وصرت أنا ثالث القوم والساخط على أكثر من الراضي وما كنت لأتحمل آثامكم ولا يراني الله جلت قدرته متقلدا أوزاركم وألقاه بتبعاتكم شانكم وأمركم فخذوه ومن رضيتم به عليكم فولوه وخلعت بيعتي من أعناقكم والسلام فقال له مروان بن الحكم وكان تحت المنبر أسنة عمرية يا أبا ليلى فقال أعد عني أعن ديني تخدعني فوالله ماذقت حلاوة خلافتكم فا تجرع مرارتها ائتني برجال مثل رجال عمر على أنه ماكان حين جعلها شورى وصرفها عمن لا يشك في عدالته ظلوما والله لئن كانت الخلافة مغنما لقد نال أبي منها مغرما وماثما ولئن كانت شرا فحسبه منها ماأصابه ثم نزل فدخل عليه أقاربه وأمه فوجدوه يبكي فقالت له أمه ليتك كنت حيضة ولم أسمع بخبرك فقال وددت والله ذلك ثم قال ويلي إن لم يرحمني ربي ثم ان بني أمية قالوا لمعلمه عمرو المقصوص انت هذا ولقنته إياه وصددته عن الخلاف وزينت له حب علي واولاده وحملته على ماوسمنا به من الظلم وحسنت له البدع حتى نطق بما نطق وقال ما قال فقال والله مافعلته ولكنه مجبول ومطبوع على حب علي فلم يقبلوا منه ذلك واخذوه ودفنوه حيا حتى مات وتوفي معاوية بن يزيد بعد خلعه نفسه باربعين يوما وقيل تسعين ليلة وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة وقيل إحدى وعشرين سنة وقيل ثمانية عشرة سنة وقيل عشرين سنة ويقال إنه لما احتضر قيل له أما تستخلف فأبى وقال ماأصبت من حلاوتها شيئا فلم أتحمل مرارتها ولم يعقب رحمه الله ورحم به وكان قتل الحسين ووقعة الحرة وقتل ابن الزبير ورمي الكعبة بالمنجنيق واستحلال الحرم من شنائع يزيد قال ابن حجر في شرح الهمزية ولا عجب فان يزيد بلغ من قبائح الفسق والإخلال بالتقوى مبلغا لا يستكثر عليه صدور تلك القبائح منه بل قال الإمام أحمد بن حنبل بكفره وناهيك به ورعا وعلما يقضيان بأنه لم يقل ذلك إلا لقضايا وقعت منه صريحة في ذلك ثبتت عنده وإن لم تثبت عند غيره كالغزالي وبالغ ابن العربي المالكي فقال لم يقتل يزيد الحسين إلا بسيف جده أي لأن البيعة سبقت ليزيد وهو باغ عليه لأن كثيرين قدموا عليها مختارين على أن أباه قد استخلفه ومع الاستخلاف لا يشترط ذلك ولا شك أن أباه قد صار خليفة حقا بنزول الحسن له واجتماع الناس عليه ويرد بأن هذا إنما هو بعد استقرار الاحكام وانعقاد الاجماع على تحريم الخروج على الامام الجائر أما قبل ذلك فكان الامر منوطا بالاجتهاد واجتهاد الحسين رضي الله تعالى عنه اقتضى جواز أو وجوب الخروج على يزيد لجوره وقبائحه التي تصم منها الآذان ويزيد لم تنعقد بيعته عند الحسين

وغيره ممن لم يبايعوه والمبايعون له مكرهون على البيعة وغاية أمر يزيد إن لم يكن كافرا أنه جائر فاسق متغلب وحرمة الخروج على الجائر محلها بعد استقرار الأمور وانقضاء تلك الأعصار انتهى قلت وأيضا فان يزيد كان فاسقا جاهلا وشرط الاستخلاف ابتداء العلم بالأحكام والعدالة وقولهم إن الإمام الأعظم لا ينعزل بالفسق إنما هو دواما لا ابتداء فإنه يمنع من البيعة وأما تغلب يزيد فإنما حصل بعد قتل الحسين بل وبعد الحرة حيث قتل أكثر من يستحق الخلافة على أن أهل مكة لم يبايعوه وأصروا مع ابن الزبير على القتال زمنه وزمن أبيه معاوية ثم بعد موت معاوية ابن يزيد بايع أهل الآفاق كلها لابن الزبير وانتظم له ملك الحجاز واليمن ومصر والعراق والشرق كله وجميع بلاد الشام حتى دمشق لم يتخلف عن بيعته إلا بنو أمية ومن يهوى هواهم وكانوا بفلسطين حتى أن مروان هم بالرحلة إلى مكة ليبايعه فمنعه بنو أميه وبايعوه بالخلافة وخرج بمن أطاعه إلى دمشق وقاتل الضحاك بن قيس المبايع لابن الزبير فاقتتلوا بمرج راهط فقتل الضحاك وغلب مروان على الشام ثم توجه إلى مصر فحاصر عامل ابن الزبير بها حتى غلب عليها فى ربيع الآخر سنة خمس وستين ومات فى تلك السنة فكانت مدته ستة أشهر وعهد إلى ابنه عبد الملك فقام مقامه وكمل له ملك الشام ومصر والمغرب ولابن الزبير ملك اليمن والحجاز والعراق والمشرق إلا أن المختار بن أبى عبيد غلب على الكوفة وكان يدعو إلى المهدى من أهل البيت ويقول إنه محمد ابن الحنفية فأقام على ذلك نحو السنتين ثم سار إليه مصعب بن الزبير أمير البصرة لأخيه عبدالله بن الزبير فحاصره حتى قتل فى شهر رمضان فى سنة سبع وستين وانتظم أمر العراق كله لابن الزبير فدام ذلك إلى سنة إحدى وسبعين فسار عبدالملك إلى مصعب وقاتله حتى قتله فى جمادى منها وملك العراق كله ولم يبق مع ابن الزبير إلا الحجاز واليمن فقط فجهز إليه عبدالملك الشقى الحجاج بن يوسف الثقفى فحاصره فى سنة اثنين وسبعين إلى أن قتل عبدالله بن الزبير فى جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وكان مجموع مدة ابن الزبير تسع سنين وشىء ثم اجتمع الناس على عبدالملك بن مروان ثم بعده على ابنه الوليد ثم ابنه الآخر سليمان ثم عمر بن عبدالعزيز ثم ابنه الآخر يزيد ثم ابنه الآخر هشام فهؤلاء كلهم أولاد عبدالملك إلا عمر فانه ابن أخيه عبدالعزيز ثم بعد هشام تولى ابن أخيه الوليد بن يزيد فقام عليه ابن عمه يزيد بن الوليد فقتله وقام عليه مروان الحمار بن محمد بن مروان ولما مات ولى أخوه ابراهيم فغلبه مروان واختل أمرهم حتى غلب على الملك بنو العباس وقتلوهم أشد قتلة فلله الأمر من قبل ومن بعد ومنها خراب

المدينه بعد الحرة أخرج شبة عن أبى هريرة ليخرجن أهـل المدينة من المدينة أعمر ماكانت نصفا زهوا ونصفا رطبا قيل من يخرجهم قال أمراء السوء وروى أحمد برجال الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد احدا فأقبل على المدينة فقال ويل أمها قرية يدعها أهلها كأينع ماتكون وروى ابن شبة عن شريح بن عبيد أنه قرأ كتابا لكعب ليغشين أهل بلدينة أمر يفزعهم حتى يتركوها وهى مذللة وتبولها السنانير على قطائف الخز مايروعها شيء وحتى تخرق الثعالب فى اسواقها مايروعها شيء وفى الموطأ لتتركن المدينه على أحسن ماكانت حتى يدخل الكلب أو الذئب فيغذى أى يبول على بعض سوارى المسجد ورواه ابن شبة ولفظه فيغذى على سوارى المسجد والمنبر قال القاضى عياض إن هذا جرى فى العصر الاول وإنها تركت أحسن ماكانت من حيث الدين والدنيا أما الدين فلكثرة العلماء بها وأما الدنيا فلعمارتها واتساع حال أهلها وذكر الاخباريون أنه رحل عنها أكثر أهلها وبقيت ثمارها للعوافى وخلت مدة ثم تراجعوا قال وقد حكى قوم كثيرون أنهم رأوا ماأنذر به صلى الله عليه وسلم من تغذية الكلاب على سوارى مسجدها انتهى وقال النووى الظاهر المختار أن الترك لها يكون آخر الزمان قال السيد السمهودى فى تاريخها أنه وردما يقتضى أن الترك لها يكون متعددا فقد روى ابن شبة ليخرجن أهل المدينه منها ثم ليعودن اليها ثم ليخرجن منها ثم لايعودون اليها وروى أيضا عن عمر مرفوعا يخرج أهل المدينة منها ثم يعودون اليها فيعمرونها ثم يخرجون منها ولا يعودون اليها أبدا قال فالظاهر أن ماذكره القاضى عياض هو الترك الاول وسببه كائنة الحرة كما فى حديث أبى هريرة يخرجهم أمراء السوء وأنه بقى الترك الذى يكون آخر الزمان انتهى ملخصا قلت ويؤيد ما ذكره ما فى رواية شريح السابقة ليغشين أهـــل المدينة أمر يفزعهم حتى يتركوها فإن خروجهم عنها آخر الزمان يكون للهجرة الى بيت المقدس طلبا للجهاد لا للفزع نعم يمكن أن يقال إن ذلك يقع فى زمن السفيانى أيضا وهو من أمراء السوء وهو فى آخر الزمان لكن اذا ثبت التعدد سهل الامر بأن يقال يخرجون منها ثلاث مرات وانما ذكر فى الحديث مرتين ايجازا واختصارا وبالجملة فقـــد وقع ذلك فى زمن يزيد وهو من جملة قبائحه الشنيعة ولا بد من وقوعها مرة أخرى فى آخر الزمان كما صرحت به الاحاديث الصحيحة وسيأتى ان شاء الله هذا الترك الثانى فى القسم الثالث وبالله التوفيق ومن الفتن التى وقعت فى زمن بنى مروان قتل ابن الزبير وهدم الكعبة وتولية الحجاج فانه قتل مائة ألف وعشرين ألفا وأربعة آلاف نفس حرام صبرا غير ما قتله فى المحاربات

وأهان جماعة من الصحابة وختمهم فى رقابهم إهانة منهم أنس خادم النبى صلى الله عليه وسلم ودس على ابن عمر من ضربه بحربة مسمومة فقتله إلى غير ذلك من القبائح ولاشك أنه سيئة من سيئات عبد الملك فإنه كان أميراً له على العراق وعلى الحجاز وعن حبيب بن أبى ثابت قال قال على لرجل لامت حتى تدرك فتى ثقيف قيل مافتى ثقيف قال ليقالن له يوم القيامة اكفنا زاوية من زوايا جهنم رجل يملك عشرين أو بضعا وعشرين سنة لايدع لله معصية إلا ارتكبها حتى لو لم تبق إلا معصية واحدة وكان بينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها يقتل بمن أطاعه من عصاه رواه البيهقى فى الدلائل ومنها قتل زيد بن على بن الحسين وصلبه وحرقه بالنار وقتل ولده يحيى فى زمانهم وشربهم للخمر وصلاتهم بالناس سكارى وتقديمهم الجوارى فى المحراب وغير ذلك من أنواع القبائح بل نقل السيوطى فى تاريخ الخلفاء أن الوليد بن اليزيد عزم على الحج لأجل أن يشرب فوق ظهر الكعبة فقتل قبل أن يبلغ مراده عن المسور بن مخرمة قال قال عمر بن الخطاب لعبد الرحمن بن عوف ألم يكن فيما تقرأ قاتلوا فى الله فى آخر مرة كما قاتلتم أول مرة قال متى ذاك قال إذا كانت بنو أمية الأمراء وبنو مخزوم الوزراء رواه الخطيب وقد مر لعنهم على لسان نبيهم صلى الله عليه وسلم هذا وطريق السلامة والورع السكوت عنهم والاشتغال بعيوب النفس وبذكر الله تعالى فان الاشتغال بهم باب عظيم من أبواب الشيطان ولقد أحسن من قال :

لعمرك إن فى ذنبى لشغلا ... بنفسى عن ذنوب بنى أمية
على ربى حسابهم تناهى ... اليه علم ذلك لا اليه
وليس بضائرى ماقد أتوه ... إذا ماالله يغفر مالديه

.. ومنها دولة بنى العباس عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا أقبلت رايات ولد العباس من عقبات خراسان جاؤا بنعى الإسلام فمن سار تحت لوائهم لم تنله شفاعتى يوم القيامة رواه أبونعيم فى الحلية وعن أبى أمامة قال ستخرج رايات من المشرق لبنى العباس أولها مثبور وآخرها مثبور لا تنصروهم لا ينصرهم الله من مشى تحت راية من راياتهم أدخله الله تعالى النار يوم القيامة ألا إنهم شرار خلق الله وأتباعهم شرار خلق الله يزعمون أنهم منى وماهم منى رواه الطبرانى وعن ثوبان وعن مكحول مرسلا وعن على موصولا

مالى ولبنى العباس شيعوا أمتى وسفكوا دماءها ولبسوا ثياب السواد ألبسهم الله ثياب النار رواه الطبرانى لكن قد روى السهروردى وغيره بسند جيد أن جبريل نزل لابساالسواد فقال يامحمد هذه ثياب بنى عمك العباس فدعالهم صلى الله عليه وسلم . وقال اغفر للعباس وولده فتحمل الأحاديث الأول إن صحت على شرارهم وهذا وأمثاله على خيارهم على أن هذا أصح وله شواهد .

ومن الفتن التى وقعت فى زمنهم قتال أهل المدينة وقتل محمد النفس الزكية ابن عبد الله المحض بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط وقتل أخيه إبراهيم بن عبد الله وقتل جماعة كثيرة من العلويين وحبس الإمام جعفر الصادق فى زمن المنصور وموت الإمام موسى الكاظم فى الحبس فى زمن الرشيدوادخال الفلسفة فى الإسلام ونصرةالاعتزال فى زمن المأمون وقتل كثير من العلماء وتكليفهم القول بخلق القرآن وضرب الإمام أحمد بن حنبل فى زمنه وزمن المعتصم والواثق وغيرهم ولم تتفق الكلمة فى زمنهم ولم تصف له الخلافة فكان أول من رجع عن الاعتزال منهم ونصر السنة المتوكل فإنه رأى فى المنام كان النبى صلى الله عليه وسلم على تل وحوله خلق كثير وهو ينادى بأعلى صوته إلا إن محمد بن إدريس الشافعى ترك فيكم علما نفيسا فاتبعوه تهتدوا فانتقل إلى مذهب الشافعى وعين من بيت المال اثنى عشر ألفا لنشر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لازالوا فى التناقص إلى أن بقى لهم من الخلافة مجرد الاسم وغلب آل سلجوق على معظم البلاد فكان آخرهم بالعراق المستعصم الذى قتله التتار ثم انتقلوا إلى مصر وكان زمانهم مشحو نا بالعلماء فى كل فن من التفسير والحديث والنحو واللغة والقراءة والفقه والكلام والتاريخ وغير ذلك حتى أن زمان الرشيد كان يسمى عروس الدهر . ومنها فتنة الفاطمية واستيلاؤهم على المغرب ومصر نحوا من ثلاثمائة سنة واظهارهم الرفض ونصرهم مذهب الباطنية وإلحادهم فى الدين وكان استيلاؤهم على جزيرة الفسطاط سنة ثمان وثلاثمائة وكان انتزاعها منهم على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب الملك الناصر فى سنة أربع وستين وأربعمائة فرحم الله روحه وجزاه عن الإسلام خيرا ومن فتن هؤلاء أن الحاكم منهم بنى داراً وفرشها وأجلس الفقهاء والمحدثين فيها ثم بعد ثلاث سنين هدمها وقتل الفقهاء والمحدثين وإن الظاهر ابن الحاكم جمع ألفين وستمائة وستين جارية مزينات بحليهن فى قصر وأمر ببناء أبوابه إلى أن متن كلهن وبعد ستة أشهر اضرم عليهن النار فاحرقن بثيابهن وحليهن فلا رحمه الله ولا رحم من خلفه ذكر ذلك السيوطى فى حسن المحاضرة قال ابن

أبى حجلة فى السكردان أن الحاكم قتل من العلماء مالايحصى وأمر بسب الصحابة وأمر بكتب ذلك على أبواب المساجد والشوارع ثم محاه بعد مدة وهدم قمامة وبنى مكانها مسجداً ثم أعادها كما كانت وبنى المدارس وجعل فيها العلماء والمشايخ ثم قتلهم وهدمها ونهى عن أكل الملوخية والجرجير وعلل تحريمها بكون معاوية يميل إلى الملوخية وعائشة إلى الجرجير ونهى عن بيع الرطب ثم جمع منه شيئا كثيراً وأحرقه وكان مقدار النفقة على احراقه خمسمائة دينار ونهى عن بيع العنب وقلب خمسة آلاف ألف جرة من جرار العسل فى البحر وكسر جراره وأمر النصارى واليهود بالدخول فى الإسلام كرها ثم أمرهم بالعود إلى أديانهم فارتد منهم فى سبعة أيام ستة آلاف وخرب كنائسهم ثم أعادها وادعى الربوبية وكتب باسم الحاكم الرحمن الرحيم واجتمع له كثير من الجهال وبذل لهم المال ونادوه باسم الاله فكانوا إذا رووه قالوا ياواحد ياأحد يامحي يامميت وصنف له بعض الباطنية كتابا ذكر فيه أن روح آدم انتقل إلى على ثم اليه وقرىء هذا الكتاب بجامع القاهرة وسير هذا المصنف إلى جبال الشام فنزل بوادى التيم وناحية بانياس واستمال الناس وأعطاهم المال وأباح لهم الخمر والزنا ودعاهم إلى معتقد الحاكم فأضل منهم خلقا كثيراً وفى وادى التيم إلى يومنا هذا قرى كثيرة يعتقدون رجوع الحاكم وانه يعود ويمهد الأرض هذا كلامه ملخصا واستمروا بها ظالمين إلى أن أبادهم الله على أيدى السلاطين الأكراد الأيوبية وتولى هؤلاء أيضا قريبا من مائتى سنة من سنة أربع وستين وأربعمائة إلى سنة ثمان وأربعين وستمائة آخرهم الملك المعظم تورانشاه قتله اتباعهم الأتراك وتولى أولئك أيضا من هذه السنة إلى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ثم استولى على الأمر اتباعهم الجراكسة إلى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ثم غلبهم ملوك بنى عثمان إلى يومنا هذا فالملك والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين والحمد لله رب العالمين . . ومنها فتنة القرامطة واهانتهم الدين واستحلالهم الحرم وستأتى الإشارة اليهم فيما بعد . . ومنها قتال الترك وفتنتهم وهم التتار فقد روى الستة إلا النسائى لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الانوف كان وجوههم المجان المطرقة وفى رواية للبخارى لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزوكرمان قوما من الاعاجم حمر الوجوه وفى لفظ له عراض الوجوه فطس الانوف صغار الاعين وجوههم المجان المطرقة ولاتقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر (تنبيه) قولهم نعالهم الشعر على ظاهره قال البيهقى وقد وقع ذلك فان قوما من الخوارج قد خرجوا بناحية الرى

وكانت نعالهم الشعر وقوتلوا ذكره السيوطى فى الخصائص الكبرى بل ويحتمل أن يكون من جلود مشعرة غير مدبوغة ويحتمل أن المراد وفور شعرهم حتى يطؤها بأقدامهم قال المناوى فى تخريج المصابيح وحمر الوجوه بيض الوجوه مشربة بحمرة وذلف الانوف بالذال المعجمة فى رواية الجمهور قال صاحب المشارق وهو الصواب ويروى بالمهملة وهو بضم الدال وسكون اللام جمع أدلف كأحمر وحمر معناه فطس الانوف كما فى الرواية الأخرى أى قصارها مع انبطاح وقيل غلظ أرنبة الانف قاله النووى والمجان بفتح الميم وتشديد النون جمع مجن بكسر الميم وهو الترس والمطرقة بضم الميم وسكون الطاء وحكى فتح الطاء وتشديد الراء قال النووى الأول هو المشهور فى الرواية وكتب اللغة ومعناه أن وجوههم عريضة كما فى الرواية الأخرى ووجناتهم ناتئة كالترس المطرقة وخوز ضبطه فى النهاية بالخاء والزاى المعجمتين مضافا إلى كرمان قال وهو جبل معروف وهو من بلاد الاهواز من عراق العجم بحيث قيل إنه صنف منهم وكرمان صقع معروف فى العجم قال السخاوى وهى بلدة معمورة من بلاد العجم بين خراسان وبحر الهند قال فى النهاية ويروى بالراء المهملة وهو من أرض فارس وصوبه الدار قطنى قال وروى خوزا وكرمان وقيل إذا أضيف فبالراء وإذا عطف فبالزاى المعجمة اهـ وورد اتركوا الترك ما تركوكم فان أول من يسلب أمتى ملكهم بنوا قنطوراء الحديث زاد فى رواية فإنهم أصحاب باس شديد وغنائمهم قليلة قال النووى هذه الأحاديث كلها معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد عرف حال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التى ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم وقاتلهم المسلمون مرات اهـ قال السخاوى فى القناعة ومن المرات التى قاتل فيها المسلمون الترك فى دولة بنى أمية وكان ما بينهم وبين المسلمين مسدود إلى أن فتح ذلك شيئا بعد شىء وكثر السبى منهم لما فيهم من الشدة والبأس حتى كان أكثر عسكر المعتصم منهم ثم غلبت الاتراك على الملك فقتلوا ابنه المتوكل ثم أولاده واحد بعد واحد إلى أن خالط المملكة الديلم ثم كانت الملوك السامانية من الترك أيضا فملكوا بلاد العجم ثم غلب على تلك الممالك آل سبكتكين ثم آل سلجوق وامتدت مملكتهم إلى العراق والشام والروم وكان بقايا أتباعهم بالشام وهم آل زنكى وأتباع هؤلاء وهم بيت أيوب واستكثر هؤلاء أيضا من الترك فغلبوهم بالديار المصرية والشامية والحجازية وخرج على آل سلجوق فى المائة الخامسة الغز فخربوا البلاد وفتكوا فى العباد ثم جاءت الطامة الكبرى بالتتار بعد الستمائة فكان خروج جنكزخان واستعرت الدنيا بهم نارا لاسيما المشرق بأسره

حتى لم يبق بلد منه حتى دخله شرهم ثم كان خراب بغداد وقتل الخليفة المستعصم على أيديهم أى وهو آخر الخلفاء العباسية ببغـــداد الذى رثاه مصلح الدين السعدى الشيرازى بالقصيدة الفارسية التى مطلعها :

آسما نراجاى آن باشد كه كريه برزمين
بزوال ملك مستعصم أمير المؤمنين

ومعناه حق للسماء أن تبكى على الأرض لزوال ملك المستعصم أمير المؤمنين فى سنة ست وخمسين وستمائة قال التاج السبكى فى طبقاته لم يكن منذ خلق الله الدنيا فتنة أكبر من فتنة التتار فإنهم خربوا المساجد وحرقوا المصاحف والكتب وقتلوا الرجال وسبوا النساء وبقروا بطونهن فأخرجوا أولادهن وقتلوهم قال السخاوى ثم لم تزل بقاياهم يخرجون إلى أن كان آخرهم الأمير تيمور الأعرج فطرق الديار الشامية وعاث فيها وحرق دمشق حتى جعلها خاوية على عروشها ودخل الروم والهند وما بين ذلك وطالت مدته إلى أن مات وتفرق بنوه فى البلاد اه وظهر بجميع ذلك مصداق قوله صلى الله عليه وسلم إن أول من يسلب أمتى ملكها بنى قنطوراء قال فى القناعة وقنطوراء بالمد والقصر قيل كانت جارية لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فولدت له أولادا فانتشر منهم الترك حكاه ابن الاثير واستبعده وجزم به المجد فى القاموس انتهى

ومصداق ماروى الخطيب عن على رضى الله عنه تكون مدينة بين الفرات ودجلة يكون فيها ملك بنى العباس وهى الزوراء يكون فيها حرب مفظعة تسبى فيها النساء وتذبح فيها الرجال كما تذبح الغنم قال وإسناده شديد الضعف قال الحافظ السيوطى فى الجامع الكبير وقعت هذه الحرب بعد موت الخطيب بأكثر من مائتى سنة وذلك مما يقوى الحديث وقال ابن مسعود كأنى بالترك وقد أتتكم على براذين مخرمة الآذان حتى تربطها بشط الفرات وفى حديث آخر يلحقون أهل الشام بمنابت الشيح كأنى أنظر اليهم وقد ربطوا خيولهم بسوارى المسجد ﴿ فائدة ﴾ قال السخاوى فى القناعة أسند الحاكم صاحب الصحيح فى مستدركه إلى محمد بن يحيى أبى بكر الصولى النحوى قال أول من مدح الترك من شعراء العرب على بن عباس الرومى حيث يقول

إذا ثبتوا فسد من حديد تخال عيوننا فيه بحارا
وإن برزوا فنيران تلظى على الأعداء يضرمها استعارا

• • ومنها نار الحجاز التى أضاءت أعناق الإبل ببصرى كما أخبر به صلى الله عليه وسلم روى البخارى والحاكم فى المستدرك عن أبى هريرة لاتقوم الساعة حتى تخرج

نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى وروى ابن أبى شيبة وأحمد والحاكم وصححه عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليت شعرى متى تخرج نار من جبل وراق تضيء لها أعناق النجب ببصرى كضوء النهار وروى الطبرانى بسنده عن عاصم بن عدى الانصارى قال سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثان ماقدم أى أول ماقدم المدينة قال اين حبس سيل قلنا لاندرى فمر بى رجل من بنى سليم فقلت من أين جئت قال حبس سيل فدعوت بنعلى فانحدرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله سألتنا عن حبس سيل فقلنا لاعلم لنا به وإنه مربى هذا الرجل فسألته فزعم أنه من أهله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أين أهلك فقال بحبس سيل فقال أخرج أهلك فانه يوشك أن تخرج منها نار تضيء أعناق الإبل ببصرى وروى هو وأبو يعلى والإمام أحمد من رواية رافع ابن بشر السلمى عن أبيه قال الحافظ الهيثمى رجال أحمد رجال الصحيح غير رافع وهو ثقة قال يوشك نار تخرج من حبس سيل تسير سير بطيئة الإبل تسير النهار وتقيم الليل الحديث وفى مسند الفردوس عن عمر لاتقوم الساعة حتى يسيل واد من أودية الحجاز بالنار تضيء أعناق الابل ببصرى قال نور الدين السيد على السمهودى فى تاريخ المدينة وقد ظهرت هذه النار بالمدينة واشتهرت اشتهارا بلغ حد التواتر وتقدمها زلازل مهولة وأشفق أهل المدينة منها غاية الاشفاق والتجئوا إلى النبى ﷺ وكان ابتداء الزلزلة بالمدينة مستهل جمادى الآخرة وآخر جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وستمائة أى فيكون قبل قتل المستعصم وخراب بغداد بسنتين قال لكنها كانت خفيفة واشتدت يوم الثلاثاء وظهرت ظهورا عظيما ثم لما كان ليلة الأربعاء ثالث الشهر أورابعه فى الثلث الأخير منها حدثت زلزلة عظيمة انزعجت القلوب لهيبتها واستمرت بقية الليل إلى يوم الجمعة ولها دوى أعظم من الرعد فتموج الأرض وتتحرك الجدران حتى وقع فى يوم واحد دون ليلته ثمان عشرة حركة فسكنت ضحى يوم الجمعة ولما كان نصف النهار ظهرت تلك النار فثار من محل ظهورها دخان متراكم غشى الأفق سواده فلما تراكمت الظلمات وأقبل الليل سطع شعاع النار وظهر بقريظة بطرف الحرة ترى فى صفة البلد العظيم عليها سور محيط عليه شراريف وأبراج ومنائر وترى رجال يقودونها لاتمر على جبل إلا أدركته وأذابته ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر أحمر وأزرق له دوى كدوى الرعد يأخذ الصخور من بين يديه وينتهى إلى محط الركب العراقى واجتمع من ذلك ردم

صار كالجبل العظيم وانتهت النار إلى قرب المدينة ومع ذلك فكان يأتى المدينة نسيم بارد وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر وقال بعض أصحابنا رأيتها صاعدة فى الهواء من نحو خمسة أيام وسمعت انها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى وقال القاضى سنان وطلعت إلى الامير اى أمير المدينة وكان عز الدين منيف وقلت له قد أحاط بنا العذاب فارجع إلى الله تعالى قال فأعتق كل مماليكه ورد على الناس مظالمهم وأبطل المكس ثم هبط الامير إلى النبى ﷺ وبات فى المسجد ليلة السبت ومعه جميع أهل المدينة حتى النساء والصغار وحتى أهل النخيل وباتوا يتضرعون ويبكون وأحاطوا بالحجرة الشريفة كاشفين رؤسهم مقرين بذنوبهم مستجيرين بنبيهم فصرف الله عنهم تلك النار العظيمة ذات الشمال فسارت من مخرجها وسارت ببحر عظيم من النار وأخذت فى وادى احيلين وأهل المدينة يشاهدونها من دورهم كأنها عندهم واستمرت مدة ثلاثة أشهر قال المطرى وكانت تذيب الحجر ولا تحرق الشجر وذكر القسطلانى أن هذه النار لم تزل مارة على سبيلها حتى اتصلت بالحرة ووادى الشظاه وهى تسحق ماوالاها وتذيب مالاقاها من الشجر الاخضر والحصا من قوة الحر وان طرفها الشرقى آخذ بين الجبال فحالت دونها فوقفت وأن طرفها الغربى وهو الذى يلى الحرم اتصل بجبل يقال له وعيرة على قرب من شرق جبل أحد ومضت فى الشظاة التى فى طرفه وادى حمزة ثم استمرت حتى استقرت تجاه حرم النبى ﷺ فطفئت قال واخبرنى من اعتمد عليه أنه عاين حجرا ضخما من حجارة الحرة كان بعضه خارجا عن حد الحرم فعلقت بما خرج منه فلما وصلت إلى مادخل منه فى الحرم طفئت وخمدت قال وهذا أولى بالاعتماد من كلام المطرى أنها كانت تحرق الحجر دون الشجر وأن رجلا مد إليها نبلا فأحرقت النصل ولم تحرق الخشب فإن المطرى لم يدرك هذه النار وقال المؤرخون واستمرت هذه النار مدة ظهورها تاكل الاحجار والجبال وتسير سيرا ذريعا فى واد يكون مقداره أربعة فراسخ وعرضه أربعه أميال وعمقه قامتان ونصف وهى تجرى على وجه الأرض والصخر يذوب حتى يبقى مثل الآنك فإذا خمد أسود بعد أن كان أحمر ولم يزل يجتمع من هذه النار الحجارة المذابة فى آخر الوادى عند منتهى الحرة حتى قطعت فى وسط وادى الشظاة إلى جهة جبل وعيرة فسدت الوادى المذكور بسد عظيم من الحجر المسبوك ولا كسد ذى القرنين يعجز عن وصفه ولا مسلك لإنسان فيه ولا دابة وقال العماد بن كثير أخبرنى القاضى صدر الدين الحنفى قال أخبرنى والدى صفى الدين مدرس مدرسة بصرى أنه أخبره غير واحد من الاعراب ممن كان بحاضرة بلدة بصرى انهم

رأوا صفحات أعناق ابلهم فى ضوء تلك النار مصداق قوله ﷺ وقد كان إقبال هذه النار من جهة مشرق المدينة فى جهة طريق السوارقية وهناك حبس سيل فإنه بين حرة بنى سليم والسوارقية وبعد انطفاء النار فى هذه السنة احترق مسجد النبى ﷺ وزادت دجلة زيادة عظيمة فغرق أكثر بغداد وتهدمت دار الوزير وكان ذلك إنداراً لهم وفى السنة التى تلى هذه السنة وقعت الطامة الكبرى وهى أخذ التتار لبغداد وقتل الخليفة المستعصم وبذل السيف ببغداد نيفا وثلاثين يوما وأخرجت الكتب فألقيت تحت أرجل الدواب وشوهد بالمدينة النظامية معالف الدواب مبنية بالكتب موضع اللبن وخلت بغداد من أهلها واستولى عليها الحريق واحترقت دار الخلافه وعم الحريق أكثر الاماكن حتى القصور البرانية وتربة الرصافة مدفن ولاة الخلافة ورؤى على بعض حيطنها مكتوبا شعر

أن ترد عبرة فهذى بنو العبا س دارت عليهم الدائرات
استبيح الحريم إذقتل الأحيا ء منهم واحرق الأموات

وقال بعضهم شعر

سبحان من أصبحت مشيئته جارية فى الورى بمقـــدار
فى سنة أغرق العراق وقد أحرق أرض الحجاز بالنار

ثم كثر الموت والفناء ببغداد وطوى بساط الخلافة منها فلله الامر من قبل ومن بعد يعز من يشاء ويذل من يشاء هذا ملخص تاريخ السمهودى وهذه النار غير النار التى تخرج آخر الزمان تحشر الناس إلى محشرهم تبيت معهم وتقيل وستأتى فى القسم الثالث إن شاء الله تعالى .. ومنها ظهور الرفض واستبداد الرافضة بالملك وإظهار الطعن واللعن على جناب الصحابة الكرام وهذا أعظم الفتن وأشد المحن وموت السنن فقد روى الدارقطنى عن فضيل بن مرزوق عن أبى الحجاف داود بن أبى عوف عن محمد بن عمرو ابن الحسين عن زينب يعنى بنت على بن أبى طالب عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أنه ﷺ قال لعلى ياأبا الحسن أما إنك وشيعتك فى الجنة وان قوما يزعمون أنهم يحبونك يصغرون الإسلام ثم يرفضونه ويلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم نبز يقال لهم الرافضة فإن أدركتهم فقاتلهم فانهم مشركون وأخرجه من طريق أبى الحجاف عن أبى جعفر الباقر عن فاطمة الصغرى عن فاطمة الكبرى عن النبى ﷺ به ثم قال الدارقطنى ولهذا الحديث عندنا طرق كثيرة كتبناها فى مسند فاطمة رضى الله عنها

وتقصيناها هناك ثم أخرج عن أم سلمة رضي الله عنها نحوه وزادت في آخره قالوا يارسول الله ماالعلامة فيهم قال لايشهدون جمعة ولاجماعة ويطعنون على السلف الأول وروى الطبراني وأبو نعيم في الحلية والخطيب البغدادي وابن الجوزي وفي سنده محمد ابن حجارة ثقة غال في التشيع روى له الشيخان ورواه ابن أبي عاصم في السنة وابن شاهين وابن بشران والحاكم في الكنى وخيثمة بن سليمان الطرابلسي في فضائل الصحابة واللالكائي في السنة كلهم عن على كرم الله وجهه قال قال لى رسول الله ﷺ أنت وشيعتك في الجنة وسيأتي قوم لهم نبز أى لقب يقال لهم الرافضة فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فانهم مشركون زاد بن أبي عاصم وابن شاهين في روايتهما قلت يارسول الله ماالعلامة فيهم قال يقرظونك أى يمدحونك بماليس فيك ويطعنون على أصحابي ويشتمونهم وفي رواية ابن بشران والحاكم ينتحلون حبك يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم وفي رواية خيثمة واللالكائي به قال على سيكون بعدنا قوم ينتحلون مودتنا تكون علينا مارقة وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر وفي لفظ اللالكائي لهم نبز يسمون الرافضة يعرفون به ينتحلون شيعتنا وليسوا من شيعتنا وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر وروى أحمد وأبو يعلى والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام فاذا رأيتموهم فاقتلوهم فانهم مشركون ولفظ الطبراني باسناد حسن عنه كنت عند النبي ﷺ وعنده على فقال ﷺ سيكون في أمتي قوم ينتحلون حب أهل البيت لهم نبز يسمون الرافضة فاقتلوهم فانهم مشركون وأخرج أيضا من طرق من طريق أهل البيت عن على رضي الله عنه مرفوعا يظهر في أمتي آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام وروى خشيش وابن أبي عاصم والأصبهاني عنه كرم الله وجهه قال يهلك فينا أهل البيت فريقان محب مفرط وباهت مفتر وفي لفظ يهلك في رجلان محب مفرط يقرظني بما ليس في ومبغض مفرط يحمله شنآني على أن يبهتني ورواه أحمد في مسنده بهذا اللفظ وفي رواية يحبني قوم حتى يدخلهم حبي النار وكل محب لسال غال وفي لفظ يقتل في آخر الزمان كل من على رأى على وحسن وفي لفظ كل من على رأى حسن وأبي حسن وذلك اذا افرطوا في كما أفرطت النصارى في عيسى بن مريم فانثالوا على ولدى فاطاعوهم طلبا لدنيا وأخرج محمد بن سوقة عنه كرم الله وجهه قال تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة شرها من ينتحل حبنا ويفارق أمرنا وصح أن من أشراط الساعة أن يلعن آخر هذه الأمة أولها ومن ذلك هذه الطائفة

أنهم قتلوا العلماء بأكثر البلاد بل ونبشوا قبورهم واستهانوا بكثير من مشاهد هذه الأمة حين استولوا على بغداد ولار وشيراز وغيرها وناهيك أن شيراز كان دار العلم والسنة والآن صار معدن الرفض وحصر هؤلاء العبادة والدين فى السب وضموا إلى الصحابة السلف الصالح وأئمة المذاهب فلم يتركوا أحداً من أهل السنة والجماعة حيا وميتا إلا وسبوه على المنابر والمنائر ويدعون أنهم شيعة على وينتحلون حب أهل البيت وليسوا من ذلك فى شىء فإن من علامة المحب الاقتداء بمن يحبه وأدنى صفاته كرم الله وجهه الزهد فى الدنيا وعدم شق عصا الإسلام وعن موسى بن على بن الحسين بن على عليهم السلام وكان فاضلا عن أبيه عن جده قال إنما شيعتنا من أطاع الله تعالى وعمل مثل أعمالنا وقد ورد غير ماحديث فى مدح شيعته وإنهم يدخلون الجنة معه منها ما مر ومنها مارواه الإمام على بن موسى الرضى عن آبائه عن على عليهم السلام أن رسول الله ﷺ قال له أنت وشيعتك تردون على الحوض ظماء مقمحين أخرجه الطبرانى فى الكبير بسند ضعيف وما روى الحافظ جمال الدين الزرندى عن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية قال النبى ﷺ هو أنت وشيعتك تأتون يوم القيامة راضين مرضيين ويأتى عدوك غضابا مقمحين فقال ومن عدوى قال من تبرأ منك ولعنك فقد بين ﷺ عدوه وأن من لم يفعل ذلك فهو من شيعته لا من عدوه وقد بين على كرم الله وجهه صفات شيعته وعلاماتهم حتى لا يلتبس بهم مدع فقد روى الدينورى وابن عساكر عن المدايني قال نظر على بن أبى طالب الى قوم ببابه فقال لقنبر ياقنبر من هؤلاء قال هؤلاء شيعتك قال ومالى لا أرى فيهم سيما الشيعة قال وماسيما الشيعة قال خمص البطون من الطوى يبس الشفاه من الظمأ عمش العيون من البكا وقد صح عنه كرم الله وجهه قوله لايجتمع حبى وبغض أبى بكر وعمر فى قلب مؤمن وروى صاحب المطالب العالية عن نوف البكالى أن أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه خرج يوم المسجد وقد أقبل إليه جندب بن نضير بن نصير والربيع بن خيثم وابن أخيه همام ابن عباد بن خيثم وكان من أصحاب البرانس المتعبدين فأفضى على وهم معه إلى نفر فأسرعوا إليه قياما وسلموا عليه فرد التحية ثم قال من القوم فقالوا أناس من شيعتك ياأمير المؤمنين فقال لهم خيرا ثم قال ياهؤلاء مالى لاأرى فيكم صحة شيعتنا وحلية احبتنا فأمسك القوم حياء فأقبل عليه جندب والربيع فقـــالا له ماسمة شيعتكم يا أمير المؤمنين فسكت فقـال همام وكان عابدا مجتهدا أسألك بالذى أكرمكم أهل البيت وخصكم

وحبا كم لما أنبأتنا بصفة شيعتكم قال فسأنبئكم جميعا ووضع يده على منكب همام وقال شيعتناهم العارفون بالله العاملون بأمر الله أهل الفضائل الناطقون بالصواب مأكولهم القوت وملبوسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع بخعوا الله بطاعته وخضعوا إليه بعبادته مضوا غاضين أبصارهم عما حرم الله عليهم موقفين أسماعهم على العلم بدينهم نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كالذى نزلت منهم فى الرخاء رضاء عن الله بالقضاء فلولا الآجال التى كتب الله تعالى لم تستقر أرواحهم فى أجسادهم طرفة عين شوقا إلى لقاء الله تعالى والثواب وخوفا من أليم العقاب عظم الخالق فى أنفسهم وصغر مادونه فى أعينهم فهم والجنة كن رآها فهم على أرائكها متكئون وهم والنار كن رآها فهم فيها يعذبون صبروا أياما قليلة فأعقبهم راحة طويلة أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وطلبتهم فأعجزوها أما الليل فصافون أقدامهم تالون لأجزاء القرآن ترتيلا يعظون أنفسهم بأمثاله ويستشفون لدائهم بدوائه تارة وتارة مفترشون جباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم يمجدون جبارا عظيما ويجأرون إليه فى فكاك رقابهم هذا ليلهم فأما نهارهم فحكماء علماء بررة أتقياء براهم خوف بارئهم فهم تحسبهم مرضى أوقد خولطوا وماهم بذلك بل خامرهم من عظمة ربهم وشدة سلطانه ماطاشت له قلوبهم وذهلت منه عقولهم فإذا استفاقوا من ذلك بادروا إلى الله تعالى بالأعمال الزكية لا يرضون له بالقليل ولا يستكثرون له الجزيل فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون ترى لأحدهم قوة فى دين وحزماً فى لين وإيمانا فى يقين وحرصا على علم وفهما فى فقه وعلما فى حلم وكيسا فى قصد وقصدا فى غناء وتجملا فى فاقة وصبرا فى شدة وخشوعا فى عبادة ورحمة لمجهود وإعطاء فى حق ورفقا فى كسب وطلبا فى حلال ونشاطا فى هدى واعتصاما فى شهوه لا يغره ماجهله ولا يدع إحصاء ماعمله يستبطىء نفسه فى العمل وهو من صالح عمله على وجل يصبح وشغله الذكر ويمسى وهمه الشكر يبيت حذرا من سنة الغفلة ويصبح فرحا بما أصاب من الفضل والرحمة رغبته فيما يبقى وزهادته فيما يفنى وقد قرن العلم بالعمل والحكم بالعلم دائما نشاطه بعيداً كسله قريبا أمله قليلا زلله متوقعا أجله خاشعا قلبه ذاكرا ربه قانعة نفسه محرزا دينه كاظما غيظه آمنا منه جاره سهلا أمره معدوا كبره بينا صبره كثيرا ذكره لايعمل شيئا من الخير رياء ولا يتركه حياء أولئك شيعتنا وأحبتنا ومنا ومعنا ألا ماأشوقنا إليهم فصاح همام صيحة فوقع مغشيا عليه فحركوه فاذا هو قد فارق الدنيا فغسل وصلى عليه أمير المؤمنين ومن

معه رحمه الله فهؤلاء هم شيعته لا من لا يعلم من دينه إلا حلق اللحية أو قصها و تعمير القدرة بالتنباك و مصها وسب الشيخين وبغضهما و رفع النصير المنجم وخفضهما والطعن على الصحابة والصدر الأول والتمسك بأكاذيب ماعليها معول ونسبة ام المؤمنين الصديقة عائشة المبرأة فى بضع عشرة آية من القرآن إلى الفاحشة ولنعم ماقال زين العابدين على بن الحسين السجاد رضى الله عنه لجماعة نالوا من الصحابة عنده هل أنتم من المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا الآية قالوا لا قال هل أنتم من الذين تبوؤا الدار والأيمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم الآية قالوا لا قال فأنا أشهد بين يدى الله يوم القيامة انكم لستم من الذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان فمن أنتم نسأل الله العفو والعافية فى الدارين ونعوذ به من الخذلان والمكر والاستدراج ومن يضلل الله فماله من هاد ومنها خروج دجالين كذابين كلهم يدعى انه رسول الله كما أخبر به ﷺ فقد روى أبو داود والترمذى وصححه ابن حبان وهو طرف من حديث أخرجه عن ثوبان انه ﷺ قال سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون كلهم يزعم انه نبى وأنا خاتم النبيين لا نبى بعدى وفى رواية البخارى لاتقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ولأحمد وابى يعلى من حديث عبد الله بن عمر وبين يدى الساعة ثلاثون دجالا كذابا وفى حديث على عند أحمد نحوه وفى حديث ابن مسعود عند الطبرانى نحوه وفى حديث سمرة لاتقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا آخرهم الاعور الدجال أخرجه أحمد والطبرانى وأصله عند الترمذى وصححه وفى حديث ابن الزبير أن بين يدى الساعة ثلاثين كذابا منهم الاسود العنسى صاحب صنعاء وصاحب اليمامة يعنى مسيلمة وفى حديث عبد الله بن عمر وثلاثون كذابا أو أكثر قلت ما آيتهم قال يأتونكم بسنة لم تكونوا عليها يغيرون سنتكم فاذا رأيتموهم فاجتنبوهم وفى رواية عبد الله ابن عمرو عند الطبرانى لاتقوم الساعة حتى يخرج سبعون كذابا ونحوه عند أبى يعلى من حديث أنس قال الحافظ ابن حجر وسندهما ضعيف وهو إن ثبت محمول على المبالغة لا على التحديد وأما التحديد ففيما أخرجه أحمد عن حذيفة بسند جيد سيكون فى أمتى كذابون سبعة وعشرون منهم أربع نسوة وانا خاتم النبيين لا نبى بعدى وهذا يدل على أن رواية الثلاثين بالجزم على طريق جبر الكسر ويؤيده حديث البخارى المار قريب من ثلاثين قال ويحتمل أن يكون ماذكر من الثلاثين أو نحوها يدعون

النبوة ومن زاد عليهم كما فى رواية أو أكثر ورواية سبعون يكون كذابا فقط لكن يدعون ألى الضلال كغلاة الرافضة والباطنية والحلولية وسائر الفرق الدعاة إلى مايعلم بالضرورة انه خلاف ماجاء به محمد ﷺ قال ويؤيده أن فى حديث على عند أحمد فقال على لعبد الله بن الكوا وإنك لمنهم وابن الكوا لم يدع النبوة وإنما كان يغلو فى الرفض انتهى قلت ويؤيده أيضا ما فى حديث ابن عمرو المار قلت وما آيتهم قال يأتونكم بسنة لم تكونوا عليها الخ وقد كان منهم الاسود العنسى صاحب صنعاء ومسيلمة الكذاب صاحب اليمامة كما أخبر به ﷺ وقدمرآنفا فى حديث الزبير وكان من خبرهما كما ذكره البقاعى فى اللامعة المنيرة أن النبى ﷺ لما رجع من حجة الوداع حصل له مرض عوفى منه ثم مرض عن قريب مرض الموت فطارت الاخبار فى ذلك المرض الأول بأنه ﷺ قد اشتكى فادعى الكذابان مادعيا وفعلا من الشر مافعلا فبلغ النبى ﷺ خبرهما وهو مريض بعد ماضرب بعث أسامة رضى الله عنه فخرج صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه فقال إنى رأيت فى يدى سوارين من ذهب فكرهتهما فطارا فاولهما الكذابين للذين أنا بينهما صاحب اليمن وصاحب اليمامة فارتد العنسى فى مذحج وكان صاحب شعبذة يظهر بها عجائب وله شيطانان يخبرانه بغالب أسرار الناس يقال لاحدهما سحيق والآخر شقيق وله منطق حلو فغلب على اليمن فى ناحية صنعاء وهرب منها أمراؤه صلى الله عليه وسلم وكان يقال له ذو الخمار لأنه لايزال متبرقعا معتما وقيل ذو الحمار بالمهملة لأنه كان له حمار معلم يقال له اسجد لربك فيسجد ويقال له ابرك فيبرك ولما سمع أهل نجران خبر الاسود أرسلوا إليه فدعوه إلى بلادهم لجاءهم فتبعوه وارتدوا عن الاسلام ثم أخذ منهم ستمائة وسار بهم إلى صنعاء فغلب عليها ونزل غمدان واستنزل الابناء وأما مسيلمة الكذاب فخرج فى بنى حنيفة ونازعه قومه فقال إنى اشركت فى الامر وجعل يسجع لهم بما يضاهى القرآن بزعمه فاستخفهم بذلك فلما مالوا إليه أسقط عنهم الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا ونحو ذلك وكثر اتباعه وكتب النبى صلى الله عليه وسلم إلى الابناء فى أمر الاسود وكانوا قد ثبتوا على الاسلام فقتله فيروز الديلمى غيلة بمواطأة زوجته المرزبانة وقد كان قهرها على نكاحها وكانت من الخيرات ومن عظماء أهل فارس ونادوا بالاذان عند الصباح فقالوا نشهد ان الاسود كذاب وشنوها غارة فتراجع أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وتفرق أصحابه فقتلوا منهم خلقا وجاء النبى صلى الله عليه وسلم خبر السماء بذلك فأخبر الناس به قبل موته بيوم أو بليلة وقيل بخمسة أيام

ثم وصل الكتاب بذلك بعد موته ﷺ بعشرة أيام وكانت مدة الاسود أربعة أشهر وأما مسيلمة فغزاه خالد بأمر أبى بكر رضى الله عنهما وقتل منهم خلقا كثيرا وصالح بقيتهم على ربع الخيل والسلاح وقتل من الصحابة رضى الله عنهم خلق كثير من قراء القرآن وكان ذلك سبب جمع أبى بكر القرآن فى الصحف وكذا ابن الصياد ان قلنا انه ليس الدجال الكبير كما هو ظاهر حديث الجساسة التى رآها تميم الدارى وهو الذى رجحه الحافظ بن حجر فى فتح البارى وسيأتى بحقيقة وخرج فى زمن أبى بكر طليحة بن خويلد الأسدى فى بنى أسد بناحية خيبر وآزرهم غطفان وادعى النبوه ثم تاب ورجع إلى الاسلام كذا قال فى فتح البارى لكن عند ابن عساكر من طرق انه خرج وعهد النبى صلى الله عليه وسلم فوجه إليه النبى ﷺ ضرار بن الازور فاشجوا طليحة وأخافوه ثم جاءهم موت النبى ﷺ فارفض الناس إلى طليحة واستطار أمره ولم يقدروا عليه حتى غزاه خالد بأمر أبى بكر رضى الله عنهما فهزمه خالد فهرب منه إلى الشام إلى ملوك

ثم رجع إلى الاسلام وحسن إسلامه فعلى هذا نسمة خروجه إلى زمان أبى بكر لاستطارة أمره فيه وتنبأت ايضا سجاح بنت سويد بن يربوع فى فرسان تغلب واتفقت تميم كلها على نصرها وفيهم رؤساء الناس كالاحنف بن قيس وحارثة بن بدر ونظراؤهما وفيها يقول عطارد بن حاجب .

أضحت نبيتنا انثى نطيف بها ... وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

فركبت على ذباب وقتلت فيهم قتلا ذريعا ثم قصدت اليمامة فلما سمع مسيلمة ضاق ذرعا وتحصن فأحاطت جيوشها به فاستشار وجوه قومه فقالوا الرأى أن تسلم الأمر إليها وتنجو بنفسك فقال سأنظر فى أمرى ثم أرسل اليها يقول أما بعد فانه أنزل عليك وحى وعلى وحى فهلم نتدارس ما أنزل علينا فمن غلب صاحبه اتبعه الآخر فأجابته إلى ما طلب فضرب لها قبة من أدم وأمر بالعود المندلى فأحرق وقال كثروا لها الطيب فان المرأة إذا شمت الطيب تذكرت الباه فانتهت إلى القبة وسألته عما أنزل عليه فقال ألم تر الى ربك كيف فعل بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى وأمات وأحيى والى الله المنتهى قالت ثم ماذا قال ألم تر أن الله خلقنا أفواجا وجعل النساء لنا أزواجا نولج فيهن إيلاجا ونخرج منهن اذ إشئنا اخراجا فضحكت فأنشأ يقول :

ألا قومى الى المخدع ... فقد هيء لك المضجع

فان شئت فرشناك وأن شئت على أربع
وأن شئت بثلثيه وأن شئت به اجمع

قالت بل به أجمع قال كذلك أمرت وواقعها فلما قام عنها قالت إن مثلى لاتنكح هكذا فانه وصمة على قومى ولكنى مسلمة إليك النبوة فإذا سلمتها إليك فاخطبنى إلى أوليائى ففعل، واتبعته فتزوجها وسألوه عن المهر قال قد وضعت عنكم صلاة العصر قال الرشاطى فبنو تميم إلى الآن بالرمل لايصلون صلاة العصر ويقولون مهر كريمة لنا لانرده وفى ذلك قال الشاعر :

إن سجاح لاقت الكذابا بنية خلت الكتابا
وجعلت كعبتها قرابا أو قب فيه أيره إيقابا

ثم رجعت إلى الإسلام فى زمن معاوية وحسن اسلامها وخرج المختار فى زمن ابن الزبير وعبد الملك فانه كان يدعى أنه يوحى إليه ويكتب فى مكاتيبه من المختار رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكاياته ووقائعه وفتنته كثيرة شهيرة عن عدى بن خالد أنه صلى الله عليه وسلم قال أحذركم الدجالين الثلاثة قيل يارسول الله قد أخبرتنا عن الدجال الاعور وعن أكذب الكذابين فمن الثالث قال رجل من قوم أولهم مثبور وآخرهم مثبور عليهم اللعنة دائبة فى فتنة يقال لها الجارفة وهو الدجال الأكاسر يأكل عباد الله بآل محمد وهو أبعد الناس من سنته رواه ابن خزيمة والحاكم والطبرانى وعن أسماء يخرج من ثقيف ثلاثة الذيال والكذاب والمبير رواه نعيم بن حماد وفى رواية يخرج من ثقيف كذاب ومبير قالوا الكذاب هو المختار بن أبى عبيد والمبير هو الحجاج ابن يوسف الثقفيان وخرج المتنبى الشاعر المشهور ثم تاب وخرج جماعة فى زمن بنى العباس منهم فى أيام المعتمد قائد فتنة الزنج بهبود لعنه الله الذى أفسد فى العراق وأهان آل الرسول وستأتى الاشارة الى أحواله فى أواخر هذا الباب كان يدعى أنه أرسل الى الخلق فرد الرسالة وأنه مطلع على المغيبات وفى خلافة المكتفى خرج يحيى بن زكرويه القرمطى ثم بعده أخوه الحسين وأظهر شامة فى وجهه وزعم أنها آيته وجاء ابن عمه عيسى بن مهرويه وزعم أن لقبه المدثر وأنه المعنى فى السورة ولقب غلاما له المطوق بالنور فظهر على الشام وعاث وأفسد ودعا له الناس على المنابر ثم قتل الى لعنة الله تعالى وخرج فى خلافة المقتدر أبو طاهر القرمطى الذى قلع الحجر الا سود وكان يقول .

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا

وستأتى الإشارة الى فتنته وفى خلافة الراضى ظهر محمد بن على السلمغانى المعروف بابن ابى العراق وقد شاع عنه أنه يدعى الإلهية وأنه يحيى الموتى فقتل وصلب وقتل

معه جماعة من أصحابه وظهر فى خلافة المطيع قوم من التناسخية فيهم شاب يزعم أن روح على انتقلت اليه وامرأته تزعم أن روح فاطمة انتقلت اليها وآخر يدعى أنه جبريل فضربوا فتعزوا بالانتماء الى أهل البيت فأمر معز الدولة بإطلاقهم وفى خلافة المستظهر فى سنة تسع وتسعين وأربعمائة ظهر رجل بنواحى نهاوند وادعى النبوة وتبعه خلق فاخذ وقتل وخرج جماعة آخرون بالمغرب وغيرها فى الرجال والنساء فنهم رجل تسمى بلا وحرف الحديث المشهور لانبى بعدى لجعله اخبارا منه صلى الله عليه وسلم بأن لاأى صاحب هذا الاسم نبى بعدى ويقول لا «لا» فى الحديث مبتدأ ونبى خبره الفازاوى الساحر الذى بمالقة وأخرج بسببه أبو جعفر بن الزبير الى غرناطة ثم اتفق قدوم الفازاوى رسولا من أميرها الى غرناطه فسعى أبو جعفر المذكور فى قتله فقتلوه ومنهم امرأة ادعت النبوة فذكروا لها الحديث فقالت انما قال لانبى ولم يقل لانبية الى غير ذلك والحاصل أن عدد سبعة وعشرين قدتم أوكاد يتم وأما مطلق الكذابين فلا حصر لهم ومن هذا القسم من يدعى أنه مهدى وهؤلاء أيضا كثيرون ومنهم من دعى أنه صحابى رأى النبى صلى الله عليه وسلم كالمعمر المشهور بالهند ولاشك أن ماأخبر به الصادق لصادق وأن الدين لواقع . ومنها فتح بيت المقدس عن عوف بن مالك مرفوعا أعدد بين يدى الساعة ستا موتى وفتح بيت المقدس وقد فتح مرتين مرة فى زمن عمر ومرة فى زمن الاكراد الايوبية فتحه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الملك الناصر وكان من اعظم فتوح الإسلام ثم بعد موته رده بعض أولاده الى النصارى ثم استرده حفيده داود الملك الناصر وأنشد فى ذلك بعض الشعراء يهنيه .

المسجد الأقصى له عادة سارت فصارت مثلا سائرا
اذا غدا بالكفر مستوطنا أن يبعث الله له ناصرا
فناصر طهره أولا وناصر طهره آخرا

ومنها فتح المدائن عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه لاتقوم الساعة حتى يفتح القصر الأبيض الذى فى المدائن ولا تقوم الساعة حتى تسير الظعينة من الحجاز الى العراق آمنة لاتخاف شيئا قال عدى فقد رأيتهما جميعا وكان وقوعهما فى زمن عمر رضى الله عنه .. ومنها هلاك العرب أعنى زوال ملكهم عن طلحة بن مالك قال من اقتراب الساعة هلاك العرب رواه الترمذى وقد زال ملك العرب بزوال الملك عن بنى العباس وقد مر ومنها كثرة

المال وفيضه روى الشيخان عن أبي هريرة لاتقوم الساعة حتى يكثر المال فيكم فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لا أرب لاحاجة لى فيه وهذا وقع فى زمن عثمان كثرت الفتوح حتى اقتسموا أموال الفرس والروم ووقع فى زمان عمر بن عبد العزيز أن الرجل يعرض ماله للصدقة فلا يجد من يقبل صدقته وسيقع فى آخر الزمان فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وسيأتى فى القسم الثالث . ومنها أن تزول الجبال عن أماكنها روى الطبرانى عن سمرة رضى الله عنه لاتقوم الساعة حتى تزول الجبال عن أماكنها ونقل السيوطى فى تاريخ الخلفاء أن فى سنة اثنين وأربعين بعد المائتين فى خلافة المتوكل سار جبل اليمن عليه مزارع لأهله حتى أتى مزارع آخرين وفى سنة ثلثمائة فى خلافة المقتدر ساخ جبل بدينور فى الأرض وخرج من تحته ماء كثير أغرق القرى ومنها وقوع ثلاث خسوفات عن أم سلمه رضى الله عنها سيكون بعدى خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف فى جزيرة العرب قيل أتخسف الأرض وفيهم الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث رواه الطبرانى وعن حذيفة بن أسيد رضى الله عنه قال اطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر الساعة فقال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر منها ثلاث خسوفات خسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب رواه الستة الا البخارى وقد وقعت الخسوفات الثلاثة فوقع فى خلافة سليمان ابن عبد الملك أنه ورد كتاب ابن هبيرة فيه أن ببخارى وقت السحر سمع قعقعة عظيمة من السماء ودوى كالرعد القاصف أسقطت منه الحوامل فنظروا فاذا قد انفرج من السماء فرجة عظيمة ونزل أشخاص عظام رؤسهم فى السماء وأرجلهم فى الأرض وقائل يقول ياأهل الأرض اعتبروا بأهل السماء هذا صفوائيل الملك عصى الله فعذب فلما طلع النهار أتى الناس الى ذلك الموضع فوجدوا خسفا عظيما لايدرك له قرار يصعد منه دخان أسود أثبت ذلك على قاضى بخارى بأربعين عدلا كذافى السكردان وفيه شىء لقوله تعالى لايعصون الله ماأمرهم لكن تجوزه قصة هاروت وماروت والله قادر على كل شىء وفى سنة ثمان ومائتان خسف ثلاث عشرة قرية بالمغرب وفى سنة أربع وثلاثين وثمانمائة فى شعبان وقعت زلزلة بغرناطة وخسف بعدة أماكن وانهدم بعض ذكر ذلك فى أنباء الغمر وفى خلافة المطيع فى سنة ست وأربعين وثلثمائة وقع بالراى ونواحيها زلازل عظيمة وخسف ببلد طالقان ولم يفلت من أهلها الا نحو ثلاثين

نفسا وخسف بمائة وخمسين قرية من قرى الرى واتصل الأمر إلى حلوان فخسف بأكثرها وقذفت الأرض عظام الموتى وتفجرت فيها المياه وتقطع بالرى جبل وعلقت قرية بين السماء والأرض بمن فيها نصف نهار ثم خسف بها وانخرقت الأرض خروقا عظيمة وخرج منها مياه منتنة ودخان عظيم كذا نقله السيوطى عن ابن الجوزى وفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة خسفت قرية من أعمال بصرى وفى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة خسف بلد بحيرة وصار مكان البلد ماء أسود وخسف فى زماننا بعدة قرى من ناحية إذربيجان وخراسان وغيرهما من ديار العجم ولا تكاد تنحصر الخسوفات ومنها كثرة الزلازل وكثرة القتل والرجف عن أبى هريرة رضى الله عنه لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل رواه البخاري وابن ماجه وعند ابن عساكر عن عروة ابن رويم عن الأنصارى عنه صلى الله عليه وسلم يكون فى أمتى رجفة يهلك فيها عشرة آلاف عشرون ألفا ثلاثون ألفا يجعلها الله موعظة للمتقين ورحمة للمؤمنين وعذابا للكافرين وقد وقع فى خلافة المتوكل سنة اثنين وثلاثين ومائتين زلزلة مهوله بدمشق سقطت منها دور وهلك تحتها خلق وامتدت إلى انطاكية فهدمتها وإلى الجزيره فأحرقتها وإلى الموصل فقال هلك من أهلها خمسون ألفا وفى سنة اثنين وأربعين ومائتين زلزلت الأرض زلزلة عظيمة بتونس وأعمالها وخراسان ونيسابور وطبرستان وأصبهان تقطعت جبال وتشققت الأرض بقدر مايدخل الرجل فى الشق وكان بين الزلزلتين عشر سنين وفى سنة خمس وأربعين ومائتين عمت الزلازل الدنيا فأخربت المدن والقلاع والقناطر وسقط من أنطاكية جبل فى البحر وفى خلافة المعتضد سنة مائتين وثمان وقعت فى الديبل زلزلة عظيمة هدمت عامة البلد فكان عدة من أخرج من تحت الردم مائة ألف وخمسين ألفا وفى سنه أربعمائة وستين وقع بالرملة زلزلة هائلة خربتها حتى طلع الماء من رؤس الآبار وهلك من أهلها خمسة وعشرون ألفا وبعد البحر عن ساحله مسيرة يوم فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون فرجع الماء عليهم فأهلكهم وفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة وقعت زلزلة عظيمة وماجت بغداد نحو عشر مرات وتقطع بحلوان منها جبل وفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة جاءت زلزلة كبرى بمصر والشام والجزيرة فأخربت أماكن كثيرة وقلاعا متعددة وفى سنة اثنين وخمسمائة وقعت زلازل عظيمة بالشام وحلب وشيراز وانطاكية وطرابلس وهلك خلق كثير حتى أن معلما بحماه قام من المكتب ثم عاد فوجد المكتب قد وقع على الصبيان فماتوا

كلهم ولم يأت أحد يسأل على ولده لان أهلهم ماتوا أيضا وهلك كل من في شيراز إلا امرأة وخادما واحدا وانشق تل في حران فظهر فيه بيوت وعمائر ونواويس وانشق في اللاذقية موضع فظهر فيه صنم قائم في الماء وخربت صيدا وبيروت وطرابلس وعكا وصور وجميع بلاد الفرنج وانفرق البحر إلى قبرص وقذف المراكب الى ساحله وتعدى الى ناحية الشرق ومات خلق كثير قال صاحب المرآة مات في هذه السنة نحو من ألف ألف ومائة ألف انسان كذا في الكردان وفي سنة اثنين وستين وستمائة زلزلت مصر زلزلة عظيمة وقد مرت الزلزلة الواقعة بالمدينة قبل خروج النار بها ووقعت في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة بجيرة زلزلة عظيمة عشرة فراسخ في مثلها فأهلكت خلائق كثيرة وفي سنة اثنين وعشرين وتسعمائة وقع بازرنكان زلزلة عظيمة وهلك بسببها عالم كثير والله يفعل مايشاء فهذه هي الزلازل العظام والرجفات التي اعتنى بنقلها في كتب التواريخ وأما الزلازل الصغار فلا تكاد تنحصر وبالله التوفيق . ومنها المسخ والقذف عن ابن عمر مرفوعا يكون في أمتي خسف وقذف رواه أحمد ومسلم والحاكم وعن ابن مسعود رضي الله عنه بين يدي الساعة مسخ وخسف وقذف رواه ابن ماجه وعن أبي أمامة ليبيتن أقوام من أمتي على أكل ولهو ولعب ثم ليصبحن قردة وخنازير رواه الطبراني وعن عائشة يكون في آخر هذه الامة خسف ومسخ وقذف قيل يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث رواه الترمذي وعن عبد الرحمن بن صحار عن أبيه لاتقوم الساعة حتى يخسف بقبائل حتى يقال من بقي من بني فلان رواه أحمد والبغوي وابن قانع والطبراني والحاكم وغيرهم وعن ابن عمر يكون في هذه الامة خسف ومسخ وقذف رواه الترمذي وابن ماجه أما الخسف فقد مر وأما المسخ فقد وقع لاشخاص فقد صح الخبر عن غير واحد ان في زمن فاطمية مصر كانوا يجتمعون بالمدينة يوم عاشوراء في قبة العباس ويسبون الشيخين والصحابة فجاء رجل فقال من يطعمني في محبة أبي بكر فخرج اليه شيخ وأشار اليه أن اتبعني فأخذه الى بيته وقطع لسانه ووضعه في يده وقال هذه لمحبة أبي بكر فذهب الرجل الى المسجد وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيخين بقلبه ورجع ولسانه في يده فقعد حزينا عند باب المسجد وغلبه النوم فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه ومعه أبو بكر فقال لابي بكر إن هذا قطعوا لسانه في محبتك فرد عليه لسانه قال فأخرج لسانه من يده ووضعه في محله فانتبه فاذا لسانه كما كان قبل القطع وأحسن فلم يخبر أحداً بذلك ورجع الى

بلاده فلما كان العام القابل رجع الى المدينة ودخل القبة يوم عاشوراء وطلب شيئا لمحبة أبي بكر فخرج اليه شاب وقال اتبعني فتبعه فأدخله الدار التي قطع فيها لسانه فأكرمه الشاب فقال الرجل اني تعجبت من هذا البيت لقيت فيه العام الماضي مصيبة ومهانة وهذه السنة لقيت ما أرى من الإكرام فقال الشاب كيف القصة فأخبره بالقصة فاكب على يديه ورجليه وقال ذلك أبي وقد مسخه الله قرداً وكشف عن ستارة فاراه قرداً مربوطا فاحسن اليه وتاب عن مذهبه وقال اكتم على أمر والدي ذكر هذه القصة السيد السمهودي وابن حجر في الزواجر والصواعق والقسطلاني في المواهب اللدنية وغيرهم وذكر في الزواجر أنه كان شلب رجل سباب للشيخين فلما مات اتفق شلب على أن ينبشوا قبره فلما نبشوه رأوه قد مسخ خنزيرا فاخرجوه ثم أحرقوه بالنار ويقال قل رافضي الا ويمسخ في قبره خنزيرا والله أعلم وذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء أن في سنة اثنين وثمانين وسبعمائة في خلافة المتوكل سادس الخلفاء العباسيين الذي كانوا بمصر ورد كتاب من حلب يتضمن أن إماما قام يصلي وأن شخصا عبث به في صلاته فلم يقطع الإمام الصلاة حتى فرغ وحين سلم انقلب وجه العابث وجه خنزير وهرب إلى غابة هنا لك كتب بذلك محضراً وأما القذف فقد نقل السيوطي في تاريخ الخلفاء أن في سنة خمس وثمانين ومائتين مطرت قرية بالبصرة حجارة سوداء وبيضاء ووقع برد ووزن البردة مائة وخمسون درهما وفي سنة اثنين وأربعين ومائتين رجمت قرية السويداء بالحجارة وزن حجر من الحجارة فكان عشرة أرطال وفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة في خلافة المقتدر جاءت ريح سوداء ببغداد واشتد الرعد والبرق وسقط رمل وتراب كالمطر وأخبرني ثقة أن في سنة نيف وستين بعد الألف مطرت حجارة سوداء كثيرة عريضة قدر بيض الدجاج وأكبر في الصيف والسماء مصحية ببلاد الأكراد بين همزان وكذرا وكان يسمع لها حس من مسافة يوم وفي وسط شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ورد كتاب إلى مصر من حماة يخبر فيه أنه وقع في هذه الأيام ببارين من عمل حماة برده على صور حيوانات مختلفة فيها سباع وحيات وعقارب وطيور ومعز وبلشون ورجال في أوساطهم حوايص وأن ذلك ثبت بمحضر شرعي عند قاضي الناحية ثم نقل ثبوته إلى قاضي حماة كذا في السكردان والله يفعل ما يشاء . . ومنها الريح الحمراء أي الشديدة والأمور العظام عن علي بن أبي طالب وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اتخذ الفيء دولا والامانة مغنما

والزكاة مغرما وتعلم لغير دين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وآذى صديقه فى أقصى
أباه وظهرت الاصوات فى المسجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم
وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور ولعن آخر
هذه الأمة أولها فار تقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا رواه
الترمذى وعن عبد الله بن حوالة عن النبى صلى الله عليه وسلم إذا رأيت الخلافة قد
نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والامور العظام والساعة يومئذ
أقرب من يدى هذه إلى رأسك رواه أبو داود والحاكم وهذا ان أريد بالخلافة
النازلة إلى الارض المقدسة ملك بنى أمية فقد وقع من الامور العظام ما سنذكر
بعضها وان أريد خلافة المهدى فالمراد بها الآيات القريبة إلى الساعة كالدابة وطلوع
الشمس من مغربها وغير ذلك أما الريح فى سنه اثنين وثلاثين ومائتين فى أول
خلافة المتوكل هبت بالعراق ريح شديدة السموم ولم يعهد مثلها أحرقت زرع
الكوفة والبصرة وبغداد وقتلت المسافرين ودامت خمسين يوما واتصلت بهمذان
فأحرقت الزرع والمواشى واتصلت بالموصل وسنجار ومنعت الناس من المعاش
فى الأسواق ومن المشى فى الطرقات وأهلكت خلقا عظيما وفى سنة ثمانين ومائتين فى
شوال فى خلافة المعتضد أصبحت الدنيا مظلمة إلى العصر فهبت ريح سوداء فدامت إلى
ثلث الليل وأعقبها زلزلة عظيمة أذهبت عامة بلد الديل وفى سنة خمس وثمانين ومائتين
فى خلافته هبت ريح صفراء بالبصر ثم صارت خضراء ثم صارت سوداء وامتدت فى
الامصار وفى خلافة المقتدر جاءت ريح سوداء ببغداد واشتد الرعد والبرق حتى ظن
أنها القيامة وفى خلافة المستظهر هبت بمصر ريح سوداء مظلمة أخذت الانفاس حتى لا يبصر
الرجل يده ونزل على الناس رمل وأيقنوا بالهلاك ثم انجلى قليلا وعاد إلى الصفرة وفى
سنة أربع وعشرين وخمسمائة طلعت سحابة على بلد الموصل فأمطرت نارا وأحرقت ما نزلت
عليه وظهر بالعراق عقارب طيارة فقتلت خلقا عظيما ذكره ابن أبى حجلة وفى سنة ست وتسعين
وخمسمائة هبت ريح سوداء مظلمة بمكة عمت الدنيا ووقع على الناس رمل أحمر ووقع من الركن
اليمانى قطعة وفى سنة ست وعشرين وثمانمائة فى ولاية الأشرف برسباى هبت بمصر ريح برقة
تحمل ترابا أصفر إلى الحمرة وذلك قبل غروب الشمس فاحمر الأفق جدا بحيث صار من لا يدرى
يظن أن بجواره حريقا وصارت البيوت كلها ملأى ترابا ناعما جدا يدخل الأنوف
والامتعة ثم لما تكامل غيبوبة الشفق وعصفت الريح وكانت المعلقة فلو وصلت الأرض

لكان أمرا مهولا وكثر ضجيج الناس فى الأسواق والبيوت بالذكر والدعاء والاستغفار إلى أن لطف الله بإدرار المطر ولم تهب هذه الريح منذ ثلاثين سنة قبلها وانتشرت حتى غطت الأهرام والجيزة والبحر واشتدت حتى ظنوا أنها تدمر كل شىء فدامت تلك الليلة ويوما إلى العصر وكانت سببا فى هيف الزرع وغلاء السعر ذكره الحافظ ابن حجر فى أنباء الغمر وأما الأمور العظام فوقع القحط الشديد مرات منها ماوقع فى زمن الظاهر العبيدى بمصر الغلاء الذى لم يقع مثله منذ زمن يوسف عليه السلام ودام سبع سنين حتى أكل الناس بعضهم بعضا وقيل بيع فيه رغيف بخمسين دينارا وفى زمن المستنصر العبيدى وقع بمصر أيضا القحط سنين متوالية حتى أكل الناس بعضهم بعضا وبلغ الاردب من الحنطة مائة دينار والاردب أربعون صاعا بصاع النبى ﷺ وشىء وبيع الكلب بخمسة دنانير والهرة بثلاثة دنانير وفى سنة خمس وأربعين فى خلافة المقتفى العباسى جاء مطر باليمن كله دم وصارت الأرض مرشوشة بالدم وبقى أثره فى ثياب الناس وفى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ظهر كوكب كأنه دارة القمر ليلة التمام بشعاع عظيم وهال الناس ذلك وأقام عشر ليال ثم تناقص ضوءه وغاب وفى سنة ستين وأربعمائة فى خلافة القائم غرق بالرملة خلق كثير وفى سنة ست وستين وأربعمائة فى خلافة القائم كان الغرق العظيم ببغداد وزادت دجلة ثلاثين ذراعا ولم يقع مثل ذلك قط وهلكت الأموال والأنفس والدواب وركبت الناس فى السفن وأقيمت الجمعة فى الطيار على ظهر الماء مرتين وصارت بغداد كلها ملقة وانهدم مائة ألف دار وفى سنة ثمانين وأربعمائة فى خلافة المقتدر غلب الافرنج على جميع جزيرة صقلية وأسروا وسبوا ذرارى المسلمين وفى سنة إثنين وخمسين وستمائة فى خلافة المستعصم ظهرت نار فى أرض عدن وكان يظهر شررها فى الليل إلى البحر ويصعد منها دخان عظيم فى النهار وفى أيام المعتمد فى سنة ست وستين ومائتين دخلت الزنج البصرة وأعمالها وخربوها وبذلوا السيف وسبوا وهم من الخوارج الذين قتلهم أمير المؤمنين على واعقب ذلك الوباء العظيم فمات خلق كثير لايحصون ثم أعقبه هدات وزلازل فمات تحت الردم ألوف من الناس واستمر القتال مع الزنج إلى سنة سبعين قال الصولى إنه قتل من المسلمين ألف ألف وخمسمائة آدمى وقتل فى يوم واحد بالبصرة ثلثمائة ألف وكان له منبر فى بلده يصعد عليه يسب عثمان وعليا ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة وكان ينادى على المرأة العلوية فى عسكره بدرهمين وثلاثة وكان عند الواحد منهم العشرين من العلويات يستخدمهن فقتل اللعين رئيس الزنج سنة سبعين وكان اسمه بهبود وكان يدعى أنه أرسل إلى الخلق فرد الرسالة وأنه مطلع

على المغيبات ووقع فى زمنه غلاء مفرط بالحجاز والعراق وبلغ كر الحنطة ببغداد مائة وخمسين ديناراً والكرستة أحمال الحمير والبغال واثنا عشر وسقا وفى أيامه انبثق فى نهر عيسى بثق لجاءالماء إلى الكرخ فهدم سبعة آلاف دار وفى زمنه ظهرت القرمطة بالكوفة وهم نوع من الملاحدة وهم الباطنية يدعون أنه لا غسل من الجنابة وأن الخمر حلال وأن الصوم فى السنة يومان ويزيدون فى أذانهم محمد ابن الحنفية رسول الله وأن الحج والقبلة إلى بيت المقدس فى أشياء أخر وفى سنة ست وتسعين وخمسمائة كان بمصر الغلاء المفرط بحيث أكلوا الجيف والآدميين وفشا أكل بنى آدم واشتهر وتعدوا إلى حفر القبور وأكل الموتى وكثرة الموت من الجوع بحيث كان الماشى لايقع قدمه أوبصره إلا على ميت أو قريب من الموت وهلك أهل القرى قاطبة بحيث أن المسافر يمر بالقرية فلا يرى فيها نافخ نار وتجد البيوت مفتحة وأهلها موتى وصارت الطرق مزرعة للموتى ومادبة بلحومهم للطير والسباع ويبعث الاحرار والأولاد بالدراهم اليسيرة واستمر ذلك سنتين .

قال أبو شامة فى الذيل إن العادل الكبير فى هذه السنة كفن من ماله فى مدة يسيرة نحوا من مائتى ألف وعشرين ألف ميت وقيل ثلثمائة ألف من الغرباء وأكلت الكلاب والميتات فى مصر وأكل من الصغار والأطفال خلق كثير حتى أن الوالد يشوى ولده ويأكله وكثر فى الناس هذا حتى صار لا ينكر عليهم ثم صاروا يحتال بعضهم على بعض ويأكلون من يقدرون عليه وإذا غلب القوى على الضعيف ذبحه وأكله وفقد كثير من الأطباء يدعونهم إلى المرضى فيذبحونهم ويأكلونهم وفى سنة ثمان عشرة وسبعمائة حصل بديار بكر والموصل واربل وماردين والجزيرة وميافارقين وغيرها الغلاء العظيم وخربت البلاد وبيع الأولاد وكثر الموت فى الناس حتى أنه مات من جزيرة ابن عمر خمسة عشر ألفا بالجوع وبيع من الأولاد نحـــو ثلاثة آلاف صبى وكان يباع الصبى بنحو عشرة دراهم أو أكثر ويشتريهم التتار ومات أكثر أهل ميافارقين بحيث لم يبق من أسواقها غير ست حوانيت والموصل كان الغلاء بها أكثر من ماردين وبيع بهـا الأولاد بحيث خلت الدور من أهلها وأكلوا الجيف والميتات وباع رجل ولده باثنى عشر درهما وقال قد أنفقت فى ختانه خمسين دينارا وكان المشترون يتحرجون من شراء أولاد المسلمين فكانت المرأة والصبية تجعل نفسها نصرانية وتقر بالنصرانية ليرغب فيها وأهل اربل أكلوا النبات ثم قشور الشجر ثم الجيف

وجاءهم الموت الذريع وجلا الباقى ومات كثير منهم بالثلج ذكر ذلك البرزلى وذيل الروضتين وذكرت ملخصه اللهم إنا نعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع وفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين فى خلافة المتوكل سمع أهل خلاط صيحة عظيمة من جو السماء فمات منها خلق وفى سنة اثنين وأربعين وقع بجبل طائر أبيض دون الرخمة فى رمضان فصاح معاشر الناس اتقوا الله الله الله فصاح أربعين صوتا ثم طار وجاء من الغد ففعل كذلك وكتب البريد بذلك وشهد خمسمائة إنسان سمعوه الى غــــير ذلك من الأمور العظام التى وقعت ومنها انقطــاع طريق الحج ورفع الحجر الأسود من الكعبة عن أبى سعيد رضى الله عنه لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت رواه الحاكم وصححه والبزار وأبو يعلى وابن حبان وعن ابن عمر رضى الله عنهما لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن رواه السجزى وهذان كلاهما قد وقعا. أما انقطاع طريق الحج فى سنة عشرين وثلثمائة انقطع الحج من بغداد إلى سنة سبع وعشرين بسبب فتنة القرامطة وفى سنة خمس وخمسين قطعت بنو سليم الطريق على الحجيج من أهل مصر وأخذوا منهم عشرين ألف بعير بأحمالها وعليها من الأمتعة مالا يقوم كثرة وبقى الحجاج فى البوادى فهلك أكثرهم وفى ثلاث وستين خروج بنى هلال وطائفة من العرب على الحجاج فقتلوا منهم خلقا كثيرا وعطلوا على من بقى منهم الحج فى هذا العام ولم يحصل لأحد حج فى هذه السنة سوى أهل درب العراق وحــــدهم وفى سنة أربع وثمانين وثلثمائة رجع الحاج العراقى من الطريق اعترضهم الأصفر الأعرابى ومنعهم الجواز إلا بالباج فعادوا ولم يحجوا ولا حج أيضا أهل الشام ولا اليمن إنما حج أهل مصر فقط وفى سنة اثنين وتسعين وثلثمائة انفرد المصريون بالحج ولم يحج أحد من بغداد وبلاد الشرق لعبث الأعراب بالفساد وكذا فى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وفى سنة سبع وتسعين انفرد المصريون بالحج ولم يحج أهل العراق لفساد الطريق بالأعراب وفى سنة سبع وأربعمائة انفرد المصريون أيضا ولم يحج أحــــد سواهم وكذا فى سنة ثمان وأربعمائة وفى سبع عشرة وأربعمائة انفرد المصريون أيضا بالحج ولم يحج غيرهم وفى سنة ثمان عشرة وأربعمائة لم يحج أحد لا من المشرق ولا من مصر وغيرها الا طائفة من خراسان حجوا من البحر وفى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة تعطل الحج من الأقاليم بأسرها ومن السنة التى بعدها الى سنة أربعين وأربعمائة لم يحج أحــــد غير أهل مصر ذكر هذا كله السيوطى فى حسن المحاضرة وذكر الحافظ بن حجر فى أنباء الغمر ان فى السنة الثالثة والرابعة والخامسة بعد الثمانمائة لم يحج أحد من طريق الشام وذلك بعد أن طرق تيمور الشام وعاث فيها

أما رفع الحجر فنى خلافة المقتدر وذلك أن المقتدر سير الحاج مع منصور الديلى إلى مكة سالمين فوافاهم يوم التروية عدو الله أبو طاهر القرامطى فقتل الحجيج فى المسجد الحرام قتلا ذريعا وطرح القتلى فى بئر زمزم وضرب الحجر الأسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه وأقام بها أحد عشر يوما ثم رحلوا وبقى الحجر الأسود عندهم أكثر من عشرين سنة ودفع لهم فيه خمسون ألف دينار فأبوا رده حتى أعيد فى خلافه المطيع وقيل إنهم لما أخذوه هلك تحته أربعون جملا من مكة إلى هجر فلما أعيد حمل على قعود هزيل فسمن قال محمد بن الربيع بن سليمان كنت بمكة سنة القرامطة فصعد رجل لقلع الميزاب وأنا أراه فعيل صبرى وقلت ربى ما أحلمك فسقط الرجل على دماغه فمات وصعد القرمطى المنبر وهو يقول :

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا

ولم يفلح أبو طاهر القرمطى بعد ذلك تقطع جسده بالجدرى : وقال محمد بن نافع الخزاعى تأملت الحجر وهو مقلوع فاذا السواد فى رأسه فقط وسائره أبيض وطوله قدر عظم الذراع . وأما هدم البيت كله وانقطاع الحج بالكلية فانما يكون فى آخر الزمان والعياذ بالله وكذلك رفع القرآن وسيأتى فى القسم الثالث إن شاء الله تعالى ومنها رضخ رؤس أقوام بكواكب من السماء عن ابن عباس رضى الله عنهما لا تقوم الساعة حتى ترضخ رؤوس أقوام بكواكب من السماء باستحلالهم عمل قوم لوط رواه الديلى وفى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة انقض كوكب عظيم سمع لانقضاضه صوت هائل واهتزت الدور والأماكن فاستغاث الناس وأعلنوا بالدعاء وظنوا أنه من أمارات القيامة وفى سنة احدى وأربعين ومائتين ماجت النجوم فى السماء وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل وكان أمرا مزعجا لم يعهد مثله وفى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة فى خلافة الراضى فى ذى القعدة انقضت النجوم سائر الليل انقضاضا عظيما ما رؤى مثله وقد وقع بعد ذلك كثيرا أن النجوم والشهب انقضت وقتلت ناسا ومنها ظهور كوكب له ذنب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياسلمان إذا كان حج الملوك تنزها والأغنياء للتجارة والمساكين للمسألة والقراء رياء وسمعة فعند ذلك يظهر نجم له ذنب رواه ابن مردويه وهذا الكواكب قد ظهر مرات آخرها فى سنة خمس وسبعين وألف فى شهر جمادى الآخرة بقى شهرا أو أكثر وكان يسير سيرا أسرع من القمر ومنها كثرة الموت عن عوف بن مالك قال قال النبى صلى الله عليه وسلم اعدد بين الساعة ستا موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتانا كقعاص

الغنم الحديث رواه البخارى وابن ماجه والحاكم فى المستدرك والموتان بضم الميم وإسكان الواو على وزن بطلان الموت الكثير الوقوع قاله فى النهاية وقعاص الغنم بضم القاف وبالعين والصاد المهملتين بينهما ألف داء يأخذ الغنم فلا تلبث أن تموت ومنه ضربه فأقعصه أى مات مكانه وهو وقع فى زمن عمر فى طاعون عمواس وبعد ذلك فى طاعون الجارف وفى الطواعين والوباآت الواقعة فى أقصار الأرض ذكر الحافظ السيوطى فى كتاب ما رواه الواعون فى أخبار الطاعون مالفظه سرد الطواعين الواقعة فى الإسلام . قال ابن أبى حجلة فى تأليفه فى الطاعون أول طاعون وقع فى الإسلام على عهد النبى صلى الله عليه وسلم سنة ست من الهجرة بالمدائن ويعرف بطاعون شيرويه فيما حكاه المدائنى ولم أعلم كم مات فيه فأحكيه قلت ولم يمت فيه أحد من المسلمين وقد أخرج ابن عساكر فى تاريخ دمشق من طريق حماد بن زيد عن أيوب قال قال محمد لم يكن طاعون أشد من ثلاثة طواعين طاعون ازدجرد وطاعون عمواس وطاعون الجارف . وقال المدائنى كانت الطواعين العظام المشهورة فى الإسلام خمسة طاعون شيرويه بالمدائن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم طاعون عمواس ثم طاعون الجارف ثم طاعون الفتيات ثم طاعون الأشراف انتهى الثانى طاعون عمواس بفتح العين المهملة وسكون الميم وقد تحرك وتخفيف الواو وآخره سين مهملة اسم موضع بالشام وكان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة سبع عشرة وقيل ثمان عشرة ومات فيه من جيش المسلمين خمسة وعشرون ألفا وقيل ثلاثون ألفا وقيل سمى طاعون عمواس لأنه لم يقع فى شىء من المواضع سوى ما وقع فيه حكاه الحافظ بن عبد الغنى المقدسى وذكر سيف بن عمر عن شيوخه قالوا لما كان طاعون عمواس وقع مرتين لم ير مثلهما وطال مكثه وذلك أنه وقع بالشام فى المحرم وصفر ثم ارتفع ثم عاد وفنى فيه خلق كثير من الناس حتى طمع العدو وتخوفت قلوب المسلمين لذلك قال سيف وأصاب أهل البصرة أيضا تلك السنة طاعون فمات بشر كثير وجم غفير فى مرآة الزمان لما كان سنة ثمان عشرة أصاب جماعة من المسلمين بالشام الشراب فجلدهم أبو عبيدة بأمر عمر عند ذلك ليحدثن فى هذا العام حادث فوقع الطاعون وقال هشام انما حدث الطاعون بالشام لأجل هؤلاء الذين شربوا الخمر وممن مات فى طاعون عمواس من مشاهير الصحابة أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ ابن جبل وشرحبيل بن حسنة والفضل بن العباس وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو مالك الأشعرى ويزيد بن أبى سفيان أخو معاوية والحارث

ابن هشام أخو أبى جهل أبو جندل الذى جاء يوم الحديبية يرسف فى قيوده وسهيل ابن عمرو الذى قام بمكة يوم مات النبى صلى الله عليه وسلم فثبت الناس وهو والد أبى الجندل ومما قيل فى طاعون عمواس من الشعر قول امرىء القيس حشيش الكندى أورده أبو حذيفة البخارى فى كتاب المبتدأ وابن عساكر فى تاريخه .

رب حرف مثل الهلال وبيضا ء حصان بالجزع من عمواس
قد لقوا الله غير باغ عليهم ثم أضحوا فى غير دار التناسى
فصبرنا لهم كما علم الله وكنا فى الموت أهل تاسى

وقال سيف عن شيوخه خرج الحارث بن هشام فى سبعين من أهله إلى مرتفع الشام فلم يرجع منهم إلا أربعة فقال المهاجر بن خالد فى ذلك :

من يسكن الشام يقدس به والشأم ان لم يأتنا كارب
أفنى بنى ريطة فرسانهم عشرون لم يقصص لهم شارب
ومن بنى أعمامهم مثلهم لمثل هذا يعجب العاجب
طعنا وطاعونا منايام ذلك ما خط لنا الكاتب

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير عمواس بليدة صغيرة بين القدس والرملة كان الطاعون أول ما نجم بها ثم انتشر بالشام منها فنسب إليها وقال البيهقى فى دلائل النبوة باب ما جاء فى أخبار النبى صلى الله عليه وسلم بالطاعون الذى وقع بالشام فى أصحابه فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثم أخرج عن عوف بن مالك الأشجعى قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وهو فى خباء من أدم فقال ياعوف احفظ خلالا ستا بين يدى الساعة إحداهن موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يظهر فيكم يستشهد الله به ذراريكم وأنفسكم ويزكى به أعمالكم ثم استفاضة المال بينكم الحديث وأخرج الحاكم عن عوف بن مالك أنه قال فى طاعون عمواس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعدد ستا بين يدى الساعة قال فقد وقع منهن ثلاث يعنى موته وفتح بيت المقدس والطاعون قال وبقى ثلاث فقال معاذ إن لها أمدا ثم وقع الطاعون بالكوفة سنة تسع وأربعين فخرج المغيرة بن شعبة منها فارا فلما ارتفع الطاعون رجع إليها فأصابه الطاعون فمات فى سنة خمسين ذكره ابن كثير فى تاريخه ثم وقع فى سنة ثلاث وخمسين ومات فيها زيادة ذكره فى مرآة الزمان .. وقال ابن كثير فى سنة ثلاث وخمسين فى رمضان توفى زياد بن أبى سفيان ويقال له زياد بن أبيه وزياد ابن سمية وهى أمه مطعونا وكان سبب ذلك أنه كتب إلى معاوية

يقول له إنى قد ضبطت لك العراق بشمالى ويمينى فارغة وهو يعرض له أن يستنيبه على بلاد الحجاز أيضا فلما بلغ أهل الحجاز جاؤا إلى عبدالله بن عمر فشكوا إليه ذلك وخافوا أن يلى عليهم زياد فيعسفهم كما عسف أهل العراق فقام ابن عمر فاستقبل القبلة فدعا على زياد والناس يؤمنون فطعن زياد بالعراق فى يده فضاق ذرعا بذلك واستشار شريحا القاضى فى قطع يده فقال له شريح إنى لا أرى لك ذلك فإنه إن لم يكن فى الاجل فسحة لقيت الله أجذم قد قطعت يدك خوفا من لقائه وإن كان لك أجل بقيت فى الناس أجذم فيعير ولدك بذلك فصرفه عن ذلك ويقال إن زيادا جعل يقول أنام أنا والطاعون فى فراش واحد وأخرج ابن ابى الدنيا عن عبدالرحمن بن السائب الأنصارى قال جمع زياد أهل الكوفة فملأ منهم المسجد والرحبة والقصر ليعرضهم على البراءه من على بن أبى طالب قال عبدالرحمن فإنى لمع نفر من أصحابى من الأنصار والناس فى أمر عظيم فهومت تهويمة فرأيت شيئا أقبل طويل العنق مثل عنق البعير أهدب أهدل فقلت ما أنت فقال أنا النقاد ذو الرقبة بعثت إلى صاحب هذا القصر فاستيقظت فزعا فقلت لأصحابى هل رأيتم ما رأيت قالوا لا فأخبرتهم وخرج علينا خارج من القصر فقال إن الأمير يقول لكم انصرفوا عنى فإنى عنكم مشغول وإذا الطاعون قد أصابه ثم وقع بالبصرة طاعون الجارف وسمى بذلك لأنه جرف الناس كما يجرف السيل الأرض فيأخذ معظمها واختلف فى سنته فقيل وقع فى سنة أربع وستين وجزم به ابن الجوزى فى المنتظم وقيل كان فى شوال سنة تسع وستين قال ابن كثير وهذا هو المشهور الذى ذكره شيخنا الذهبى وغيره وقيل سنة سبعين وقيل سنة ست وسبعين وقيل سنة ثمانين قال ابن كثير حكاه ابن جرير عن الواقدى ومات فيه لأنس بن مالك ثلاثة وثمانون ولداً ولأبى بكرة أربعون ولداً .. قال ابن كثير كان ثلاثة أيام مات فى أول يوم منه من أهل البصرة سبعون ألفا وفى اليوم الثانى منه أحد وسبعون ألفا وفى اليوم الثالث منه ثلاثة وسبعون ألفا وأصبح الناس فى اليوم الرابع موتى إلا القليل من آحاد الناس حتى ذكر أن أم الأمير بها ماتت فلم يجد من يحملها : وقال صاحب المرآة مات فيه أهل الشام إلا اليسير . وقال الحافظ أبو نعيم الأصفهانى حدثنا عبيد الله حدثنا أحمد بن عصام حدثنى معدى عن رجل يكنى أبا الفضل وكان قد أدرك زمن الطاعون قال كنا نطوف فى القبائل وندفن الموتى فلما كثروا لم نقدر على الدفن فكنا ندخل الدار وقد مات أهلها فنسد بابها فدخلنا داراً ففتشناها فلم نجد فيها أحداً حيا فسددناها فلما مضت الطواعين كنا نطوف فننزع تلك السدد

عن الأبواب ففتحنا سدة الباب التى كنا قد فتشناها فإذا نحن بغلام فى وسط الدار طرى دهين كأنما أخذ ساعتئذ من حجر أمه قال فنحن وقوف على الغلام نتعجب منه فدخلت كلبة من شق الحائط فجعلت تلوذ بالغلام والغلام يحبو إليها حتى مص من لبنها قال معدى وأنا رأيت ذلك الغلام فى مسجد البصرة قد قبض على لحيته وقال ابن أبى الدنيا فى كتاب الاعتبار حدثنى يحي بن عبد الله الخثعمى عن محمد ابن سلام الجمحى قال زعم يحي انه لما وقع الطاعون الجارف بالبصرة وذهب الناس فيه وعجزوا عن موتاهم وكانت السباع تدخل البيوت فتصيب من الموتى وذلك سنة سبعين أيام مصعب وكان يموت فى اليوم سبعون ألفا فبقيت جارية من بنى عجل ومات أهلها جميعا فسمعت عواء الذئب فقالت

ألا أيها الذئب المنادى بسحرة هلم أنبئك الذى قد بدا ليا
بدا لى أنى قد يتمت وانى بقية قوم أورثونى المباكيا
ولا ضير أنى سوف أتبع من مضى ويتبعنى من بعدى من كان تاليا

وقال ابن أبى الدنيا حدثنى الفضل بن جعفر حدثنا أحمد بن محمد البجلى حدثنى محمد بن إبراهيم التيمى قال نزل بنا حى من العرب فأصابهم الطاعون فماتوا وبقيت جويرية مريضة فلما أفاقت جعلت تسأل عن أبيها وأمها وأختها فيقال مات ماتت ماتت فرفعت يدها وقالت

ولولا الأسى ماعشت فى الناس ساعة ولكن متى ناديت جاوبنى مثلى

قال الحافظ ابن حجر وكان بمصر سنة ست وستين طاعون ثم فى سنة وفاة عبد العزيز بن مروان سنة خمس وثمانين وقيل سنة اثنين وقيل سنة أربع وقيل سنة ست وكان بالشام طاعون سنة تسع وسبعين ذكره ابن جرير وغيره ثم وقع بالبصرة طاعون الفتيات سنة سبع وثمانين وسمى بذلك لكثرة من مات فيها من النساء الشواب والعذارى قال ابن أبى الدنيا فى الاعتبار حدثنى محمد بن على بن عثام الكلابى قال سمعت حامد بن عمر بن حفص البكراوى قال حدثنى أبو بحر البكراوى عن أمه قالت خرجنا هاربين من طاعون الفتيات فنزلنا قريبا من سنام قالت وجاء رجل من العرب معه بنون له عشرة فنزل قريبا منا فلم يمض إلا أيام حتى مات بنوه أجمعون وكان يجلس بين قبورهم فيقول

بنفسى فتية هلكوا جميعا برابية مجاورة سناما

أقول إذا ذكرت العهد منهم   بنفسي تلك أصداء وهاما
فلم أر مثلهم هلكوا جميعا   ولم أر مثل هذا العام عاما

قالت وكان يبكى من سمعه ثم طاعون الاشراف وقع والحجاج بواسط حتى قيل فيه لا يكون الطاعون والحجاج فى بلد واحد سمى بذلك لكثرة من مات فيها من أشراف الناس ثم وقع بالشام طاعون مات فيه ولى العهد أيوب بن الخليفة سليمان ابن عبد الملك أخرج ابن أبى الدنيا فى الاعتبار من طريق عبد الله بن المبارك عن أبى كنانة قال أخبرنى يزيد بن المهلب قال حملت حملين مسكا من خرسان إلى سليمان ابن عبد الملك فانتهيت إلى باب ابنه أيوب وهو ولى العهد فدخلت عليه فإذا دار مجصصة حيطانها وسقوفها خصر وإذا وصف ووصائف عليهم حال خضر وحلى من الزمرد فوضعت الحملين بين يدى أيوب وهو قاعد على سريره فانتهب المسك من بين يديه ثم عدت بعد أحد عشر يوما فإذا أيوب وجميع من معه فى داره قد ماتوا أصابهم الطاعون وأخرج ابن أبى الدنيا عن حاتم بن عطارد قال حدثنى أبو الأبطال قال بعثت إلى سليمان بن عبد الملك ومعه ستة أحمال مسك فررت بدار أيوب ابن سليمان فادخلت عليه فررت بدار ما فيها من الثيــــاب والنجد بياض ثم دخلت منها إلى دار أخرى صفراء وما فيها كذلك ثم أدخلت منها إلى دار حمراء وما فيها كذلك ثم أدخلت منها إلى دار خضراء وما فيها كذلك فإذا أنا بأيوب على سرير ولحقنى من كان فى تلك الدور فانتهبوا ما معى من المسك ثم مررت بدار أيوب بعد سبعة عشر يوما فإذا الدار بلا قع فقلت ما هذا قالوا طاعون أصابهم قال ابن أبى الدنيا كان أيوب ولى عهد أبيه من بعده قد رشحه للخلافة فأصابه الطاعون فمات فى حياة أبيه وكانت وفاته فى سنة ثمان وتسعين . . وقال الحافظ ابن حجر وقع بالشام طاعون عدى ابن ارطاة سنة مائة قلت وذلك فى خلافة عمر بن عبد العزيز وأخرج ابن سعد عن ارطاة بن المنذر قال كان عند عمر بن عبد العزيز نفر يسألونه أن تحفظ فى طعامه ويسألونه أن يكون له حرس إذا صلى لئلا يثور ثائر فيقتله ويسألونه أن يتنحى عن الطاعون ويخبرونه أن الخلفاء قبله كانوا يفعلون ذلك قال لهم عمر فأين هم فلما أكثروا عليه قال الله إن كنت تعلم أنى أخاف يوما دون يوم القيامة فلا تؤمن خوفى وأخرج محمد بن خلف المعروف بوكيع فى كتاب الغرر من الأخبار عن الزناد قال قال عبد الله بن حسن بن حسن كنت عند عمر بن عبد العزيز فوقع طاعون بالشام فقال ارحل فإنك لن تغنم أهلك مثل نفسك فقضى حوائجى وانتهى إياها . .

قال الحافظ ابن حجر ثم وقع أيضا بالشام فى سنة سبعمائة ثم سنة خمس عشرة وكذا فى تاريخ ابن كثير وفى المرآة وقع فى سنة ست عشرة طاعون شديد بالشام والعراق وكان أعظم ذلك فى واسط ذكره ابن كثير أيضا ثم وقع بالبصرة طاعون غراب وهو رجل مات فيه سنة سبع وعشرين ومائة ثم وقع بالبصرة طاعون مسلم ابن قتيبة فى رجب وشعبان ورمضان سنة احدى وثلاثين ومائة ثم خف فى شوال وبلغ فى كل يوم ألف جناز . . قال ابن سعد وتوفى فيه اسحق بن سويد العدوى وفرقد بن يعقوب السبحى وأيوب السختيانى قال ابن سعد وأخبرنا على بن عبد الله حدثنا سفيان قال سمعت داود بن ابى هند يقول أصابنى الطاعون فأغمى على فكأن اثنين أتيانى فغمز أحدهما عكوة لسانى وغمز الآخر أخمص قدمى فقال أى شىء تجد قال تسبيحا وتكبيرا وشيئا من خطوة الى المسجد وشيئا من قراءة القرآن قال ولم أكن أخذت القرآن يومئذ قال فكنت أذهب فى الحاجة فأقول لو ذكرت الله حتى آتى حاجتى قال فعوفيت فأقبلت على القرآن فتعلمته هذا كله فى الدولة الأموية بل نقل بعض المؤرخين أن الطواعين فى زمن بنى أمية كانت لا تنقطع بالشام حتى كان خلفاء بنى أمية اذا جاء زمن الطاعون يخرجون الى الصحراء ومن ثم اتخذ هشام بن عبد الملك الرصافة منزلا ثم خف ذلك فى الدولة العباسية فيقال إن بعض أمرائهم خطب بالشام فقال احمدوا الله الذى رفع عنكم الطاعون منذ ولينا عليكم فقام بعض من له جراءة فقال الله أعدل من أن يجمعكم علينا والطاعون فقتله وأخرج ذلك ابن عساكر فى تاريخه وسمى الذى قال جمعونه الحارث وأخرج ابن عساكر عن الأصمعى قال لقى المنصور اعرابيا بالشام فقال أحمد الله يا اعرابى الذى رفع عنكم الطاعون بولايتنا أهل البيت قال ان الله لم يجمع علينا حشفا وسوء كيل ولايتكم والطاعون ثم كان فى سنة أربع وثلاثين بالرى ثم فى سنة ست وأربعين ببغداد ثم فى سنة احدى وعشرين ومائتين بالبصرة قلت كذا ذكره الحافظ ابن حجر والمؤرخون قبله فكان بين هذين الطاعونين خمس وسبعون سنة وفى هذه المدة كان مولد الإمام الشافعى رضى الله عنه ووفاته فلم يقع فى حياته طاعون وبذلك يعرف أن قوله السابق لم أر للوباء أنفع من البنفسج لم يرد به الطاعون لأن الوباء غير الطاعون كما تقدم الفرق بينهما ويحتمل أنه أراد الطاعون والمراد الذى نصل صاحبه وقام واحتاج الى علاجه فيدهن به كما يستعمل الناس الآن فى علاجه الدهان بزبد اللبن البقرى ودهن اللوز وظن طائفة من الناس أن مراد الإمام انالإدهان بدهن البنفسج يمنع الطاعون من

أصله وليس كما ظنوه والله أعلم ثم فى سنة تسع وأربعين ومائتين بالعراق ثم فى سنة ثمان ومائتين بأذربيجان وبرذعة فمات لمحمد بن أبى الساج ثمانون ولدا ذكره صاحب المرآة ثم فى سنة تسع وتسعين ومائتين بأرض فارس ثم فى سنة إحدى وثلثمائة ببغداد ثم فى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بأصبهان فى سنة أربعين وثلثمائة بالعراق وكثر فيه موت الفجأة حتى أن القاضى لبث ثيابه ليخرج الى الحكم فمات وهو يلبس احدى خفيه قلت رأيت فى كتاب نشور المحاضرة للتنوخى أن موت الفجأة وقع الناس فى كل حال منهم من مات وهو يصلى ومنهم من مات وهو يأكل ومنهم من مات وهو يمشى ومنهم من مات بالجامع ومنهم من مات فى الحمام وفى جميع الأحوال الا حالة واحدة وهى الخطابة فلم ينقل قط أن خطيبا مات لجأة على منبر ثم وقع فى سنة أربعمائة بالبصرة ثم وقع فى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة طاعون عظيم ببلاد الهند والعجم وبلاد الجبل وامتد الى بغداد وفنى الناس ولم يشاهدوا مثله ومات بالموصل فى هذه السنة أربعة آلاف صبى بالجدرى ثم وقع بشيراز سنة خمس وعشرين وأربعمائة ووصل الى البصرة وبغداد ثم فى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة بالموصل والجزيرة وبغداد بحيث صلى الجمعة بالبصرة أربعمائة نفس وكانوا أكثر من أربعمائة ألف ثم وقع سنة ثمان وأربعين بمصر والشام وبغداد ثم وقع بالعجم سنة تسع وأربعين ثم وقع بمصر سنة خمس وخمسين وأربعمائة ودام فيها عشرة أشهر ثم بدمشق سنة تسع وستين وكان أهلها نحو خمسمائة ألف فلم يبق منهم سوى ثلاثة آلاف وخمسمائة ثم وقع فى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة بالعراق ثم فى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة بالحجاز واليمن ثم فى سنة خمس وسبعين وخمسمائة ببغداد ثم فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة لم يعهد نظيره فى الدنيا فانه طبق الأرض شرقا وغربا ودخل البلاد كلها حتى دخل مكة المشرفة ووقع فى الحيوانات أيضا وعمل فيه ابن الوردى مقامة مشهورة وقلت فى ذلك.

فى عام تسعة وأربعينا	من بعد سبعمائة سنينا
قد دهم الخلائق الطاعون	وما اراد ربنا يكون
طبق الأرض مشرقا ومغربا	أوسع طعنا فى الوردى ومضربا
أهلك نصف الناس بل وأكثرا	وأدخل الفناء فى أم القرى
فى الحيوان قد بدا تأثيره	لم ير فى الدنيا أخى نظيره
فيه مقامة عن ابن الوردى	خذ هذه عن السيوطى الفرد

ناظمه محمـد البرزنجى يرجو النجاة والإله المنجى

. وقال ابن أبى حجلة مات فيه على جهة التقريب نصف العالم أو أكثر وبلغ الموت فى القاهرة كل يوم زيادة على عشرين ألفا ثم وقع فى سنة أربع وستين وسبعمائة بالقاهرة ودمشق ثم سنة احدى وسبعين بدمشق ثم سنة احدى وثمانين بالقاهرة ثم فى سنة احدى وتسعين ثم فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة ثم فى سنة تسع عشرة ثم فى سنة احدى وعشرين ثم فى التى تليها ثم فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وهو أوسع هذه الطواعين كلها ولم يقع بمصر بعد الطاعون العام الذى كان فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة لظير هذا ثم وقع فى سنة احدى وأربعين بمصر وكان خفيفا وأكثر ما بلغ فى اليوم ألف نفس ثم وقع فى سنة تسع وأربعين فى ذى الحجة ودام الى ربيع الأول سنة خمسين ثم فى سنة ثلاث وخمسين وبلغ فى كل يوم خمسة آلاف ثم فى سنة أربع وستين بمصر والشام ثم فى سنة ثلاث وسبعين بهما ثم فى سنة احدى وثمانين وثمانمائة ثم بالروم سنة ست وتسعين وثمانمائة ودخل حلب فى افتتاح سنة سبع وتسعين ثم وصل الى مصر فى شهر ربيع الآخر منها أحسن الله ختامها فى خير هذا كلام الحافظ السيوطى رحمه الله وقد وقع بعده أيضا طواعين كثيرة يطول ذكرها .

ومنها استباحة مكة عن الحسين بن على أنه حين خرج الى الكوفة فنصحوه فى الخروج قال ان أبى حدثنى أنه تستحل حرمتها ولأن أقتل خارجها بشبر أحب الى من أن أقتل داخلها الحديث وهذه وقعت فى زمن يزيد كما مر وفى زمن عبد الملك حين أرسل الحجاج وقتل ابن الزبير وهدم البيت وفى زمن أبى طاهر القرمطى كما مر أيضا ووقع بعد ذلك مرات قتلوا بها جماعة من الأشراف من بنى حسن وسيقع قبيل خروج المهدى وآخر من يستبيحها ذو السويقتين من الحبشة فإنه يبيحها ويهدم البيت حجراً حجراً وهذان سيأتيان فى الباب الثالث ان شاء الله تعالى ومن راجع التواريخ كتاريخ مصر والشام وبغداد وغيرها ولا سيما تاريخ بغداد لابن الجوزى المسمى بالمنتظم وجد من ذلك شيئا كثيرا لا يعد ولا يحصى فلنكتف من هذا القسم بهذا المقدار فإنما المقصود التنبيه على وقوعه لا التحذير منه فإنه قد فات وإنما الحذر مما يأتى وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين .

﴿ خاتمة ﴾ الفتن الواقعة بين الصحابة رضوان الله عليهم الحق فى كلها مع

أمير المؤمنين على كرم الله وجهه وأنه المصيب دائما وغيره المخطىء لقوله صلى الله عليه وسلم على مع القرآن والقرآن معه وقوله على مع الحق حيث دار وقوله ياعلى تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت أنا على تنزيله وقوله للزبير تقاتله وأنت له ظالم وقوله ما خير عمار بين أمرين الا اختار أشدهما وقوله عمار تقتله الفئة الباغية وعمار كان معه وقتل فى صفين قتله أصحاب معاوية ولقول حذيفة حين قال سيكون قتال بين المسلمين فسئل مع من تكون فقال انظروا الى الفئة التى تدعو الى أمر على فكونوا معها فإنها على الحق وغير ذلك من الأحاديث وحينئذ فنقول أما طلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم فهم مجتهدون قطعا لأنهم لم يطمعوا فى الخلافة ولم يكونوا جاهلين بفضل أمير المؤمنين على رضى الله عنه وعلمه وقرابته وسابقته وانما حملهم على ذلك طلب دم عثمان لما أدى اليه اجتهادهم من وجوب قتلهم على الإمام وكان أمير المؤمنين على ينتظر محاكمة الورثة اليه واقامة البينة على القاتل وقد كان طلحة والزبير من أهل بدر وقد قال صلى الله عليه وسلم لعمر فى قصة حاطب بن أبى بلتعه وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وقال لغلام حاطب حين شكاه اليه وقال يارسول الله ان حاطبا يدخل النار قال كذبت لا يدخل النار إنه شهد بدرا والحديبية ولأنهما من العشرة المبشرين بالجنة وبشارته صلى الله عليه وسلم حق ولأنهما رجعا عن الخروج وتابا أما الزبير فحين ذكره على بالحديث ترك القتال وخرج من العسكرين وأما طلحة فبعدما جرح وأثخن مر به رجل من أصحاب على فسأله ممن أنت قال من أصحاب على قال مد يدك أبايعك عن على فلما سمع على ذلك قال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى الله أن يدخل طلحة الجنة الا وبيعتى فى عنقه كما تقدم وقال أرجوا أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وأكرم ابن طلحة ورد عليه جميع ماله وأما عائشة فانها زوج النبى صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة كما ثبت فى الصحيح ولأنها أرادت الرجوع من الطريق حين سمعت كلاب حوأب نبحتها وتذكرت الحديث فقالوا بل تقدمين لعل الله أن يصلح بك ذات بين المسلمين فما قصدت الا الصلح لا الفساد وانما قتلة عثمان انشبوا الحرب خيفة على أنفسهم ولأنها أم المؤمنين وحبيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلهم مأجورون الا أن عليا له أجران أجر الاجتهاد وأجر الإصابة وغيره له أجر الاجتهاد فقط وأما معاوية فهو ان كان باغيا لم يدخل فى

البيعة بل كان طالبا للملك وإنما جعل طلب الدم وسيلة إلى طاعة أهل الشام له وقد ظهر له بغيه بقتل عمار بن ياسر فأخبروه بأن النبي ﷺ قال لعمار إنما تقتلك الفئة الباغية ولأنه لما تولى بعد نزول الحسن عن الخلافة لم يقتل أحدا بدم عثمان ولا طالبه ولم يكن له سابقة ولا هجرة على الاصح فانه من مسلمة الفتح وقد قال عمر رضى الله عنه ان هذا الأمر فى أهل بدر والمهاجرين الأولين ما بقى منهم أحد وليس لطليق ولا لمسلمة الفتح فيه نصيب لكنه لكونه صهرا لرسول الله ﷺ وكاتبا للوحى وله صحبة وقد قال ﷺ إذا ذكر أصحابى فامسكوا وقال الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى الحديث، ينبغى الامساك عن ذكره الا بخير على انه ﷺ قد أخبره أنه يتولى وقال يامعاوية اذا وليت فأحسن ودعا له فقال اللهم اجعله هاديا مهديا وأهد به وقال أمير المؤمنين على رضى الله عنه لا تكرهوا أمرة معاوية والله لو فقدتموه لرايتم الرؤس تنزل عن كواهلها كالحنظل وأما الحرورية فلا حاجة الى الاعتذار عنهم بعد ما قال ﷺ يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ونحوه من الأحاديث وأما يزيد وبنو الحكم فهم ملعونون على لسان النبي ﷺ وكذا قال أحمد ابن حنبل حين سأله ابنه عن لعن يزيد كيف لا يلعن من لعنه الله فى كتابه فقال قد قرأت كتاب الله فلم أر فيه لعن يزيد فقال ان الله يقول فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم وأى فساد وقطيعة رحم أشد مما فعله يزيد بابن عمه نعم عمر بن عبد العزيز من الائمة الراشدين والخلفاء المهتدين ويجب استثناؤه من بنى أمية كما استثناه النبي ﷺ حيث قال الا الصالحون منهم وقليل ماهم بخلاف بقية بنى أمية كما مر وكذلك من بعدهم من بنى العباس وغيرهم فأكثرهم أو عامتهم ظلمة فسقة وأحسن من فيهم المتوكل وهو كان فى النصب بحيث هدم قبر الحسين وجعله مزرعة ومنع الناس زيارته وقال فى ذلك بعض الشعراء شعرا

تالله ان كانت أمية قد أتت ... قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله ... هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا ... فى قتله فتتبعوه رميما

وحكى ابن خلكان فى ترجمة ابن السكيت أنه كان جالسا يوما مع المتوكل وكان مؤدب أولاده فجاء ولداه المعتز والمؤيد فقال يا يعقوب أيما أحب اليك ابناى هذان

أم الحسن والحسين فقال والله ان قنبر خادم على بن أبى طالب خير منك ومن ابنيك فقال المتوكل للاتراك سلوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات ليلة الاثنين لخمس خلون من شهر رجب سنة أربع وأربعين ومائتين ثم أرسل المتوكل لولده عشرة آلاف درهم وقال هذا دية والدك انتهى وهذا ان صح فهو الغاية فى النصب ولعله لا يصح نعم كان المهتدى منهم زاهدا يتاسى بعمر بن عبد العزيز فى هديه لكنه قتل بعد سنة ولم تطل مدته هذا وأما ماتوسع فيه الرافضة من سب السلف الصالح حتى الصحابة الكرام سيما الشيخين فخروج من طريق العقل والنقل وضلال مبين والحاد فى الدين وتجهيل لجميع المسلمين حتى على أمير المؤمنين كلا ثم كلا بل هم خير أمة أخرجت الناس بشهادة القرآن وشهداء الله على الامم يوم الحشر والميزان وهم أهل بدر وأحد وبيعة الرضوان اختارهم الله لصحبة نبيه من بين الاكوان لم يكن فيهم شائبة نفسانية ولا ميل الى الباطل والعدوان وقد صح عن على رضى الله عنه أنه قال أبو بكر خير من مؤمن آل فرعون إنه كان يكتم ايمانه ويدفع عن النبي ويقول أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقال حين ساله ابنه محمد بن الحنفية من خير الناس قال أبو بكر قال ثم من قال عمر قال ثم أنت ياأبت قال أبوك رجل من المسلمين وقال سبق رسول الله ﷺ وصلى أبو بكر وثلث عمر ثم غشيتنا فتن فلا حول ولا قوة الا بالله وقوله صلى أبو بكر معناه انه تلا رسول الله ﷺ فى الامامة أو فى الفضل من قولهم فرس مصل اذا كان ثانيا فى ميدان السبق ويؤيده حديث كنت أنا وأبو بكر كفرسى رهان سبقته فآمن بى ولو سبقنى لآمنت به لكن فيه مقال بل قيل بوضعه والله أعلم والاحاديث الواردة فى فضلهما بل وفضل عثمان رضى الله عنهم عن على كرم الله وجهه وابرار أهل بيته تنيف عن مائتين فرحم الله امرأ عرف قدره وعرف لهم حقهم فاحبهم بحب رسول الله ﷺ ولم يهلك مع الهالكين والعياذ بالله تعالى

(فائدة) قد تفهم الاشارة الى مدح الخلفاء الراشدين وأهل الشورى وذم من بعدهم والباغين من الآيات التى فى سورة الشورى بعد قوله تعالى وما عند الله خير وأبقى فقوله الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون اشارة الى الصديق رضى الله عنه أما ايمانه فيشهد له قوله ﷺ لو وزن ايمان أبى بكر بايمان أهل الارض لرجح بهم ايمان أبى بكر وأما توكله فيشهد له قوله ﷺ يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب أبو بكر منهم قيل من هم يارسول الله قال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يكوون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون وقوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ماغضبوا

هم يغفرون إشارة إلى عمر رضى الله عنه أما تركه للفواحش فيشهد له حديث ماسلكت فجا إلا سلك الشيطان فجا غير فجك وأما مغفرته عند الغضب فيدل له حديث عيينة ابن حصن لما دخل عليه فقال هيه يا ابن الخطاب فو الله أنك لاتعطينا الجزل ولا تقسم فينا بالعدل فغضب عمر حتى هم أن يوقع به فقال ابن أخيه الحر بن قيس يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وهذا من الجاهلين فو الله ماتعداها عمر حين سمعها وكان وقافا عند كتاب الله رضى الله عنه وقوله تعالى والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون إشارة إلى أصحاب الشورى ومنهم عثمان وعلى رضى الله عنهم وقوله تعالى والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون أشارة إلى على كرم الله وجهه وأن مافعله من انتصاره على أهل البغى مما يثاب ويمدح عليه وكذلك قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها اشارة إلى عفوه وكرمه ومن ثم نادى يوم الجمل أن لايتبع منهزمهم ولا يجهز على جريحهم ولا يؤخذ أموالهم وقوله تعالى فمن عفى وأصلح فاجره على الله اشارة الى نزول الحسن بن على عن الخلافة وعفوه عن اساءة معاوية وأهل الشام واصلاحه بين المسلمين وحقنه دماءهم وقوله أنه لايحب الظالمين اشارة إلى من ظلم المذكورين وقتلهم أو بغى عليهم كقاتل عمر وقتلة عثمان وقاتل على والخارجين عليه كالحرورية وقوله ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ماعليهم من سبيل اشارة إلى الحسين بن على رضى الله عنهما وقيامه على يزيد وقتاله على حقه إلى أن قتل هو وأهل بيته وقوله تعالى إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم اشاره الى يزيد ومن بعده من بنى أمية وغيرهم والله أعلم برموز كتابه وأسرار خطابه .

﴿ تنبيه ﴾ ورد عنه ﷺ أنه قال الايات بعد المائتين وهذا يحتمل بعد المائتين من الهجرة ويحتمل بعد المائتين بعد الالف ويؤيد الاول أن جميع أو أكثر الآيات المذكورة من الزلازل والرياح والرجفات ومطر الدم والحجارة وفتن الإعتزال والقرامطة والزنج وصياح الطير والصيحة من السماء والغرق والنار وغير ذلك مما مر مفصلا انما وقعت بعد المائتين فى أواخر خلافة المأمون الى أن كثر فى زمن المتوكل جدا وتوالى ويدل له أيضا حديث خياركم بعد المائتين كل خفيف الحاذ وما روى مع ضعف لايولد بعد المائتين مولود لله فيه حاجة وعلى هذا فلا يتقيد ظهور الآيات القريبة من الساعة بما بعد المائتين

وأنه المائتان بعد الالف فلا يلزم تاخر المهدى الى ذلك الوقت لجواز ان يخص الآيات ببعضها كالدابة وطلوع الشمس من مغربها وهدم الكعبة ونحوها وعلى كل تقدير فظهور المهدى على رأس هذه المائة يحتمل احتمالا اقويا ظاهرا وان تاخر عنها فلا يتأخر عن المائة الثانية قطعا ونسال الله تعالى أن يميتنا على الايمان غير مفتونين ولا مبدلين وكل واحدة من هذه الفتن تحتمل مجلدا بل تفصيلها يحتمل مجلدات وإنما اختصرنا وأشرنا إليها إشارة لأنها غير مقصودة حيث مضت والمقصود مانحن بصدده ولئلا يمل السامعون ولان الوقت لايسع غير ذلك فان الموسم قريب ولان تفصيلها يورث قسوة القلب والضغائن وما لا ينبغى والمهم ذكر ما يلين القلوب ويحزنها ويزجرها عن الغفلة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الباب الثانى

فى الأمارات المتوسطة التى ظهرت ولم تنقض بل تتزايد إلى أن تتكامل وتتصل بالقسم الثالث ولنسرد أحاديثها اختصارا . فمنها لاتقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع أحمد والترمذى والضياء عن حذيفة رضى الله عنه وابن مردويه عن على كرم الله وجهه . اللكع العبد أو الاحمق أو اللئيم أى حتى يكون اللئام والحمقاء أو العبيد رؤساء الناس ومنها يأتى على الناس زمان الصابر على دينه كالقابض على الجمر الترمذى عن أنس كناية عن عدم المساعد والمعاون على الدين ومنها يكون فى آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة أبو نعيم والحاكم عن أنس ومنها لاتقوم الساعة حتى يتباهى الناس فى المساجد أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان أنس ومنها اشراط الساعة الفحش والتفحش وقطيعة الرحم وتخوين الامين وائتمان الخائن الطبرانى عن أنس ومنها من اقتراب الساعة انتفاخ الاهلة وان يرى الهلال قبلا بفتحتين أى ساعة مايطلع فيقال لليلتين الطبرانى عن ابن مسعود وأنس ومنها من اقتراب الساعة كثرة القطر أى المطر وقلة النبات وكثرة القراء أى العباد وقلة الفقهاء وكثرة الأمراء وقلة الأمناء الطبرانى عن عبد الرحمن بن عمرو الأنصارى ومنها يذهب الصالحون الاول فالأول وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر أحمد والبخارى عن مرداس الاسلمى ومنها لاتقوم الساعة حتى يكون الزهد رواية والورع تصنعا أبو نعيم فى الحلية عن

أبى هريرة ومنها أن من أعلام الساعة وأشراطها ان يكون الولد غيظا وأن يكون المطر قيظا وأن تفيض الاشرار فيضا الطبرانى عن ابن مسعود أى يكون الولد غيظ أبيه وأمه أى يعمل ما يغيظهما بعقوقه لهما ولا يكون طوعهما ويكون المطر فى الصيف فلا ينبت شىء وهذا قريب مما مر أن من أشراطها كثرة القطر وقلة النبات وفيض الشرار كثرتهم أى يكثر الشرار كثرة ومنها أن من أعلام الساعة واشراطها أن يصدق الكاذب وأن يكذب الصادق الطبرانى عن ابن مسعود ومنها ان من أعلام الساعة وأشراطها أن يؤتمن الخائن وأن يخون الأمين وأن يتواصل الاطباق أى الاباعد والاجانب وتقطع الارحام الطبرانى عن ابن مسعود ومنها أن من اعلام الساعة وأشراطها أن يسود كل قبيلة منافقوها وكل سوق فجارها الطبرانى عن ابن مسعود ومنها أن من أعلام الساعة وأشراطها أن يكون المؤمن فى القبيلة أذل من النقد الطبرانى عن ابن مسعود النقد صغار الغنم ومنها أن من أعلام الساعة وأشراطها أن تزخرف المحاريب وأن تخرب القلوب الطبرانى عنه ومنها أن من أعلام الساعة واشراطها أن يكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء الطبرانى عنه وهو كناية عن كثرة اللواط فى الرجال وكثرة السحاق فى النساء ومنها أن من أعلام الساعة وأشراطها أن يكتنى المساجد وأن يعلو المنابر الطبرانى عنه والمنابر يجوز أن يكون بالموحدة جمع منبر وأن يكون بالمثناة جمع منارة وكلاهما واقع ومنها أن من أعلام الساعة وأشراطها أن يعمر خراب الدنيا ويخرب عمرانها الطبرانى عنه وابن عساكر عن محمد بن عطية السورى أى يخرب البلد العامر ويبنى بمحل آخر كما نقل مصر إلى القاهرة وكما نقل الكوفة إلى نجف ومنها أن من أعلام الساعة واشراطها أن تظهر المعازف وتشرب الخمور الطبرانى عن المعازف بالعين المهملة والزاى المعجمة جمع عزف قال فى النهاية وهى الدفوف وغيرها وقيل كل لعب عزف ومنها أن من أعلام الساعة واشراطها ان تكثر الشرط والهمازون والغمازون واللمازون وأن تكثر أولاد الزنا الطبرانى عن ابن مسعود والشرط بضم المعجمة وفتح المهملة هم أعوان السلطان قال السخاوى وهم الآن أعوان الظلمة ويطلق غالبا على أقبح جماعة الوالى ونحوه وربما توسع فى اطلاقه على ظلمة الحكام انتهى والهمز الغيبة والوقيعة فى الناس وذكر عيوبهم وهمز يهمز فهو هماز للمبالغة ومثله اللمز فهو لماز ولمزه ومنه قوله تعالى (هماز مشاء بنميم) وقوله (ولا تلمزوا أنفسكم) وقوله (ويل لكل همزة لمزة) وقيل اللمز هو العيب فى الوجه والهمز العيب بالغيب ومنها ان بين يدى الساعة تسليم الخاصة وفشو التجارة

حتى تعين المرأة زوجها على التجارة وقطع الأرحام وفشو القلم وظهور الشهادة بالزور وكتمان شهادة الحق أحمد والبخارى والحاكم وصححه عن ابن مسعود وفشو القلم كناية عن كثرة الكتبة وقلة العلماء يعنى يكتفون بتعلم الخط ليخالطوا الحكام ومنها إذا استحلت هذه الأمة الخمر بالنبيذ أى يشربونها ويسمونها النبيذ والنبيذ فى المعنى هو الخمر لأنها كل مسكر مائع والربا بالبيع أن يتحيلون باظهار الربا فى صورة البيع والسحت بالهدية أى يأكلون الرشوة والحرام والصرف ويسمونها هدية واتجروا بالزكاة أى يعطون الزكاة لاجرائهم أو يتعاوضون بالزكاة فيعطى هذا لهذا وبالعكس ومنها إذا استغنى النساء بالنساء والرجال بالرجال فبشرهم بريح حمراء تخرج من قبل المشرق فيمسخ بعضهم ويخسف ببعض ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون الديلمى عن أنس ومنها إذا اتخذ الفىء دولا الترمذى عن أبى هريرة قال فى الفائق الدول بضم الدال وفتحها ما يدول الانسان أى يدور من الحظ وقال فى النهاية هو الدول بضم الدال وفتح الواو جمع دولة بالضم وهو ما يتداول من المال فيكون لقوم دون قوم ومعناها إذا اختص الأغنياء وأصحاب المناصب بأموال الفىء ومنعوا عنها مستحقيها ومنها أن يتخذ الامانة مغنما والزكاة مغرما ويتعلم لغير دين الترمذى عنه ومعناه أن يذهب المؤتمن بأمانات الناس وودائعهم ويتخذونها مغانم كأنها غنيمة وقعت فى أيديهم ويعد الناس الزكاة غرامة أى يشق عليهم الغرامات ويتعلمون لغير دين أى يحملهم على التعلم غير الدين من طلب المقاصد الدنية الردية والمناصب الدنيوية ومنها إذا أطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وارتفعت الأصوات فى المساجد الترمذى عنه ومعناه يقرب صديقه ويكرمه ويبعد أباه ويؤذيه ويكثر اللغط فى المساجد بحديث الدنيا كأنهم جالسون فى ناديهم لا فى مسجدهم ومنها إذا ساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره الترمذى عنه يعنى يكون فاسق القوم كبيرهم وسيدهم والزعيم من يتكفل بأمر القوم ويقوم به والرذل الردىء من كل شىء أى يقوم بأمرهم أرداهم ومنها إذا ظهرت القينات أى المغنيات والمعازف وشربت الخمور ولعن آخر هذه الأمة أولها الترمذى عنه وقد ظهر لعن آخر هذه الأمة أولها فى الرافضة قبحهم الله تعالى ومنها إذا اقترب الزمان كثر لبس الطيالسة وكثرت التجارة كثر المال وعظم رب المال لماله وكثرت الشرط وكانت امارة الصبيان وكثرت النساء وجار السلطان وطفف المكيال والميزان الطبرانى والحاكم عن أبى ذر والتطفيف هو نقص الكيل والوزن والذرع

وهو من الكبائر قال تعالى (ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أووزنوهم) أي باعوهم (يخسرون) ومنها ان الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيفترقون فيقول الرجل منهم سمعت رجلا أعرف وجهه ولا أدرى ما اسمه يحدث مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن مسعود ومنها ان في البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان يوشك أن تخرج فتقرا على الناس قرآنا مسلم عن ابن عمرو ومنها إذا اقترب الزمان يربى الرجل جروا أى ولد الكلب خير له من أن يربى ولدا له ولا يوقر كبير ولا يرحم صغير ويكثر أولاد الزنا حتى ان الرجل ليغشى المرأة أى يزنى بها على قارعة الطريق يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب أمثلهم في ذلك المداهن الطبرانى والحاكم عن أبى ذرو معنى يلبسون جلود الضأن إلى آخره انهم يلينون القول ويحسنون الفعل رياء وقلوبهم كالذئاب ومنها إذا كانت الفاحشة في كباركم والملك في صغاركم والعلم في رذالكم والمداهنة في خياركم أحمد وابن ماجه عن أنس ومنها إذا تقارب الزمان ينقى الموت خيار أمتى كما ينقى أحدكم الرطب من الطبق الرامهرمزى عن أبى هريرة ومنها إذا تطاول الناس في البنيان وفى رواية إذا رأيت الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان فانتظروا الساعة الشيخان عن عمر وذلك حيث كثرت أموالهم وامتدت وجاهتهم ولم يكن لهم دأب ولا همة سوى البناء لانهم لا يشتغلون بالعبادة ولا بالعلم ولا بالجهاد ومنها إذا وسد الامر وفى رواية أسند الامر إلى غير أهله فانتظروا الساعة البخارى عن أبى هريرة ولله در القائل

أيا دهر أعلنت فينا أذاكا . ووليتنا بعد وجه قفاكا
قلبت الشرار علينا رؤسا وأجلست سفلتنا مستواكا
فيا دهر ان كنت عاتبنا فما قد صنعت بنا ما كفاكا

منها من أشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد لا يجدون إماما يصلى بهم أحمد وأبو داود عن سلامة بنت الحران ومنها لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول ياليتنى كنت مكان صاحب هذا القبر وليس به الدين ما به إلا البلاء مسلم وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنهم ومنها لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم وتجتلدوا بأسيافكم ويرث دنياكم شراركم وهذا قد وقع كثيرا ولا يزال يقع من قتل الملوك وهم ان لم يكونوا أئمة لكنهم نواب عنهم فقتلهم بمنزلة الأئمة ومنها ان من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر الطبرانى عن أبى أمية الجمحى ومعناه

ان الأكابر من أولاد المهاجرين والأنصار بل ومن قريش يشتغلون بطلب الدنيا والجاه ويبقى الأصاغر من الموالى وأخلاط الناس هم الذين يتعلمون فيطلب منهم الفتاوى فى الواقعات ومنها لاتقوم الساعة حتى يقتل الرجل أخاه لايدرى فيم قتله الحاكم فى تاريخه عن أبى موسى ومنها من أشراط الساعة أن يملك من ليس أهلا أن يملك ويرفع الوضيع ويتضع الرفيع نعيم بن حماد عن كثير بن مرة مرسلا ومنها من اقتراب الساعة إذا كثر خطباء منابركم وركن علماؤكم إلى ولا تكم فاحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فافتوهم بما يشتهون الديلمى عن على كرم الله وجهه ومنها من اقتراب الساعة إذا تعلم علماؤكم ليجلبوا به دنانيركم ودراهمكم واتخذتم القرآن تجارة الديلمى عن على كرم الله وجهه ومعناه يقرؤن القرآن بالأجرة لايقرؤن لله ومنها لاتزال الأمة على شريعة حسنة مالم تظهر فيهم ثلاث مالم يقبض منهم العلم ويكثر فيهم ولد الخبث ويظهر فيهم السقارون قالوا وماالسقارون قال نشؤ يكونون فى آخر الزمان تكون تحيتهم بينهم إذا تلاقوا التلاعن أحمد والطبرانى والحاكم عن معاذ بن أنس قلت وهكذا كثير فى الفلاحين والبقالين والسفلة فيبدأ احدهم بشتم صاحبه عند التلاقى قبل السلام بل ويمضى كل منهما ولا يعرفون السلام فإنا لله وإنا إليه راجعون ومنها لاتقوم الساعة حتى يعمد الرجل إلى النبطية فيتزوجها على معيشة ويترك بنت عمه لاينظر إليها الطبرانى عن أبى أمامة ومعناه يتزوج الدنية الاصل لغناها ويترك بنت عمه الاصيلة لفقرها ومنها أن من أماراتها أن تقطع الارحام ويؤخذ المال بغير حقه وتسفك الدماء ويشتكى ذو القرابة قرابته لايعود عليه بشىء ويطوف السائل لايوضع فى يده شىء ابن أبى شيبة عن عبد الله ومنها لاتقوم الساعة حتى يجعل كتاب الله عارا ويكون الإسلام غريبا وحتى تبدو الشحناء بين الناس وحتى يقبض العلم ويهرم الزمان وينقص عمر البشر وتنقص السنون والثمرات ويؤمن التهماء ويتهم الأمناء ويصدق الكاذب ويكذب الصادق ويكثر الهرج وهو القتل وحتى تبنى الغرف أى القصور فتطاول وحتى تحزن ذوات الأولاد أى لعقوق اولادهن وتفرخ العواقر ويظهر البغى والحسد والشح ويهلك الناس ويكثر الكذب ويقل الصدق وحتى تختلف الأمور بين الناس ويتبع الهوى ويقضى بالظن ويكثر المطر ويقل الثمر ويغيض العلم غيضا أى ينقص ويفيض الجهل فيضا أى يكثر ويكون الولد غيظا والشتاء قيظا سبق تفسيرهما وحتى يجهر بالفحشاء وتزوى الأرض زيا وتقوم الخطباء بالكذب فيجعلون حق لشرار أمتى فمن صدقهم بذلك ورضى به لم يرح رائحة الجنة ابن أبى الدنيا والطبرانى وأبو نصر السجزى وابن

عساكر عن أبى موسى وسنده جيد ومنها لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون
بألسنتهم كما تأكل البقر بألسنتها أحمد والخرائطى وغيرهما عن سعد بن أبى وقاص ومعناه
يمدحون الناس ويظهرون محبتهم نفاقا ويطرونهم ويمدحون أنفسهم حتى يتوسلوا إلى
أخذ الأموال منهم ومنها لا تقوم الساعة حتى يتسافد الناس تسافد البهائم فى الطرق
الطبرانى عن ابن عمر ومنها لا تقوم الساعة حتى توجد المرأة نهاراً تنكح أى تجامع وسط
الطريق لا ينكر ذلك أحد فيكون أمثلهم يومئذ الذى يقول لو نحيتها عن الطريق قليلا
فذلك فيهم مثل أبى بكر وعمر فيكم الحاكم عن أبى هريرة ومنها لا تقوم الساعة حتى تتناكر
القلوب وتختلف الأقاويل ويختلف الإخوان من الأب والأم فى الدين الديلمى عن
حذيفة ومنها لا تقوم الساعة حتى يعز الله فيه ثلاثا درهما من حلال وعلما مستفادا
وأخا فى الله عز وجل الديلمى عن حذيفة يعنى تقل فيه هذه الثلاثة حتى لا تكاد توجد
ومنها إذا رأيت الصدقة كتمت وغلت واستؤجر على الغزو وأخرب العامر وأعمر
الخراب ورأيت الرجل يتمرس بأمانته وفى رواية بدينه كما يتمرس البعير بالشجر فإنك
والساعة كهاتين عبدالرزاق والطبرانى عن عبدالله بن زينب الجندى قال فى النهاية
يتمرس أن يتغلب ويعبث بدينه كما يعبث البعير بالشجر ومنها أن من أشراط الساعة
حيف الأئمة وتصديق بالنجوم وتكذيب بالقدر البزار عن على كرم الله وجهه مرفوعا
وسنده حسن ومنها لا يذهب الناس حتى يقولوا القرآن مخلوق وليس بخالق ولكنه
كلام الله منه بدا وإليه يعود اللالكائى والأصبهانى عن على كرم الله وجهه ومنها إذا اجتمع
عشرون رجلا أو أكثر أو أقل فلم يكن فيهم من يهاب فى الله فقد حضر الأمر البيهقى
وابن عساكر عن عبدالله بن بشر الصحابى ومنها من أشراط الساعة أن يمر الرجل
فى المسجد فلا يركع ركعتين ابن أبى داود عن ابن مسعود ومنها تكون فى آخر هذه
الأمة عند اقتراب الساعة أشياء فمنها نكاح الرجل إمرأته أو أمته فى دبرها وذلك
مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله ومنها نكاح الرجل الرجل وذلك مما
حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ومنها نكاح المرأة المرأة وذلك مما حرم الله ورسوله
ويمقت الله عليه ورسوله وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا على ذلك حتى يتوبوا إلى الله
توبة نصوحا الدارقطنى والبيهقى وابن النجار عن أبى قال الصحابى ومنها ليأتين على الناس
زمان يكون فيه استشارة الأماء وسلطان النساء وإمارة السفهاء ابن المناوى عن على
كرم الله وجهه ومنها لا تقوم الساعة حتى يكون السلام على المعرفة وحتى تتخذ
المساجد قناطر فلا يسجد لله فيها وحتى يبعث الغلام الشيخ بريدا بين الأفقين وحتى

يباع التاجر الأفقين فلا يجد ريحا الطبرانى عن ابن مسعود وهو كناية عن عدم الرغبة فى الصلاة وعدم توقير الصغير الكبير وعدم البركة فى التجارة لغلبة الكذب والغش على التجار ومنها لا تقوم الساعة حتى يتحول شرار أهل الشام إلى العراق وخيار أهل العراق إلى الشام ابن أبى شيبة عن أبى امامة ومنها ياتى على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه إلا من فر من شاهق إلى شاهق أو من حجر إلى حجر كالثعلب يفر باشباله وذلك فى آخر الزمان إذا لم تنل المعيشة الا بمعصية الله فإذا كان كذلك حلت الغربة يكون فى ذلك الزمان هلاك الرجل على يد أبويه ان كان له أبوان والا فعلى يد زوجته وإلا فعلى يدى الأقارب والجيران يعيرونه بضيق المعيشة ويكلفونه مالا يطيق حتى يورد نفسه الموارد التى يهلك فيها أبو نعيم والبيهقى والخليل والرافعى وعن ابن مسعود رضى الله عنه ومنها ياتى على الناس زمان يقعد الرجل الى قومه فما يمنعه أن يقوم الا مخافة أن يقعوا فيه الديلمى عن أبى هريرة ومنها سيصيب أمتى فى آخر الزمان بلاء شديد لا ينجو منه الا رجل عرف دين الله بلسانه وبقلبه فذلك الذى سبقت له السوابق ورجل عرف دين الله فصدق به أبو نصر السجزى وأبو نعيم عن عمر رضى الله عنه ومنها ياتى على الناس زمان يكون حديثهم فى مساجدهم فى أمر دنياهم فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة البيهقى عن الحسن مرسلا ومنها ياتى على الناس زمان يستخفى المؤمن فيهم كما يستخفى المنافق فيكم ابن السنى عن جابر رضى الله عنه ومنها ياتى على الناس زمان همهم بطونهم وشرفهم متاعهم وقبلتهم نساؤهم ودينهم دراهمهم ودنانيرهم أولئك شر الخلق لاخلاق لهم عند الله السلمى عن على ومنها ياتى على الناس زمان يقتل فيه العلماء كما تقتل الكلاب فياليت العلماء فى ذلك الزمان تحامقوا الديلمى وابن عساكر عن على كرم الله وجهه ومنها ياتى على العلماء زمان الموت أحب الى أحدهم من الذهب الأحمر أبو نعيم عن أبى هريرة ومنها لا تذهب الايام والليالى حتى يخلق القرآن فى صدور أقوام من هذه الأمة كما تخلق الثياب ويكون ما سواه أعجب لهم ويكون أمرهم طمعا كله لا يخالطه خوف إن قصر فى حق الله تعالى منته نفسه الأمانى وإن تجاوز الى ما نهى الله عنه قال أرجو أن يتجاوز الله عنى يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب أفضلهم فى نفسه المداهن الذى لا يامر بالحق ولا ينهى عن المنكر أبو نعيم عن معقل بن يسار ومنها ياتى على الناس زمان لا يتبع فيه العالم ولا يستحى فيه من الحليم ولا يوقر فيه الكبير ولا يرحم فيه الصغير يقتل بعضهم بعضا على الدنيا قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب لا يعرفون

معروفا ولا ينكرون منكرا يمشي الصالح فيهم مستخفيا أولئك شرار خلق الله لا ينظر الله إليهم يوم القيامة الديلمى عن على ومنها يجيء يوم القيامة المصحف والمسجد والعترة فيقول المصحف يارب حرقوني ومزقوني ويقول المسجد يارب خربوني وعطلوني وضيعوني وتقول العترة يارب طردونا وقتلونا وشردونا وأجثو بركبتي للخصومة فيقول الله تبارك وتعالى ذلك إلى وأنا أولى بذلك الديلمي عن جابر وأحمد والطبراني عن أبي امامة وكأنه إشارة إلى ما وقع في زمن بني أمية ومن بعدهم من قتل أهل البيت وتعطيل مسجده صلى الله عليه وسلم وربط الخيل فيه في زمن يزيد وتمزيق المصحف في زمن الوليد أو يكون تمزيق المصحف كناية عن عدم العمل به ومنها يوشك أن لا تجدوا بيوتا تكنكم تهلكها الرواجف ولا دواب تبلغوا عليها في أسفاركم تهلكها الصواعق نعم عن أبي هريرة ومنها إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم الحكم عن أبي الدرداء ومنها من اقتراب الساعة أن يصلي خمسون نفسا لا يقبل لأحدهم صلاة أبو الشيخ عن ابن مسعود ومعناه أنهم لا يأتون بشروطها وأركانها فلا تصح لأحدهم صلاة فلا تقبل منهم ومنها ان الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة مسلم عن عبد الله بن مسعود ومنها من اشراط الساعة تقارب الأسواق قلت ما تقارب الأسواق قال أن يشكو الناس بعضهم إلى بعض قلة الاصابة أي الربح ويكثر ولد البغي وتفشو الغيبة ويعظم رب المال أي يكرم من جهة المال وترتفع الأصوات في المساجد ويظهر أهل المنكر ويظهر البناء ابن مردويه عن أبي هريرة ومنها من أشراط الساعة سوء الجوار وقطيعة الارحام وأن يعطل السيف من الجهاد وان تجتلب الدنيا بالدين ابن مردويه عن أبي هريرة ومنها من أشرط الساعة أن يظهر الفحش والتفحش وسوء الخلق وسوء الجوار ابن أبي شيبه عن ابن مسعود ومنها لا تقوم الساعة حتى لا تحمل النخلة إلا تمرة ابن أبي شيبة عن رجاء ابن حيوة كناية عن قلة الثمار والبركات ومنها من إشراط الساعة موت البدار ابن أبي شيبة عن مجاهد وفي رواية عن الشعبي من اقتراب الساعة موت الفجاة ومنها يكون في آخر الزمان رجال يركبون على المياثر حتى يأتون أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤسهن كاسنمة البخت العجاف إلعنوهن فانهن ملعونات لو كانت وراءكم أمة من الأمم لخدمتهم نساءكم كما خدمتكم نساء الأمم قبلكم قال ابن عمر وقلت لأبي وما المياثر قال سروج عظام أحمد والحاكم عن ابن عمرو ولهذا الحديث شواهد وطرق منها عند مسلم عن أبي هريرة صنفان من أمتي من أهل النار لم أرهم قوم معهم سياط

كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا قال النووى فى رياض الصالحين أى يكبرن رؤسهن ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوهما انتهى وقد فصلنا الكلام فى هذه المسئلة فى رسالة مستقلة سميناها أجوبة الخنس عن الأسئلة الخنس ومنها يخرج فى هذه الامة فى آخر الزمان رجال معهم سياط كأنها أذناب البقر يغدون فى سخط الله ويروحون فى غضبه أحمد والحاكم وصححه عن أبى أمامة ومنها عن ابن عباس رضى الله عنهما قال حج النبى صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ثم أخذ بحلقة باب الكعبة فقال يا أيها الناس الا أخبركم بأشراط الساعة فقام إليه سلمان فقال أخبرنا فداك أبى وأمى يارسول الله قال من أشراط الساعة إضاعة الصلاة والميل مع الهوى وتعظيم رب المال فقال سلمان ويكون هذا يارسول الله قال نعم والذى نفس محمد بيده فعند ذلك يا سلمان تكون الزكاة مغرما والفىء مغنما ويصدق الكاذب ويكذب الصادق ويؤتمن الخائن ويخون الأمين ويتكلم الرويبضة قالوا وما الرويبضة قال يتكلم فى الناس من لم يكن يتكلم وينكر الحق تسعة أعشارهم ويذهب الإسلام فلا يبقى إلا رسمه وتحلى المصاحف بالذهب ويتسمن ذكور أمتى وتكون المشورة للاماء ويخطب على المنابر الصبيان وتكون المخاطبة للنساء فعند ذلك تزخرف المساجد كما تزخرف الكنائس والبيع وتطول المنابر وتكثر الصفوف مع قلوب متباغضة وألسن مختلفة واهواء جمة قال سلمان ويكون ذلك يارسول الله قال نعم والذى نفس محمد بيده عند ذلك يا سلمان يكون المؤمن فيهم أذل من الأمة يذوب قلبه فى جوفه كما يذوب الملح فى الماء مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيره ويكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء ويغار على الغلمان كما يغار على الجارية البكر فعند ذلك يا سلمان تكون أمراء فسقة ووزراء فجرة وأمناء خونة يضيعون الصلاة ويتبعون الشهوات فإن أدركتموهم فصلوا صلاتكم لوقتها عند ذلك ياسلمان يجىء سبى من المشرق وسبى من المغرب جثاؤهم جثاء الناس وقلوبهم قلوب الشياطين لا يرحمون صغيرا ولا يوقرون كبيرا عند ذلك ياسلمان يحج الناس إلى هذا البيت الحرام ويحج ملوكهم لهوا وتنزها وأغنياؤهم للتجارة ومساكينهم للمسئلة وقراؤهم رياء وسمعة قال ويكون ذلك يا رسول الله قال نعم والذى نفسى بيده عند ذلك يا سلمان يفشو الكذب ويظهر الكوكب له الذنب وتشارك المرأة زوجها فى التجارة وتتقارب الاسواق قال وما تقاربها قال كسادها وقلة أرباحها عند ذلك يا سلمان يبعث الله ريحا فيها حيات صفر فتلتقط رؤس العلماء لما رأوا المنكر

فلم يغيروه قال ويكون ذلك يا رسول الله قال نعم والذى بعث محمدا بالحق رواه ابن مردويه عنه قوله فى الحديث وتكثر الصفوف الخ معناه أنهم لا يتمون الصفوف الاول فالاول بل يصطف كل ثلاثة فى صف وأربعة فى صف وهكذا فتكثر الصفوف ويؤيده قوله مع قلوب متباغضة لأن ذلك يورث تخالف القلوب وتباغضها كما أشار إليه حديث أقيموا صفوفكم أى أتموها ولا تختلفوا فيخالف الله بين قلوبكم وقد جاء عنه رواية اخرى أسجد منه قال القاضى أبو الفرج المعافى فى المجلس الحادى والستين من كتابه الجليس والانيس مالفظه حدثنا محمد بن الحسن بن على سعيد أبو الحسن الترمذى فى صفر سنة سبع عشرة وثلثمائة أملاه من أصل كتابه قال حدثنا أبو سعيد محمد بن الحسن بن ميسرة قال حدثنا أبو بكر محمد بن أبى شعيب الخواتيمى قال حدثنا إبراهيم بن مخلد عن سليمان الخشاب مولى لبنى شيبة قال أخبرنى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال لما حج النبى صلى الله عليه وسلم حجة الودع أخذ بحلقتى باب الكعبة ثم أقبل بوجهه على الناس فقال يا أيها الناس قالوا لبيك يارسول الله تفديك آباؤنا وامهاتنا ثم بكى حتى علا انتحابه فقال يا أيها الناس إنى اخبرتكم بأشراط القيامة إن من أشراط القيامة إماتة الصلوات واتباع الشهوات والميل مع الهوى وتعظيم رب المال قال فوثب سلمان فقال يابى أنت وأمى إن هذا لكائن قال أى والذى نفسى بيده عندها يذوب قلب المؤمن كما يذوب الملح فى الماء مما يرى ولا يستطيع أن يغير قال سلمان بأبى أنت وأمى إن هذا لكائن قال أى والذى نفسى بيده إن المؤمن ليمشى بينهم يومئذ بالمخافة قال سلمان بأبى أنت وأمى وإن هذا لكائن قال أى والذى نفسى بيده عندها يكون المطر قيظا والولد غيظا ويفيض اللئام فيضا ويغيض الكرام غيضا قال سلمان بأبى أنت وأمى وإن هذا لكائن قال أى والذى نفسى بيده للمؤمن يومئذ أذل من الأمة فعندها يكون المنكر معروفا والمعروف منكرا ويؤتمن الخائن ويخون الامين ويصدق الكذاب ويكذب الصادق قال سلمان بأبى أنت وأمى وإن هذا لكائن قال أى والذى نفسى بيده عندها يكون أمراء جورة ووزراء فسقة وأمناء خونة وإمارة النساء ومشاورة الإماء وصعود الصبيان المنابر قال سلمان بأبى أنت وأمى إن هذا لكائن قال أى والذى نفسى بيده يا سلمان عندها يليهم اقوام إن تكلموا قتلوهم وإن سكتوا استباحوهم ويستأثرون بفيئهم وليطؤن حريمهم ويجار فى حكمهم ويليهم أقوام جثاهم جثا الناس قال القاضى أبو الفرج هوهكذا فى الكتاب والصواب جثثهم جثة الناس وقلوبهم قلوب الشياطين لا يوقرون كبيراً ولا يرحمون

صغيراً قال سلمان بأبى أنت وأمى ان هذا لكائن قال أى والذى نفسى بيده يا سلمان عندها تزخرف المساجد كما تزخرف الكنائس والبيع وتحلى المصاحف ويطيلون المنابر ويكثر العقوق قلوبهم متباغضة وأهواؤهم جمة وألسنتهم المختلفة قال سلما بأبى أنت وأمى ان هذا لكائن قال أى والذى نفسى بيده عندها يكون الكذب ظرفا والزكاة مغرما ويظهر الرشا ويكثر الربا ويتعاملون بالعينة ويتخذون المساجد طرقا قال سلمان بأبى أنت وأمى وان هذا لكائن قال أى والذى نفسى بيده ياسلمان عندها تتخذ جلود النمور صفوفا يتحلى ذكور أمتى بالذهب ويلبسون الحرير ويتهاونون بالدماء وتظهر الخمر والقينات والمعازف وتشارك المرأة زوجها فى التجارة قال سلمان بأبى أنت وأمى وان هذا لكائن قال أى والذى نفسى بيده يا سلمان عندها يطلع كوكب الذنب ويكثر السيحان ويتكلم الرويبضة قال سلمان وما الرويبضة قال يتكلم فى العامة من لم يكن يتكلم وتحتقن الرجل للسمنة ويتغنى بكتاب الله عزوجل ويتخذ القرآن مزامير ويباع الحكم ويكثر الشرط قال سلمان بأبى أنت وأمىان هذا لكائن قالأى الذى نفسى بيده يحج أمراء الناس لهوآوتنزها وأوساط الناس للتجارة وفقراء الناس المسألة وقراء الناس للرياء والسمعة قال سلمان بأبى أنت وأمى ان هذا لكائن قال أى والذى نفسى بيده عندها يغار على الغلام كما يغار على الجارية البكر ويخطب الغلام كما تخطب المرأة ويهيأ كما تهيأ المرأة ويتشبه النساء بالرجال ويتشبه الرجال بالنساء ويكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وتركب ذوات الفروج والسروج فعليهن من أمتى لعنة الله قال سلمان بأبى أنت وأمى وان هذا لكائن قال أى والذى نفسى بيده عندها يظهر قراء عبادتهم التلاوم بينهم أولئك يسمون فى ملكوت السماء الانجاس الارجاس قال سليمان بابى أنت وأمى وإن هذا لكائن قال أى والذى نفسى بيده عندها يتشبب المشيخة قال أحسبه ذهب من كتابى هذا الحرف وحده ان الحمرة خضاب الإسلام والصفرة خضاب الإيمان والسواد خضاب الشيطان قال سلمان بأبى أنت وأمى وان هذا لكائن قال أى والذى نفسى بيده عندها يوضع الدين وترفع الدنيا ويشيد البناء وتعطل الحدود ويميتون سنتى فعندها يا سلمان لاترى الاذماولا ينصرهم الله قال بأبى أنت وأمى وهم يومئذ مسلمون كيف لاينصرون قال ياسلمان ان نصرة الله الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وان أقواما يذمون الله تعالى ومذمتهم اياه أن يشكوه وذلك عند تقارب الاسواق قال وما تقارب الاسواق قال عند كسادها كل يقول ما أبيع ولا أشترى ولا أربح ولا رازق الا الله تعالى قال سلمان بأبى أنته

وأمى وإن هذا لكائن قال أى والذى نفسى بيده عندها يجفو الرجل والديه ويبر صديقه ويتألفون بغير الله تعالى ويحلف الرجل من غير أن يستحلف ويتحالفون بالطلاق يا سلمان لا يحلف بها إلا فاسق ويفشو الموت موت الفجأة ويحدث الرجل سوطه قال سلمان بأبى أنت وأمى وإن هذا لكائن قال أى والذى نفسى بيده تخرج الدابة وتطلع الشمس من مغربها ويخرج الدجال وريح حمراء ويكون خسف ومسخ وقذف ويأجوج ومأجوج وهدم الكعبة وتمور الأرض وإذا ذكر الرجل روى ومنها عن على كرم الله وجهه أن عمر رضى الله عنه سأل رسول الله عن الساعة فقال ذلك عند حيف الأئمة وتكذيب بالقدر وإيمان بالنجوم وقوم يتخذون الأمانة مغنما والزكاة مغرما والفاحشة زيارة فسألته عن الفاحشة زيارة قال الرجلان من أهل الفسق يصنع أحدهما طعاما وشرابا ويأتيه بالمرأة فيقول أصنع ما كنت تصنع فيتزاورون على ذلك قال فعند ذلك أهلكت أمتى يا ابن الخطاب رواه ابن أبى الدنيا والبزار عنه ومنها عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتراب الساعة اثنان وسبعون خصلة إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة وأضاعوا الأمانة وأكلوا الربا واستحلوا الكذب واستخفوا بالدماء واستعلوا بالبناء وباعوا الدين بالدنيا وتقطعت الأرحام ويكون الحكم ضعفا والكذب صدقا والحرير لباسا وظهر الجور وكثر الطلاق وموت الفجأة وائتمن الخائن وخون الأمين وصدق الكاذب وكذب الصادق وكثر القذف وكان المطر قيظا والولد غيظا وفاض اللئام فيضا وغاض الكرام غيضا وكان الأمراء فجرة والوزراء كذبة والأمناء خونة والعرفاء ظلمة والقراء فسقة إذا لبسوا مسوك الضأن قلوبهم أنتن من الجيفة وأمر من الصبر يغشيهم الله فتنة يتهاوكون فيها تهاوك اليهود الظلمة وتظهر الصفراء يعنى الدنانير وتطلب البيضاء وتكثر الخطباء ويقل الأمر بالمعروف وحليت المصاحف وصورت المساجد وطولت المنابر وخربت القلوب وشربت الخمور وعطلت الحدود وولدت الأمة ربتها وترى الحفاة العراة قد صاروا ملوكا وشاركت المرأة زوجها فى التجارة وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال وحلف بغير الله وشهد المرء من غير أن يستشهد وسلم للمعرفة وتفقه لغير دين الله وطلب الدنيا بعمل الآخرة واتخذ المغنم دولا والأمانة مغنما والزكاة مغرما وكان زعيم القوم أرذلهم وعق الرجل أباه وجفا أمه وبر صديقه وأطاع امرأته وعلت أصوات الفسقة فى المساجد واتخذت القينات والمعازف

وشربت الخمور فى الطرق واتخذ الظلم فخرا وبيع الحكم وكثرت الشرط واتخذ القرآن مزامير وجلود السباع صفاقا ولعن آخر هـذه الأمة أولها فلير تقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا ومسخا وقذفا وآيات أخرجه أبو نعيم فى الحلية عنه ومنها اذا ظهر القول وخزن العمل وائتلفت الألسن واختلفت القلوب وقطع كل ذى رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أحمد وعبد بن حميد وابن أبى حاتم عن سلمان موقوفا والحسن بن سفيان والطبرانى وابن عساكر والديلمى عنه مرفوعا ومنها اذا الناس أظهروا العلم وضيعوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا فى الأرحام لعنهم الله عند ذلك فاصمهم وأعمى أبصارهم ابن أبى الدنيا فى كتاب العلم عن الحسن رحمه الله ولنختم هذا القسم بحديث عن أمير المؤمنين على كرم الله وجهه جامع لأكثر ما ذكر وزيادة تبركا قال قال صلى الله عليه وسلم من اقتراب الساعة اذا رأيتم الناس أضاعوا الصلاة وأضاعوا الأمانة واستحلوا الكبائر وأكلوا الربا وأكلوا الرشا وشيدوا البناء واتبعوا الهوى وباعوا الدين بالدنيا واتخذوا القرآن مزامير واتخذوا جلود السباع صفاقا والمساجد طرقا والحرير لباسا وأكثر والجور وفشا الزنا وتهاونوا بالطلاق وائتمن الخائن وخون الأمين وصار المطر قيظا والولد غيظا وأمراء فجرة ووزراء كذبة وأمناء خونة وعرفاء ظلمة وقلت العلماء وكثر القراء وقلت الفقهاء وحليت المصاحف وزخرفت المساجد وطولت المنابر وفسدت القلوب واتخذوا القينات واستحلت المعازف وشربت الخمور وعطلت الحدود ونقصت الشهور ونقضت المواثيق وشاركت المرأة زوجها فى التجارة وركب النساء البراذين وتشبهت النساء بالرجال والرجال بالنساء وحلف بغير الله وشهد الرجل من غير أن يستشهد وكانت الزكاة مغرما والأمانة مغنما وأطاع الرجل امرأته وعق امه وقرب صديقه واقصى اباه وصارت الإمارات مواريث وسب آخر هذه الأمة اولها واكرم الرجل اتقاء شره وكثرت الشرط وصعدت الجهال المنابر ولبس الرجال التيجان وضيقت الطرقات وشد البناء واستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وكثرت خطباء منابركم وركن علماؤكم الى ولاتكم فاحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال وأفتوهم بما يشتهون وتعلم علماؤكم العلم ليجلبوا به دنانيركم ودراهمكم فاتخذتم القرآن تجارة وضيعتم حق الله فى اموالكم وصارت اموالكم عند شراركم وقطعتم ارحامكم وشربتم الخمور فى ناديكم ولعبتم بالميسر وضربتم بالكبير والمعرفة والمزامير ومنعتم محاويجكم زكاتكم ورأيتموها مغرما وقتل البرىء ليغيظ العامة وختلفت اهواؤكم وصار العطاء فى العبيد والسقاط

وطففت المكاييل والموازين ووليت أموركم السفهاء أبو الشيخ وعويس والديلم كلهم عن على كرم الله وجهه ولنشرع فى شرح ألفاظه ليتم به النفع قوله أضاعوا الصلاة أى تركوها أو أخلوا بشىء من أركانها وواجباتها ولا ينافى هذا ما ورد أن أول مايرفع من الإمة الأمانة وآخر ما يرفع الصلاة لأن المراد بقاء صورة الصلاة وهنا أضاعها بالاخلال بخشوعها أو شروطها وقوله أضاعوا الأمانة قال فى النهاية الأمانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والأمانة انتهى والكل جائز هنا أما فى قوله الآتى الأمانة مغنما فالمراد بها الوديعة قوله وشيدوا البناء أى طولوها من الشيد بمعنى الرفع أو جصصوها وعملوها بالشيد وهو كل ماطليت به الحائط من جص وغيره وقوله واتبعوا الهوى أى ما تهواه أنفسهم من العقائد الفاسدة والآراء الباطلة المخالفة الأحاديث الصحيحة قوله باعوا الدين بالدنيا أى رضوا بنقص دينهم مع سلامة دنياهم وآثروا سلامة الدنيا على سلامة الدين قوله اتخذوا القرآن مزامير أى يتغنون به من غير تدبر فى مواعظه وأحكامه قوله اتخذوا جلود السباع صفافا جمع صفة وهى للسرج بمنزلة المبثرة من الرحل وهو شىء يفرش فى السرج ويجلس عليه ومنه الحديث نهى عن صفف النمور قوله المساجد طرقا أى يمرون بالمساجد بغير الصلاة ولا يصلون فيه ركعتين قوله تهاونوا بالطلاق أى يحلفون بالطلاق كثيرا لا يبالون بوقوعه قوله صار المطر قيظا مر تفسيره قوله اتخذوا القينات جمع قينة وهى الأمة المغنية والمعازف آلات اللهو كالطنبور والبربط والرباب وغيرها قوله عطلت الحدود كأن لا يرجم الزانى ولا يقطع السارق ولا يحد القاذف قوله نقصت الشهور بالصاد المهملة أى تكون الشهور أكثرها ناقصة قوله ونقضت المواثيق بالضاد المعجمة المواثيق جمع ميثاق وهو العهد قوله ركب النساء البراذين جمع برذون بكسر الموحدة وسكون الراء وفتح الذال المعجمة آخره نون الدابة والمؤنث برذونه وجمعه براذين ويقال لصاحبه المبرذن والمعنى انهن يركبن الدواب كما فى رواية تركبن السرج تشبها بالرجال قوله حلف بغير الله كأن يقول ورأس السلطان أو حياة سيدى أو والدى أو والأمانة أو غير ذلك من الطلاق أو العتق أو نحو ذلك وقد أتى زمان لا يصدقون إلا إن حلف بغير الله فإنا لله وإنا إليه راجعون قوله كانت الزكاة مغرما إلى قوله أقصى أباه مر تفسيرها قوله صارت الإمارات مواريث أى لا يراعون فى الإمارة الدين والرشد والتدبير والعلم وغير ذلك من صفات الكمال بل يقولون هذا ولدا الأمير أو أخوه فهو أحق بالإمارة وأول من أحدث هذا بنو أمية فولوا أبناءهم ولم يفعل

أحد من الخلفاء الراشدين هذا فلم يولوا أولادهم ولا قرابتهم قوله وسب آخر هذه الأمة أولها إشارة إلى ما اشتهر من الرفض وسب عامة الصحابة والتابعين والسلف الصالح حتى أن الرجل منهم يسب أباه وجده الذى مات على السنة فإنا لله وإنا إليه راجعون قوله وأكرم الرجل اتقاء شره أى يخاف ان لم يكرمه أن يناله شره وليس به من الدين شيء قوله كثرت الشرط أى أعوان الظلمة قوله واستغنى الرجال بالرجال الخ من تفسيره قوله وصعدت الجهال المنابر معناه واضح وفى رواية الجهلاء بدل الجهال ومعناه السمان أى الذين ليس عندهم خوف الآخرة فإن الخوف يذيب الشحم ولذا قال الشافعى : ما رأيت سمينا أفلح قط قوله ولبس الرجال التيجان أى رجعوا إلى عادة المجوس والفرس من لبس التاج فقد قال صلى الله عليه وسلم العمائم تيجان العرب أى أن العرب لا يلبسون التاج وإنما يلبسون العمائم بدلها قوله وضيقت الطرقات أى يبنون فى الطريق الشارع الدكك ويجلسون فيها ويتحدثون بالباطل ويضيقون الطرقات على المارة قوله وخطباء منابركم أى أنهم لا يخطبون لله ولا للاستحقاق وإنما يشترون وظيفه الخطابة فيكثر الراغبون فى ذلك ولقد رأينا فى المسجد الواحد أكثر من عشرين خطيبا قوله وركن علماؤكم الخ أن يميل العلماء إلى الملوك فيفتون بمقتضى هواهم ولو خالف الشرع ويتوصلون بذلك إلى دنياهم فيحلون لهم الحرام من المعازف وأكل الحرام والكبر والغرور والمكوس ويحرمون عليهم الحلال من التواضع والتقلل وإقامة الحدود ونحوها قوله وتعلم علماؤكم الخ أى لا يتعلمون لوجه الله ولدينهم وإنما قصدهم فى التعلم تحصيل الدنيا ومن ذلك أن أكثر رغبتهم فى الفلسفيات والحكميات مع أنهم جاهلين بالسنه وشرائع الأحكام ويعدون أنفسهم من علماء الإسلام فإنا لله وإنا إليه راجعون قوله اتخذتم القرآن تجارة أى أن أعطوا أجرة على القراءة قرءوا وإلا لم يقرءوا قوله ضيعتم حق الله فى أموالكم أى من الزكاة وغير ذلك من الحقوق الماليه إما بعدم إخراجها أو بالإخلال ببعض شروطها من الاستحقاق وقدر الواجب وغير ذلك قوله وشربتم الخمور فى ناديكم أى فى مجالسكم العامه غير مختفين بل مجاهرين بشربها وليس هذا تكرارا مع قوله السابق وشربت الخمور لأن ذلك هو الشراب لا بقيد المجاهرة بخلاف هذا وكذا يقال فى حديث الخمور فى الطرق قوله ولعبتم بالميسر وضربتم بالكبر الخ قال فى النهاية الميسر هو القمار منه الحديث الشطرنج ميسر العجم شبه اللعب به بالميسر وهو القمار بالقداح وكل شيء فيه قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز انتهى أى ومنه اللعب فى الأعياد بالبيض ونحوه والكبر بفتحتين الطبل ذو الرأسين وقيل الطبل الذى له

وجه واحد والمعزفة واحدة المعازف وقد مر تفسيرها والمزامير جمع مزمار وهو الآلة التى يزمر بها ويقال له بالفارسية صرنا قوله منعتم محاويجكم كاتكم معناه واضح قوله قتل البرىء ليغيظ العامة بقتله معناه انهم لا يقتلون القاتل ويقتلون بريئا من قبيلته أو قريبة ليغيظهم ذلك وهو جمع بين ذنبين ترك القود وقتل البرىء قوله صار العطا فى العبيد والسقاط سقاط الناس أراذلهم وأدانيهم فهو كقوله وسد الأمر إلى غير أهله قوله وطفف المكاييل والموازين التطفيف هو بخس الكيل والوزن فهذه جملة من الأشراط من القسم الثانى وهى كلها موجودة وهى فى التزايد يوما فيوما وقد كادت تبلغ الغاية أو قد بلغت فنسأل الله أن يجنبنا الفتن ويعصمنا من المحن ويميتنا على السنن ويغفر لنا الذنوب التى جنيناها فى السر والعلن إنه جواد كريم ذو المنن بجاه جد الحسين والحسن آمين يا أرحم الراحمين ﴿ خاتمة ﴾ فى سرد أحاديث تناسب المقام عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العبادة فى الهرج كهجرة إلى رواه مسلم والترمذي وابن ماجه وعن الزبير بن عدى قال شكونا إلى أنس من الحجاج فقال اصبروا انه لا يأتى عليكم زمان إلا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم صلى الله علية وسلم رواه البخارى والترمذى وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين وإذا وضع السيف فى أمتى لم يرفع إلى يوم القيامة رواه أبو داود وابن ماجه وعن عتبة بن غزوان قال ان من ورائكم أيام الصبر المتمسك فيه يومئذ بمثل ما انتم عليه له كأجر خمسين منكم رواه الطبرانى وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال النبى صلى الله عليه وسلم كيف بك إذا بقيت فى حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا وكانوا كهذا وشبك بين أصابعه قال فيم تامرنى قال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك امر العامة رواه ابو داود والنسائى وهذا من قبيل قوله تعالى عليكم انفسكم لا يضركم من ضل إذا اهديتم وعن ابى موسى نحوه وفى آخره قالوا فما تأمرنا قال كونوا احلاس بيوتكم رواه ابو داود والترمذى وابن ماجه وعن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيصيب امتى فى آخر الزمان بلاء شديد لا ينجو منه إلا رجل عرف دين الله فجاهد عليه بلسانه وبقلبه فذلك الذى سبقت له السوابق ورجل عرف دين الله فصدق به رواه ابو نصر السجزى وابو نعيم وعن حذيفة قال قلت يا رسول الله هل بعد هذا الخير شر قال نعم دعاة على أبواب جهنم من اجابهم إليها قذفوه فيها قلت صفهم لنا قال هم جلدتنا

يتكلمون بألسنتنا قلت فما تأمرنى ان ادركنى ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم
قلت فإن لم يكن جماعة ولا إمام قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض بأصل شجرة
حتى يدركك الموت وانت على ذلك وفى رواية عنه يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهدى
ولا يستنون بسنتى وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان انس قال
حذيفة كيف اصنع يارسول الله ان ادركت ذلك قال تسمع وتطيع الأمر وإن ضرب
ظهرك واخذ مالك رواه مسلم وعن ابى ذر رضى الله عنه قال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا ابا ذر كيف انت إذا كنت فى حثالة وشبك بين اصابعه قال ما تأمرنى
يارسول الله قال اصبر اصبر اصبر خالقوا الناس بأخلاقهم وخالفوهم فى اعمالهم رواه
الحاكم والبيهقى فى الزهد وعن ابى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تقربوا الفتنة إذا حميت ولا تعرضوا لها إذا عرضت واضربوا اهلها إذا اقبلت
وعن خالد بن عرفطة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له يا خالد انها ستكون بعدى
أحداث وفتن وفرقة واختلاف فإذا كان ذلك فإن استطعت أن تكون عبد الله
المقتول لا القاتل فافعل رواه أحمد وابن أبى شيبة ونعيم بن حماد والطبرانى والبغوى
والباوردى وابن قانع وأبو نعيم والحاكم وعن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم سيكون فى آخر الزمان شرطة يغدون فى غضب الله ويروحون فى سخط
الله فاياك أن تكون من بطانتهم وعن أبى هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم إنكم
فى زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك ثم يأتى زمان من عمل منهم بعشر ما أمر
به نجا رواه الترمذى وعن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول كل عشية خميس لأصحابه
سيأتى على الناس زمان تمات فيه الصلاة ويشرف فيه البنيان ويكثر فيه الحلف والتلاعن
ويفشو فيه الرشا والزنا وتباع الآخرة بالدنيا فإذا رأيت ذلك فالنجا النجا قيل وكيف
النجا قال كن حلساً من أحلاس بيتك وكف لسانك ويدك رواه ابن أبى الدنيا وعن
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبى بعثه الله فى أمته قبلى
إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون به ثم انها تخلف من
بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن
ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من
الإيمان حبة خردل رواه مسلم وعن أبى سعيد قال قال صلى الله عليه وسلم من أكل
طيباً وعمل فى سنة وأمن الناس بوائقه دخل الجنة فقال رجل يارسول الله إن هذا
اليوم لكثير فى الناس قال وسيكون فى قرون بعدى رواه الترمذى وعن أنس قال

قال لى رسول الله ﷺ يابنى ان قدرت على أن تصبح وتمسى ليس فى قلبك غش لأحد فافعل ثم قال يابنى وذلك من سنتى ومن أحب سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة رواه الترمذى وعن ابن عباس قال قال النبى ﷺ من تمسك بسنتى عند فساد أمتى فله أجر مائة شهيد رواه البيهقى وعن أبى هريرة المتمسك بسنتى عند فساد أمتى له أجر شهيد رواه الطبرانى فى الأوسط .

الباب الثالث

فى الإشراط العام والامارات القريبة التى تعقبها الساعة وهى أيضا كثيرة . . فمنها المهدى وهو أولها واعلم ان الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها لاتكاد تنحصر فقد قال محمد بن الحسن الاسنوى فى كتاب مناقب الشافعى قد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بذكر المهدى وأنه من أهل بيته ﷺ انتهى وستأتى الاشارة إليها إجمالا ولو تعرضنا لتفصيلها طال الكتاب وخرج عن موضوعه ولكن نقتصر على حاصل الجمع بين الروايات من غير تعرض لمخرجها ومخرجيها والكلام فيه يأتى فى مقامات

﴿ المقام الأول ﴾ فى اسمه ونسبه ومولده ومبايعه ومهاجره وحليته وسيرته . . أما اسمه ففى أكثر الروايات انه محمد وفى بعضها أنه أحمد واسم أبيه عبد الله فقد ورد بل صح عنه ﷺ كما عند أبى داود والترمذى وقال حسن صحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال يواطىء أى يوافق اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى وتعسف بعض الشيعة فقالوا ان هذا تحريف والصواب اسم أبيه اسم ابنى بالنون يعنى الحسن أو ان المراد بابيه جده يعنى الحسين والمراد باسمه كنيته فإن كنيته الحسين أبو عبد الله فمعناه إن كنية جده الحسين توافق اسم ولد النبى ﷺ وذلك لاعتقادهم أنه محمد بن الحسن العسكرى وهو باطل من وجوه أما أولا فلهذه التعسفات وأما ثانيا فلان محمد بن الحسن هذا مات وأخذ عمه جعفر ميراث أبيه الحسن وأما ثالثا فلان المهدى يبايع وهو ابن أربعين سنة أو أقل ولو كان هو لزاد عن سبعمائة سنة وأما رابعا فلان مولد المهدى المدينة بخلافه وأما خامسا فلان رواية ابن المنادى عن على عليه السلام فيجىء الله بالمهدى محمد بن عبد الله بل وكثير من الأحاديث صريحة فى رد ما قالوه ووجوه أخر لانطيل الكلام بذكرها

﴿ تنبيه ﴾ وقع للشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى كتاب اليواقيت والجواهر أنه مشى على هذا القول ونسبه للفتوحات المكية وسيأتى كلام الفتوحات وليس فيه ذلك بل الذى فيه هو أن المهدى من أولاد فاطمة ولاشك ان العسكرى من أولاد الحسين فما فى الفتوحات أعم مما نسب إليها والظاهر ان هذا مدسوس على الشعرانى ويؤيده أنه فى حياته لم يحرر الكتاب المذكور وانه قال فيه لاأحل لأحد أن يروى عنى هذا الكتاب حتى يعرضه على علماء المسلمين ويجيزوا ما فيه وقد وقع فيما خاف منه فدس عليه مذهب الشيعة ومما دس عليه فى طبقاته أنه قال فى ترجمة الحسين بن على ان العقب منه فقط لامن أخيه الحسن وهذا أيضا من دسائس الرافضة وإلا فكيف ينكر الشعرانى نسب الحسن وهو أظهر من أن يشهر وأكثر من ان يحصر ومنهم الأعاظم كأئمة اليمن وملوك الحجاز وملوك الغرب وأئمة طبرستان القدماء كالداعى الكبير وكتب النسب طافحة بانسابهم كعمدة الطالب وغيرها وأئمة علم الأنساب مجمعون على اثبات نسبه لم يختلف فيه منهم اثنان ثم كيف يجوز أن ينسب ذلك إلى الشعرانى وهو مصرى وأجلاء بنى حسن كانوا بمصر كبنى طباطبا وغيرهم فليتنبه لذلك فانه زلة وبالله التوفيق ولقبه المهدى لأن الله هداه للحق والجابر لانه يجبر قلوب أمة محمد ﷺ أو لأنه يجبر أى يقهر الجبارين والظالمين ويقصمهم وكنيته أبو عبد الله وفى الشفاء للقاضى عياض رحمه الله ان كنيته أبو القاسم وانه جمع له بين كنية النبى ﷺ واسمه ولم يذكر له سندا سلام الله عليه وأما نسبه فانه من أهل بيت النبى ﷺ ثم الذى فى الروايات الكثيرة الصحيحة الشهيرة انه من ولد فاطمة عليها السلام وجاء فى بعضها أنه من ولد العباس رضى الله عنه ثم اختلفت الروايات فى ولدى فاطمة ففى بعضها أنه من أولاد الحسن وفى بعضها أنه من أولاد الحسين ووجه الجمع بينهما ان ولادته العظمى من الحسين أو من الحسن وللآخر فيه ولاده من جهة بعض أمهاته وكذلك للعباس فيه ولادة أيضا على أن فى أولاد العباس كان من تسمى بالمهدى وجاءتهم الرايات السود من خراسان كما تجىء للمهدى وكان قبله المنصور كما يكون قبل المهدى المنصور . وأما مولده فانه يولد بالمدينة رواه نعيم بن حماد عن أمير المؤمنين على كرم الله وجهه وفى التذكرة للقرطبى أن مولده ببلاد المغرب وانه يأتى من هناك ويجوز على البحر كما سيأتى نقله وأما مبايعته فانه يبايع بمكة بين الركن والمقام ليلة عاشوراء كما يأتى وأما مهاجره فإنه مهاجر إلى بيت المقدس وأن المدينة تخرب بعد هجرته وتصير مأوى للوحوش فقدر رد عمران بيت المقدس خراب يثرب

وأما حليته فانه آدم ضرب من الرجال ربعة أجلى الجبهة أقنى الأنف أشم أزج أبلج أعين أكحل العينين براق الثنايا أفرقها فى خده الايمن خال أسود يضىء وجهه كأنه كوكب درى كث اللحية فى كتفه علامة النبى ﷺ أذيل الفخذين لونه لون عربى وجسمه جسم اسرائيلى فى لسانه ثقل وإذا أبطأ عليه الكلام ضرب فخذه الأيسر بيده اليمنى ابن أربعين سنة وفى رواية ما بين ثلاثين إلى أربعين خاشع لله خشوع النسر بجناحيه عليه عباءتان قطوانيتان يشبه النبى ﷺ فى الخلق أى بالضم لافى الخلق أى بالفتح ولنذكر تفسير بعض كلماته قوله آدم هو الأسمر شديد السمرة أو هو الذى لونه لون الأرض وبه سمى آدم عليه السلام قوله ضرب من الرجال هو الخفيف اللحم المشوق المستدق قوله ربعة هو بين الطويل والقصير قوله أجلى الجبهة هو الخفيف شعر النزعتين من الصدغين والذى أنحسر الشعر عن جبهته قوله أقنى الأنف القنا فى الانف طوله ودقة أرنبته يقال رجل أقنى وامرأة قنواء قوله أشم يقال فلان أشم الانف إذا كان عرنينه رفيعا قوله أزج أبلج الزجج هو تقويس فى الحاجب مع طول فى طرفه وامتداد وفلان أزج حاجبه كذلك والأبلج هو المشرق اللون مسفره والأبلج أيضا هو الذى وضح مابين حاجبيه فلم يقترنا والاسم البلج بفتح اللام قوله أعين أكحل العينين الاعين الواسع العين والمرأة العيناء والجمع عين ومنه قوله تعالى (وحور عين) والكحل بفتحتين سواد فى أجفان العين خلقه من غير اكتحال والرجل أكحل والمرأة كحلاء قوله براق الثنايا أفرقها أى لها بريق ولمعان من شدة بياضها وافرقها أى ثناياه متباعدة ليست متلاصقة قوله أذيل الفخذين أى منفرج الفخذين متباعدهما قوله عباءتان قطوانيتان القطوانيه قال فى النهاية عباءة بيضاء قصيرة الخمل والنون زائدة يقال كساء قطوانى وعباءة قطوانية

وأما سيرته فانه يعمل بسنة النبى ﷺ لا يوقظ نائما ولا يهريق دما يقاتل على السنة لايترك سنة إلا أقامها ولا بدعة إلا رفعها يقوم بالدين آخر الزمان كما قام به النبى ﷺ أوله يملك الدنيا كلها كما ملك ذو القرنين وسليمان يكسر الصليب ويقتل الخنزير يرد إلى المسلمين العتيم ونعمتهم يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلماً وجورا يحثو المال حثيا ولا يعده عدا يقسم المال صحاحا بالسوية يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض والطير فى الجو والوحش فى القفر والحيتان فى البحر يملأ قلوب أمة محمد غنى حتى أنه يامر مناديا ينادى الا من له حاجة فى المال فلا يأتيه الا رجل واحد فيقول أنا فيقول أئت السادن يعنى الخازن فقل له إن المهدى يأمرك أن تعطينى مالا فيقول له أحث

حتى إذا جعله فى حجره وأبرزه ندم فيقول كنت أجشع أمة محمد ﷺ أى أحرصهم والجشع أشد الحرص ويقول أعجز عما وسعهم قال فيرده فلا يقبل منه فيقال له أنا لا نأخذ شيئا اعطيناه تنعم الأمة برها وفاجرها فى زمنه نعمة لم يسمع بمثلها قط ترسل السماء عليهم مدرارا لا تدخر شيئا من قطرها تؤتى الأرض أكلها لا تدخر عنهم شيئا من بزرها تجرى على يديه الملاحم يستخرج الكنوز ويفتح المداين مابين الخافقين يؤتى إليه بملوك الهند مغلغلين وتجعل خزائنهم حليا لبيت المقدس يأوى اليه الناس كما تأوى النحل إلى يعسوبها حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول يمده الله بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه مخالفيه وأدبارهم جبريل على مقدمته وميكائيل على ساقته ترعى الشاة والذئب فى زمنه فى مكان واحد وتلعب الصبيان بالحيات والعقارب لا تضرهم شيئا ويزرع الانسان مدا يخرج له سبعمائة مد ويرفع الربا والوبا والزنا وشرب الخمر وتطول الأعمار وتؤدى الأمانة وتهلك الأشرار ولا يبقى من يبغض آل محمد ﷺ محبوب فى الخلائق يطفى الله به الفتنة العمياء وتأمن الأرض حتى ان المرأة تحج فى خمس نسوة مامعهن رجل لا تخفن شيئا إلا الله مكتوب فى أسفار الإنبياء مافى حكمه ظلم ولا عيب قال الفقيه ابن حجر فى القول المختصر فى علامات المهدى المنتظر ولا ينافى هذا ان عيسى يفعل بعض ماذكر من قتل الخنزير وكسر الصليب إذ لا مانع أن كلا منهما يفعله أقول ويحتمل أن يكون الزمان واحدا وينسب إلى كل منهما باعتبار كما سيأتى.

(المقام الثانى) فى العلامات التى يعرف بها والأمارات الدالة على قرب خروجه عليه السلام أما العلامات فمنها أن معه قميص رسول الله ﷺ وسفيه ورايته من مرط مخملة معلمة سوداء فيها حجر لم تنشر منذ توفى ﷺ ولا تنشر حتى يخرج المهدى مكتوب على رايتة البيعة لله ومنها أن على رأسه عمامة فيها منادى هذا المهدى خليفة الله فاتبعوه وتخرج ممها يد تشير نحو المهدى بالبيعة ومنها أنه يغرس قضيبا يابسا فى أرض يابسة فيخضر ويورق ومنها أنه يطالب منه آية فيومى بيده إلى طير فى الهواء فيسقط على يده ومنها أنه يخسف جيش يقصدونه بالبيداء بين المدينة ومكة كما سيأتى ومنها أنه ينادى مناد من السماء أيها الناس إن الله قد قطع عنكم الجبارين والمنافقين وأشياعهم وولاكم خير أمة محمد ﷺ فالحقوا بمكة فإنه المهدى واسمه أحمد بن عبد الله وفى رواية وولاكم الجابر خير امة محمد ألحقوه بمكة فانه المهدى واسمه محمد بن عبد الله ومنها ان الأرض تخرج

أفلاذ كبدها مثل الاسطوانات من الذهب ومنها غنى قلوب الناس وكثرة بركات الأرض كما مر فى سيرته عليه السلام ومنها أنه يخرج كنز الكعبة المدفون فيها فيقسمه فى سبيل الله تعالى رواه نعيم عن على كرم وجهه ومنها أنه يستخرج تابوت السكينة من غار انطاكية أو من بحيرة طبرية فيخرج حتى يحمل فيوضع بين يديه ببيت المقدس فإذا نظر إليه اليهود أسلموا إلا قليلا منهم ومنها أنه ينفلق له البحر كما انفلق لبنى إسرائيل كما سيأتى إن شاء الله تعالى ومنها أنه تأتى الرايات السود من خراسان فيرسلون إليه بالبيعة ومنها أنه يجتمع بعيسى بن مريم عليهما السلام ويصلى عيسى خلفه ومنها مامر فى حليته من علامة النبى وثقل اللسان وغير ذلك .

وأما الأمارات الدالة على قرب خروجه فمنها أنه ينشق الفرات فينحسر عن جبل من ذهب ومنها أنه ينكسف القمر أول ليلة من رمضان والشمس ليلة النصف منه وهذان لم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض ومنها خسوف القمر مرتين فى شهر رمضان وهذا لا ينافى الأول كما هو واضح ومنها طلوع القرن ذى السنين ومنها طلوع نجم له ذنب يضىء ومنها ظهور نار عظيمة من قبل المشرق ثلاث ليال أو سبع ليال ومنها ظهور ظلمة فى السماء ومنها حمرة فى السماء وتنشر فى أفقها ليست كحمرة الافق ومنها نداء يعم جميع أهل الأرض ويسمع أهل كل لغة بلغاتهم ومنها خسف قرية بالشام يقال لها حرستا ومنها ينادى من السماء باسم المهدى فتسمع من بالمشرق ومن بالمغرب حتى لا يبقى راقد إلا استيقظ ولا قائم إلا قعد ولا قاعد إلا قام على رجليه وهذا غير الصوت بعد خروجه كما مر عصابة فى شوال ثم معمعة فى ذى القعدة ثم حرب فى ذى الحجه ونهب الحاج وقتلهم حتى تسيل الدماء على جمرة العقبة وبعض هذه المذكورات من نجم ذى ذنب والحمرة والسواد قد وقع والمعمعة صوت الحرب واليوم الشديد الحر والمراد منها الفتن ومنها أنه يكون اختلاف وزلازل كثيرة ومنها أنه ينادى مناد من السماء ألا ان الحق فى آل محمد وينادى مناد من الأرض ألا ان الحق فى آل عيسى وآل العباس وان الأول نداء الملك وان الثانى نداء الشيطان ومنها ما يأتى مما نذكره من الفتن الواقعة قبل ظهوره .

(المقام الثالث) فى الفتن الواقعة قبل خروجه وانسقها مساقا واحداً تقريبا إلى فهم العوام المقصودين بهذه الرسالة وتكميلا للفائد فنقول من الفتن التى قبله أنه ينحسر الفرات عن جبل من ذهب فإذا سمع به الناس ساروا إليه واجتمع ثلاثة كلهم ابن

خليفة يقتلون عنده ثم لا يصير إلى واحد منهم فيقول من عنده والله لئن تركت الناس يأخذون منه ليذهبن بكليته فيقتتلون عليه حتى يقتل من مائة تسعة وتسعون وفى رواية فيقتل تسعة أعشارهم وفى رواية من كل تسعة سبعة فيقول رجل لعلى أكون أنا أنجو وفى الصحيحين وغيرهما قال ﷺ فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا ومنها خروج السفيانى والابقع والاصهب والاعرج الكندى أما السفيانى فعن أمير المؤمنين على كرم الله وجهه أنه من ولد خالد بن يزيد بن أبى سفيان ويزيد هذا هو أخو معاوية ابن أبى سفيان صحابى أسلم مع أبيه وأخيه يوم الفتح مات فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه والسفيانى من ولده وهو رجل ضخم الهامة بوجهه آثار الجدرى بعينه نكتة بيضاء هكذا ورد فى حليته عن على وأنه يخرج من ناحية مدينة دمشق فى واد يقال له وادى اليابس يؤتى فى منامه فيقال له قم فاخرج فيقوم فلا يجد أحداً ثم يؤتى الثانية فيقال له مثل ذلك ثم يقال له فى الثالثة قم فاخرج فانظر إلى باب دارك فينحدر فى الثالثة إلى باب داره فإذا هو بسبعة نفر أو تسعة معهم لواء فيقولون نحن أصحابك مع رجل منهم لواء معقود لا يعرفون فى لوائه النصر يستفرش يديه على ثلاثين ميلا لا يرى ذلك العلم أحد إلا انهزم فيخرج فيهم ويتبعهم ناس من قريات الوادى وبيد السفيانى ثلاث قضبان لا يقرع بها أحداً الا مات فيسمع به الناس فيخرج صاحب دمشق فيلقاه ليقاتله فإذا نظر الى رايته انهزم فيدخل السفيانى فى ثلثمائة وستين راكبا دمشق وما يمضى عليه شهر حتى يجتمع عليه ثلاثون ألفا من كلب وهم أخواله وعلامة خروجه أنه يخسف بقرية من قرى دمشق ولعلها حرستا ويسقط الجانب الغربى من مسجدها ثم يخرج الابقع والاصهب فيخرج السفيانى من الشام والابقع من مصر والاصهب من الجزيرة أى جزيرة العرب لا جزيرة ابن عمر فإنها داخلة فى جزيرة العرب ويخرج الاعرج الكندى بالمغرب ويدوم القتال بينهم ويغلب السفيانى على الابقع والاصهب ويسير صاحب المغرب فيقتل الرجال ويسبى النساء ثم يرجع حتى ينزل الجزيرة إلى السفيانى على قيس فيظهر السفيانى على قيس ويحوز ماجمعوا من الاموال ويظهر على الرايات الثلاث .

﴿ تنبيه ﴾ الابقع والاصهب والاعرج والمنصور والحارث والمهدى صفات وألقاب لا أسماء لهم فليعلم ثم يقاتل الترك والروم بقرقيسيا فيظهر عليهم ويفسد فى الأرض فتبقر بطون النساء ويقتل الصبيان ويهرب رجال من قريش إلى قسطنطينية فيبعث إلى عظيم الروم أن يبعث بهم فى الجامع فيبعث بهم إليه فيضرب أعناقهم على

باب المدينة بدمشق ثم ينفتق عليهم فتق من خلفهم فيرجع إليهم ويقتل طائفة منهم فينهزمون حتى يدخلوا أرض خراسان وتقبل خيل السيفانى فى طلبهم كالليل والسيل فلا تمر بشىء إلا أهلكته وهدمته فيهدم الحصون ويخرب القلاع حتى يدخل الزوراء وهى بغداد فيقتل من أهلها مائة ألف ثم يسير إلى الكوفة فيقتل من أهلها ستين ألفا ويسبى النساء والذرارى ويبث جوره فى البلاد فتبلغ عامة المشرق من أرض خراسان ويطلبون أهل خراسان فى كل وجه ويبعث بعثا إلى المدينة فيأخذون من قدروا عليه من آل محمد صلى الله عليه وسلم ويقتلون من بنى هاشم رجالا ونساء ويؤتى بجماعة منهم إلى الكوفة وتفترق بقيتهم فى البرارى فعند ذلك يهرب المهدى والمبيض وفى رواية والمنصور إلى مكة فى سبعة نفر ويستخفون هناك فيرسل صاحب المدينة إلى صاحب مكة إذا قدم عليكم فلان وفلان يكتب أسماءهم فيعظم ذلك صاحب مكة ثم يتآمرون بينهم فيأتونه ليلا ويستجيرون به فيقول اخرجوا آمنين فيخرجون ثم يبعث إلى رجلين فيقتل أحدهما والآخر ينظر اليه ويقتلون النفس الزكية بين الركن والمقام فعند ذلك يغضب الله ويغضب أهل السموات ثم يرجع الآخر إلى أصحابه فيخبرهم فيخرجون حتى ينزلوا جبلا من جبال الطائف فيقيمون فيه ويبعثون إلى الناس فينثاب اليهم ناس فإذا كان كذلك غزاهم أهل مكة فيهزمون أهل مكة ويدخلون مكة ويقتلون أميرهم ويكونون بمكة إلى خروج المهدى .

﴿ تنبيه ﴾ ورد عن أبى عبد الله الحسين بن على عليهما السلام أنه قال لصاحب هذا الأمر يعنى المهدى عليه السلام غيبتان إحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات وبعضهم ذهب ولا يطلع على موضعه أحد من ولى ولا غيره إلا المولى الذى يلى أمره وهاتان الغيبتان والله أعلم ما مر آنفا أنه يختفى بجبال الطائف ثم ينساب اليه ناس ويظهر معهم ويهزم أهل مكة ثم إنه يختفى بجبال مكة ولا يطلع عليه أحد ويؤيده ما روى عن أبى جعفر محمد بن على الباقر أنه قال يكون لصاحب هذا الأمر غيبة فى بعض هذه الشعاب وأومأ بيده إلى ناحية ذى طوى ويلائمه قول أبى عبدالله الحسين المار حتى يقول بعضهم مات الخ لأن الاختفاء بعد الظهور هو الذى يظن فيه الموت وأما ما ذهب اليه الإمامية الشيعة من أنه محمد بن الحسن العسكرى وأنه غاب ثم ظهر لبعض خواص شيعته ثم غاب ثانيا وأنه يراه خواص شيعته فيرده أن الظهور لبعض الخواص لا يسمى ظهورا وقوله وفى رواية الحسين لا يطلع على موضعه أحد من ولى ولا غيره وإن هذا ينافى قولهم يعرفه خواص شيعته وكونه بناحية ذى طوى لأنهم يقولون غاب بسرداب بسر من رأى والله أعلم ويحج الناس فى هذه السنة أعنى سنة خروجه

من غير أمير فيطوفون جميعا فإذا نزلوا منى أخذ الناس كالكلب فيثور القبائل بعضهم على بعض فيقتلون وينهب الحاج وتسيل الدماء على جمرة العقبة ويأتى سبعة رجال علماء من آفاق شتى على غير ميعاد وقد بايع لكل منهم ثلثمائة وبضعة عشر فيجتمعون بمكة ويقول بعضهم لبعض ما جاء بكم فيقولون جئنا فى طلب هذا الرجل الذى ينبغى أن تهدأ على يديه الفتن ويفتح له قسطنطينية قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه .

((تنبيه)) لم أقف على أسم أم المهدى بعد الفحص والتتبع فلعلهم يعرفون اسمها من طريق الكشف لا من طريق النقل والله أعلم فيتفق السبعة على ذلك فيطلبونه بمكة فيقولون أنت فلان ابن فلان فيقول بل أنا رجل من الأنصار فينفلت منهم فيصفونه لأهل الخبرة فيه والمعرفة به فيقولون هو صاحبكم الذى تطلبونه وقد لحق بالمدينة فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم إلى مكة وهكذا إلى ثلاث مرات ويسمع صاحب المدينة بطلب الناس للمهدى فيجهز جيشا فى طلب الهاشميين بمكة ويأتى أولئك السبعة فيصيبونه بالثالثة بمكة عند الركن ويقولون إثمنا عليك ودماؤنا فى عنقك إن لم تمد يدك نبايعك هذا عسكر السفيانى قد توجه فى طلبنا عليهم رجل من حرم ويهددونه بالقتل إن لم يفعل فيجلس بين الركن والمقام ويمد يده فيبايع فيظهر عند صلاة العشاء مع راية رسول الله صلى الله عليه وسلم وقميصه وسيفه فإذا صلى العشاء أتى المقام فصلى ركعتين وصعد المنبر ونادى بأعلى صوته أذكركم الله أيها الناس ومقامكم بين يدى ربكم ويخطب خطبة طويلة يرغبهم فيها فى إحياء السنن وإماتة البدع فيظهر فى ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا عدد أهل بدر وعدد أصحاب طالوت حين جاوزوا معه النهر من ابدال الشام وعصائب أهل العراق ونجائب مصر على غير ميعاد فزعا كفزع الخريف رهبان بالليل أسد بالنهار ويأتيهم جيش صاحب المدينة فيقاتلونه فيهزمونهم ويتبعونهم حتى يدخلون المدينة ويستنقذونها من ايديهم

((تنبيه)) لا يشكل اتيانهم المدينة مرتين أو ثلاثا مع وقوع البيعة ليلة عاشوراء وأن المدة بعد انقضاء المناسك إلى ليلة عاشوراء قريب من عشرين يوما أو خمس وعشرين يوما ومسافة ما بين الحرمين عشر مراحل أو أكثر بالسير المعتاد مع ما يتخلل ذلك من طلبهم له فى كل من الحرمين فى كل مرة إذ يمكن الاتيان على الركاب فى خمسة أيام فيمكن تكرره فى خمس وعشرين على انهم كلهم أولياء فيمكن أن تطوى لهم الارض أو يكونوا من أصحاب الخطوات والله أعلم ويبلغ السفيانى خروجه فيبعث

إليهم بعثا من الكوفة فيأتون المدينة فيستبيحونها ثلاثا ويقتلون قتلا في الحرة عنده كضربة سوط ويقصدون المهدى فإذا خرجوا من المدينة وكانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم ولم ينج أوسطهم فلا ينجو منهم إلا نذير إلى السفيان وبشير إلى المهدى. فلما سمع المهدى بذلك قال هذا أوان الخرج فيخرج ويمر بالمدينة فيستنقذ من كان أسيرا من بنى هاشم وتفتح له أرض الحجاز كلها وليرجع إلى حكاية أهل خراسان ثم يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث وحراث على مقدمته رجل يقال له المنصور يمكن لآل محمد كما مكنت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم وجب على كل مؤمن نصره فهذا الرجل يحتمل أن يكون هو الهاشمى الآتى ذكره ويلقب بالحارث كما يلقب المهدى بالجابر ويحتمل أن يكون غيره ويثور أهل خراسان بعسكر السفيانى ويكون بينهم وقعات وقعة بتونس ووقعة بدولاب الرى ووقعة بتخوم الزرنيخ فإذا طال عليهم قتالهم اياه بايعوه رجلا من بنى هاشم بكفه اليمنى خال سهل الله امره وطريقه هو أخو المهدى من أبيه أو ابن عمه وهو حينئذ بآخر المشرق فيخرج بأهل خراسان وطالقان ومعه الرايات السود الصغار وهذه غير رايات بنى عباس على مقدمته رجل من تميم من الموالى ربعة أصفر قليل اللحية كوسج واسمه شعيب بن صالح التميمى يخرج إليه فى خمسة آلاف فإذا بلغه خروجه شايعه وصيره على مقدمته لو استقبلته الجبال الرواسى لهدها يمهد الأمر للمهدى كما مهدت قريش للنبى صلى الله عليه وسلم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا سمعتم برايات سوداء أقبلت من خراسان فأتوها ولو حبوا على الثلج وعن أمير المؤمنين على كرم الله وجهه لو كنت فى صندوق مقفل فاكسر ذلك القفل والصندوق والحق بها وفى رواية فإن فيها خليفة الله المهدى أى فيها نصره وإلا فهو حينئذ بمكة كما مر فيلتقى هو وخيل السفيانى فيقتل منهم مقتلة عظيمة ببيضاء اصطخر حتى تطأ الخيل الدماء إلى ارساغها ثم يأتيه جنود من قبل سجستان عظيمة عليهم رجل من بنى عدى فيظهر الله أنصاره وجنوده .

(تنبيه) هكذا الرواية وهذه الجنود يحتمل أن تكون مددا للهاشمى فالمعنى فيظهر الله أنصاره بهم وإن تكون جاءت لمحاربته فالمعنى يظهر الله أنصاره عليهم والله أعلم ثم يكون وقعة بالمدائن بعد وقعه الرى وفى عاقر قوقا وقعة صلبة يخبر عنها كل ناج وتقبل الرايات السود حتى تنزل على المـــاء هكذا أطلق فى الحديث ولعله ماء دجلة فيبلغ من فى الكوفة من أصحاب السفيانى نزولهم هناك فيهربون ثم ينزل الكوفة

حتى يستنقذ من فيها من بنى هاشم ثم يخرج قوم من سواد الكوفة يقال لهم الصعب وليس معهم سلاح إلا قليل وفيهم بعض أهل البصرة قد تركوا أصحاب السفيانى . فيستنقذون ما فى أيديهم من سبي الكوفة وتبعث الرايات السود بيعتهم إلى المهدى ويقبل المهدى من الحجاز والسفيانى من الكوفة بعد أن يبلغه خبر خسف جيشه ولا يروله ذلك إلى الشام كأنهما فرسا رهان فيسبقه الصخرى فيقطع بعثا آخر من الشام الى المهدى فيدركون المهدى بارض الحجاز فيبايعونه بيعة المهدى ويقبلون معه إلى الشام .

﴿تنبيه﴾ فى بعض الروايات أن الجيش الذى يخسف بهم يبعث من الشام وفى بعضها من العراق ولا منافاة كما قال ابن حجر لأن البعث من العراق لكنهم لما كانوا من أهل الشام نسبوا اليها فى الروايات الأخرى وفى رواية أن المهدى يقاتل هذا الجيش الثانى فى عدد أهل بدر وأصحاب المهدى يومئذ جنتهم البرادع فيسمع يومئذ صوت من السماء ألا إن أولياء الله أصحاب فلان يعنى المهدى فتكون الدبرة على أصحاب السفيانى فيقتلون لا يبقى منهم الا الشريد فيهربون الى السفيانى فيخبرونه ويمكن الجمع بان بعضهم يبايعه وبعضهم يقاتله فينهزمون أو أن الذين يقاتلونه هم الذين يبعثهم صاحب المدينة الأمير من قبل السفيانى الى مكة كما مرت الإشارة اليه ويؤيده أنه يقاتلهم فى عدد أهل بدر وأن جنتهم يومئذ الرادع فإن هذه الصفات تناسب حالهم عند ابتداء البيعة وأما بعد الاستيلاء على أرض الحجاز فعسكره كثير والله أعلم ثم أن السفيانى يفسد فى الإرض ويظهر الكفر حتى انه يطاف بالمرأة وتجامع نهاراً فى مسجد دمشق على مجلس شرب حتى تاتى فخذ السفيانى فتجلس عليه وهو من المحراب قاعد فيقوم اليه رجل مسلم من المسلمين فيقول ويحكم أكفرتم بعد ايمانكم إن هذا لا يحل فيقوم إليه فيضرب عنقه فى المسجد ويقتل كل من شايعه فعند ذلك ينادى مناد من السماء أيها الناس ان الله قد قطع عنكم الجبارين والمنافقين وأشياعهم وولاكم خير أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالحقوا بمكة فإنه المهدى واسمه أحمد بن عبدالله ويسير المهدى بالجيوش حتى يصير بوادى القرى وهو من المدينة على مرحلتين الى جهة الشام فى هدوء ورفق ويلحقه هناك ابن عمه الحسنى فى اثنى عشر ألفا فيقول له يا ابن عم أنا أحق بهذا الأمر منك أنا الحسن وأنا المهدى فيقول له المهدى بل أنا المهدى فيقول الحسنى هل لك من آية فابايعك فيومى المهدى عليه السلام الى الطير فيسقط على يديه

ويغرس قضيبا يابسا فى بقعة من الأرض فيخضر ويورق فيقول الحسنى يا ابن عمى هى لك .

﴿ تنبيه ﴾ فى هذا الحديث فائدة وإشكال أما الفائدة فإنها تدل على أن المهدى من أولاد الحسين وأن ابن عمه هذا حسنى وأنه يظن أن الخلافة فى بنى الحسن حيث يقول أنا ابن الحسن ومستنده فى هذه الدعوى والله أعلم أمران أحدهما أن الحسن استخلف فيكون أولاده احق بها والثانى أنه نزل عنها حقنا لدماء المسلمين فعوضه الله الخلافة فى أولاده وكلا الأمرين معارض اما الأول فلأن بيعة الحسن من بعض الناس وهم أهل العراق والمشرق واليمن دون أهل الشام والمغرب ومصر وقد بايع بعضهم للحسين أيضا وأما الثانى فلأن الحسن قد فوت حقه بعد ماناله وأما الحسين فلم ينل ما أراد فحقه باق فأعطاه الله فى أولاده وأما الإشكال فهو أن هذا الحسنى إن كان الذى قدم بالرايات السود فقد مر أنه بعث بالبيعة من الكوفة وأنه لا يقدم الحجاز وإنما يلقاه ببيت المقدس وإن كان غيره فكيف ينازعه بعد أن بايعه أهل الحجاز كلها وبايعه أهل المشرق والعراق والجواب أنه إن قلنا أن القادم بالرايات اخوه كما فى بعض الروايات فهذا غيره وحينئذ فوجه دعواه أن البيعة للمهدى من أهل البيت كائنا من كان فهى بيعة للمتصف بهذا الوصف لا لشخص بعينه فيدعى أن البيعة له لأنه المهدى لا لأنه ينازعه فى الخلافة فإذا ظهر له أنه ليس بمهدى بايعه وإن قلنا انه ابن عمه فان كان غير هذا الحسنى فالجواب ما مر وإن كان هو فمعنى ملاقاته أنه يرسل اليه جماعة اثنى عشر ألفا إمداداً واحتياطا أن لا يكون هو المهدى فينازعوه على الخلافة ويؤمر عليهم واحداً ويأمره بأن يمتحنه ويوكله فى البيعة فيقول له إن كان هو المهدى فبايعه عنى وإن كنت أنا المهدى فخذ لى منه البيعة فيكون بعث البيعة على التردد فلما بايعوه صح أن يقال بعثوا له بالبيعة وان يقال لقيه مجازاً هذا ماظهر لى فى هذا المقام والله أعلم . فيقبل المهدى حتى إذا انتهى الى حد الشام الذى بين الشام والحجاز فيقيم بها ويقال له انفذ فيكره المجاز ويقول أنا أكتب إلى ابن عمى يعنى الصخرى فان خلع طاعتى فأنا صاحبكم فإذا أتاه كتاب المهدى قال أصحابه إن هذا المهدى قد ظهر لتبايعنه أو لنقتلنك فيبايعه ويسير إليه حتى ينزل بيت المقدس ولايترك المهدى بيد رجل من أهل الشام فتراً من الأرض إلا ردها إلى أهل الذمة ورد المسلمين جميعا إلى الجهاد ثم يخرج رجل من كلب يقال له كنانة بعينه كوكب فى رهط من قومه حتى

يأتى الصخرى فيقول بايعناك ونصرناك حتى إذا ملكت بايعت هذا الرجل ويعيرونه فيقولون كساك الله قيصا فخلعته فيقول ما ترون أنقض العهد فيقولون نعم فيقاتلن ولا يبقى عامرية أمها أكبر منك إلا لحقتك لا يتخلف عنك ذات خف ولا ظلف فيرتحل ويرحل معه عامر بأسرها وفى رواية أنه ينقض العهد ويستقيله البيعة بعد مضى ثلاث سنين من بيعته إياه ويوجه إليهم المهدى راية وأعظم راية فى زمان المهدى مائة رجل فتصف كلب خيلها ورجالها وإبلها وغنمها فإذا تسامت الخيلان ولت كلب أدبارها فيقتلونهم ويسبونهم حتى تباع العذراء منهم بثمانية دراهم ويؤخذ الصخرى أى السفيانى فيؤتى به أسيراً إلى المهدى فيذبح على الصخرة المعترضة على وجه الأرض عند الكنيسة التى ببطن الوادى على طرف درج طور زيتا المقنطرة التى على الوادى كما تذبح الشاة . قال صلى الله عليه وسلم الخائب من خاب يومئذ من غنيمة كلب ولو بعقال قيل يارسول الله كيف يغنمون أموالهم ويسبون ذراريهم وهم مسلمون قال صلى الله عليه وسلم يكفرون واستحلالهم الخمر والزنا ويأتى الهاشمى بالرايات السود وسيفه على عاتقه ثمانية أشهر وفى رواية ثمانية عشر شهراً يقتل ويمثل حتى يقول الناس معاذ الله أن يكون من ولد فاطمة ولو كان لرحمنا يغريه الله ببنى عباس وبنى أمية فيكون لهم وقعة بأرض من أرض نصيبين ووقعة بحران وشعارهم أمت أمت وفى رواية بكش بكش والمعنى واحد حتى يسلمونها إلى المهدى .

(تنبيه) فى بعض الروايات يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر وفى بعضها ثمانية عشر شهرا وفى رواية اثنين وسبعين شهرا وهى مدة ست سنين وفى بعض الروايات إلى المهدى ببيت المقدس وفى رواية فلا يبايعه حتى يموت وفى رواية فتلتقى بعض رايات الهاشمى مع خيل السفيانى فيكون بينهم مقتلة عظيمة وتنهزم خيل السفيانى ثم تكون الغلبة للسفيانى فيهرب الهاشمى ويأتى التميمى مستخفيا إلى بيت المقدس يمهد للمهدى إذا خرج من الشام وطريق الجمع بين الروايات الأول أن اثنين وسبعين باعتبار جميع مدته ويدل له فى بعض الروايات أن أهل بيتى سيلقون بعدى بلاء وتشريدا وتطريدا حتى يأتى قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يسلموه إلى المهدى وثمانية عشر باعتبار ما بعد مدة قتاله مع خيل السفيانى واجتماع شعيب بن صالح به وثمانية أشهر باعتبار مدة ما بعد نزوله الكوفة وبعثه بالبيعة إلى المهدى وهذا جمع حسن لا بأس به وطريق الجمع بين الروايات الأخيرة وهو أن يقال على بعد إن ضمير يموت راجع

إلى السفياني أى فلا يلق الهاشمى المهدى حتى يموت السفيانى أو يرجع اليه ويكون القادم بالرايات التميمى ونسبته إلى الهاشمى مجاز للسبب أو انه يوصل الرايات ويفتح الشام ويموت قبل اجتماعه به بقليل على أن روايات قدومه بالرايات ووصوله اليه أكثر وأشهر فتقدم عند عدم إمكان الجمع وإنما تتساقط إذا تعارضت وكذلك روايات النصر والغلبة أكثر من روايات الهزيمة فتقدم ولو جمع فوجه الجمع أنه ينهزم فى بعض الوقعات ثم تكون له الغلبة بعد ذلك الله أعلم ثم تتمهد الأرض للمهدى ويلق الإسلام بجرانه ويدخل فى طاعته ملوك الأرض كلهم ويبعث بعثا إلى الهند فتفتح ويؤتى بملوك الهند اليه مغلغلين وتنقل خزائنها إلى بيت المقدس فتجعل حلية لبيت المقدس ويمكث فى ذلك سنين .

﴿ ذكر الملحمة الكبرى ﴾ وذلك أن بعد هلاك السفيانى يهادون الروم صلحا أمنا وفى بعض الروايات أن مدة المهادنة تسع سنين حتى يغزو المسلمون وهم عدو من ورائهم فينتصرون ويغنمون وينصرفون حتى ينزلوا بمرج ذى تلوم وهو موضع فيقول قائل من الروم غلب الصليب ويقول قائل من المسلمين بل الله غلب فيتدا ولانها بينهم فيثور المسلم إلى صليبهم وهو منهم غير بعيد فيدقه وتثور الروم إلى كاسر صليبهم فيقتلونه وتثور المسلمون إلى اسلحتهم فيقتتلون فيكرم الله تلك العصابة من المسلمين بالشهادة فيقتلون عن آخرهم فتقول الروم لملكهم كفيناك شر العرب وقتلنا ابطالها فما تنتظر فيجمعون فى مدة تسعة أشهر مقدار حمل امرأة فيأتون تحت ثمانين غاية وفى لفظ فيسيرون بثمانين بندا والمعنى واحد تحت كل غاية أو بند اثنا عشر ألفا فينزلون بالأعماق أو بدابق وهما موضعان قرب حلب وانطاكية قال فى القاموس العمق ويحرك كورة بنواحى حلب قال والأعماق موضع بين حلب وانطاكية مصب مياه كثيرة لا يجف إلا صيفا وهو العمق جمع بأجزائه اه فيخرج اليهم حلب من أهل المدينة من خيار أهل المدينة يومئذ وهم الذين خرجوا مع المهدى فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلى بينكم وبين إخواننا .

﴿ تنبيه ﴾ الغاية بالغين المعجمة والياء آخر الحروف الراية ويروى بالباء الموحدة وهى الاجمة من القصب شبه كثرة رماحهم بها والأعماق بالعين المهملة والدابق بوزن الطابع بكسر الباء وفتحها وسبوا وروى بضم السين والباء على بناء المجهول وبفتحهما على بناء المعلوم والمعنى على الأول الذين سبيتموهم منا وخرجوا عن ديننا وصاروا

يقاتلونا وعلى الثانى الذين سبوا أولادنا ونساءنا فينهزم من المسلمين ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله ويفتح ثلث لا يفتنون أبدا وفى روايه نعيم بن حماد عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا يكون بين المسلمين وبين الروم هدنة وصلح حتى يقاتلوا معهم عدوهم فيقاسمونهم غنائمهم ثم إن الروم يغزون مع المسلمين فارس فيقتلون مقاتلهم ويسبون ذراريهم فتقول الروم قاسمونا الغنائم كما قاسمناكم فيقاسمونهم الأمـــوال وذرارى الشرك فتقول الروم قاسمونا ماأصبتم من ذراريكم فيقولون لا نقاسمكم ذرارى المسلمين أبدا فيقولون غدرتم بنا فترجع الروم إلى صاحب القسطنطينية فيقولون إن العرب غدرت ونحن أكثر منهم عددا وأتم منهم عدة وأشد منهم قوة فامددنا نقاتلهم فيقول ما كنت لأغدر بهم ولقد كانت لهم الغلبة فى طول الدهر علينا فيأتون صاحب رومية فيخبرونه بذلك فيوجه ثمانين غاية تحت كل غاية أثنا عشر ألفا فى البحر ويقول لهم صاحبهم إذا ارسيتم بسواحل الشام فاحرقوا المراكب لتقاتلوا عن أنفسكم فيفعلون ذلك ويأخذون أرض الشام كلها برها وبحرها ماخلا مدينة دمشق والمعتق ويخربون بيت المقدس قال ابن مسعود فقلت كم تسع دمشق من المسلمين فقال النبى ﷺ والذى نفسى بيده لتتسعن على من يأتيها من المسلمين كما يتسع الرحم على الولد قلت وما المعتق يانبى الله قال جبل بأرض الشام من حمص على نهر يقال له الأريط فيكون ذرارى المسلمين فى أعلى المعتق والمسلمون على نهر الأريط يقاتلونهم صباحا ومساء فإذا أبصر صاحب القسطنطينية ذلك وجه فى البر إلى قنسرين ثلاثمائة ألف حتى تجيئهم مادة اليمن ألف ألف الله بين قلوبهم بالإيمان معهم أربعون ألفا من حمير حتى يأتوا بيت المقدس فيقاتلون الروم فيهزمونهم ويخرجونهم من جند إلى جند حتى يأتوا قنسرين وتجيئهم مادة الموالى قلت وما مادة الموالى يارسول الله قال هم عتاقتكم وهم منكم قوم يجيئون من قبل فارس فيقولون تعصبتم يامعشر العرب لا يكون معكم أحد من الفريقين أ تجتمع من كلمتكم نزار يوما والموالى يوما فيخرجون إلى المعتق وينزل المسلمون على نهر يقال له كذا وكذا يعزى والمشركون على نهر يقال له الرقية وهو النهر الأسود فيقاتلونهم فيرفع الله نصره عن العسكرين وينزل الصبر عليهما حتى يقتل من المسلمين الثلث ويفر الثلث ويبقى الثلث فأما الذين يقتلون فشهيدهم كشهيد عشرة من شهداء بدر ويشفع الواحد من شهداء بدر بسبعين شهيدا ويفترقون ثلاثة أثلاث ثلث يلحقون بالروم ويقولون لو كان لله بهذا الدين من حاجة لنصرهم ويقول ثلث

وهم مسلمة العرب مروا لاينالنا الروم أبداً مروا بنا الى البدو وهم الاعراب سيروا بنا الى العراق واليمن والحجاز حيث لايغاث الروم وأماالثلث فيمشى بعضهم الى بعض فيقولون الله الله فدعوا عنكم العصبية ولتجتمع كلمتكم وقاتلوا عدوكم فانكم لن تنصروا ما تعصبتم فيجتمعون جميعا يتبايعون على أن يقاتلوا حتى يلحقوا بإخوانهم الذين قتلوا فإذا أبصر الروم الى من تحول اليهم ومن قتل ورأوا قلة المسلمين قام رومى بين الصفين ومعه بند فى أعلاه صليب فينادى غلب الصليب فيقوم رجل من المسلمين بين الصفين ومعه بند وينادى بل غلب أنصار الله بل غلب أنصار الله وأولياؤه فغضب الله على الذين كفروا من قولهم غلب الصليب فينزل جبريل فى مائتى ألف من الملائكة ويقول يا ميكائيل أغث عبادى فينزل ميكائيل فى مائتى ألف من الملائكة وينزل الله نصره على المؤمنين وينزل بأسه على الكافرين فيقتلون ويهزمون ويسير المسلمون فى أرض الروم حتى يأتوا عمورا وعلى سورها خلق كثير يقولون مارأينا شيئا اكثر من الروم كم قتلنا وهرقنا دم أكثرهم فى هذه المدينة فيقولون آمنونا على أن نؤدى اليكم الجزية فيأخذون الامان لهم وتجتمع الروم على أداء الجزية وتجتمع اليهم أطرافهم فيقولون يا معشر العرب ان الدجال قد خالفكم الى ذراريكم والخبر باطل فمن كان فيهم منكم فلا يلقين شيئا مما معه فانه قوة لكم على ما بقى فيخرجون فيجدون الخبر باطلا وتثب الروم على من بقى فى بلادهم من العرب فيقتلونهم حتى لايبقى بارض الروم عربى ولا عربية ولا ولد عربى الا قتل فيبلغ ذلك المسلمين فيرجعون غضبا لله فيقتلون مقاتلهم ويسبون ذراريهم ويجمعون الاموال ولاينزلون على مدينة ولا حصن فوق ثلاثة أيام حتى يفتح لهم وينزلون على الخليج حتى يفيض فيصبح أهل القسطنطينية فيقولون الصليب مدلنا بحرنا والمسيح ناصرنا فيصبحون والخليج يابس فتضرب فيه الاخبية ويحبس البحر عن القسطنطينية فيقولون الصليب مدلنا ويحيط المسلمون بمدينة الكفر ليلة الجمعة بالتحميد والتكبير والتهليل الى الصباح ليس فيهم نائم ولا جالس فإذا طلع الفجر كبر المسلمون تكبيرة واحدة فيسقط ما بين البرجين فتقول الروم كنا نقاتل العرب فالآن نقاتل ربنا وقدهدم لهم مدينتنا وخربها لهم فيملؤن أيديهم ويكيلون الذهب بالاترسة ويقتسمون الذرارى حتى يبلغ سهم الرجل ثلثمائة عذراء ويتمتعون بما فى أيديهم ما شاء الله ثم نخرج الدجال حقا ويفتح الله القسطنطينية على يدى أقوام هم أولياء الله يرفع الله عنهم الموت والمرض والسقم

حتى ينزل عليهم عيسى ابن مريم فيقاتلون معه الدجال أورد هذا الحديث بطوله السيوطى فى الجامع الكبير .

(تنبيه) قوله يكون بين الروم والمسلمين هدنة حتى يقاتلوا معهم عدوهم الضمير للروم أى حتى يقاتل المسلمون . ع الروم عدو الروم بدليل قولهم بعد هذا للمسلمين قاسمونا الغنائم كما قاسمناكم وفارس يكونون عدوا للسلمين وهذا إما أن يقاتلوا المهدى وهم مسلمون كما يقاتل بعض المسلمين بعضا على الملك وهو ظاهر قولهم لا نقاسمكم ذرارى المسلمين أو أنهم يرجعون إلى الكفر وهو ظاهر قوله فيقاسمونهم الاموال وذرارى الشرك وهو المناسب للاستعانة بالروم عليهم والروم كفار لعدم جواز الاستعانة بالكفار على المسلمين وحينئذ فيكونون قد سبوا من اطراف بلاد المسلمين بعض الذرارى ثم لما استولوا عليهم استردوا ذراريهم وطلبت الروم منهم المقاسمة فيهم حيث صاروا فى يد الكفار واستفيد من هذه الرواية أن الروم تأتى من البحر فلا يلزم من وصولهم دابق أو الاعماق وهما بقرب حلب استيلاؤهم على جميع بلاد المسلمين حتى يظن أن القسطنطينية التى الآن دار الإسلام دامت معمورة به إلى ساعة القيام ترجع دار الكفر والعياذ بالله إذ المراد القسطنطينية الكبرى كما سيأتى نعم يشكل عليه قوله الآتى فاذا أبصر صاحب القسطنطينية ذلك وجه فى البر ثلثمائة ألف إلى قنسرين إلا أن يقال إن صاحب القسطنطينية يرسلهم مددا للمسلمين ولا ينافيه قوله الآتى فلما رأوا قلة المسلمين لأن ثلثمائة ألف فى جنب ثمانين غاية تحت كل غاية منها اثنا عشر ألفا قليل ولا سيما أن ذلك انما يقال بعد قتل من قتل وتحول من يتحول إلى الروم منهم أو يقال إن أهل القسطنطينية لما جاؤا إلى المهدى تخلفهم الكفرة فى بلادهم فيأخذونها كما يأخذون أرض الشام وهذا هو الظاهر قال فى القاموس قسطنطينية أو بزيادة ياء مشددة وقد تضم الطاء الاولى منهما دار ملك الروم وفتحها من اشراط الساعة وتسمى بالرومية بوزنطيا وارتفاع سورها أحد وعشرون ذراعا وكنيستها مستطيلة وبجانبها عمود عال من ورد أربعة أنواع تقريبا وفى رأسه فرس من نحاس وعليه فارس وفى إحدى يديه كورة من ذهب وقد فتح أصابع يده الاخرى مشيرا بها وهو صورة قسطنطين بانيها وقوله ما خلا دمشق يوافقه فى الرواية أن فسطاط المسلمين عند الملحمة الكبرى دمشق وعند خروج الدجال بيت المقدس والاربط قال فى القاموس كزبير موضع وقد ذكر فى الحديث أنه عند حمص فيحتمل أن يكون النهر نفسه وموضعا أضيف اليه النهر وقوله فشهيدهم كشهيد عشرة إلى قوله بسبعين

شهيدا معناه أن لكل شهيد شفاعة يوم القيامة وإن لشهيد بدر شفاعة سبعين شهيدا وأن لهؤلاء الشهداء لكل واحد شفاعة عشرة من أهل بدر فيكون لكل واحد منهم شفاعة سبعمائة شهيد وهذا من قبيل قوله صلى الله عليه وسلم لواحد منهم أجر خمسين منكم فلا يلزم منه تفضيلهم على أهل بدر مطلقا لأن فضيلة الصحبة لا يعادلها شيء وسيأتى أن التحقيق أن جهات التفضيل مختلفة فيمكن أن يفضل هؤلاء من جهة وأولئك من جهة أخرى أو لأن بلاء أحدهم كبلاء عشرة من أهل بدر لكثرة من يقاتلونهم من الروم وبعد زمن النبوة عنهم ويؤيده أن الملائكة المنزلين مددا لهم أكثر من البدرية بمائة أمثالهم فان المقاتلين ببدر من الملائكة كانوا ثلاثة آلاف وفى ذلك اليوم يكونون ثلثمائة ألف وعمور وجدناه فى ثلاثة نسخ بغير هاء التأنيث وياء النسب والذى فى القاموس وغيره عمورية بهما فلعل فيه لغة أو نقص من النسخ وقول الروم فى المرة الأولى الصليب مد لنا معناه مد الخليج لنا حيث فاض ماؤه وزاد وفى الثانية معناه إنكار القول الأول وتكذيب من قال ذلك منهم فهو بحذف همزة الاستفهام إلى للانكار يدل لذلك قوله كنا نقاتل العرب فالآن أقاتل ربنا وتقدير الكلام أن الله ناصرهم فلا نقدر على قتالهم فيستسلمون للاسر والله أعلم وقوله يابس ويحبس البحر أى يحبس الخليج وقد عبر عن هذه فى الرواية الأخرى بفلق البحر وهذه معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم وتأييد لما قال بعض العلماء من أنه لم يكن لنبى من الأنبياء معجزة إلا وللنبى صلى الله عليه وسلم مثلها والله أعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم وبقية ألفاظ الحديث معناه واضح وفى رواية يشترط المسلمون شرطه للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفىء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيرجعون غير غالبين إلى ثلاثة أيام فإذا كان اليوم الرابع نهد اليهم بقية أهل الإسلام فيجعل الله الديرة على الكافرين فيقتلون مقتلة لم ير مثلها حتى أن الطائر لتمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتا فيعتاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدون بقى منهم إلا الرجل الواحد فلا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة ويكون لخمسين امرأة قيم واحد ﴿تنبيه﴾ الشرطة بالضم طائفة من الجيش تتقدم للقتال ونهد اليهم نهض والديرة الهزيمة وجنباتهم بجيم فنون مفتوحتين ثم موحدة أى بنواحيهم ولا يخلفهم بتشديد اللام لا يجعلهم خلفه أى لا يتجاوزهم حتى ينقطع عن الطيران ويموت بعد مسافة المقتلة وكثرة القتلى ويتبعونهم ضربا وقتلا حتى ينتهوا إلى قسطنطينية أى الكبرى قال فى عقد الدور لها سبعة أسوار عرض

السور المحيط بالستة أحد وعشرون ذراعا وفيه مائة باب وعرض السور الأخير الذى يلى البلد عشرة أذرع وهو على خليج يصب فى البحر الرومى وهى متصلة ببلاد الروم والأندلس انتهى فيركز المهدى لواءه عند البحر ليتوضأ للفجر فيتباعد الماء منه فيتبعه حتى يجوز من تلك الناحية ثم يركزه وينادى أيها الناس أعبروا فان الله عز وجل فلق لكم البحر كما فلقه لبنى اسرائيل فيجوزون فيستقبلها فيكبرون فتهتز حيطانها ثم يكبرون فتهتز فسقط فى الثالثة منها مابين اثنى عشر برجا فيفتحونها ويقيمون بها سنة حتى يبنون بها المساجد ثم يدخلون مدينة أخرى فبينماهم يقتسمون بها بالاترسة إذا بصارخ أن الدجال خلفكم فى ذراريكم بالشام فيرجعون فاذا الأمر باطل فالتارك نادم والآخذ نادم ثم ينشؤن ألف سفينة ويركبون فيها من عكاوهم أهل المشرق والمغرب والشام والحجاز على قلب رجل واحد فيسيرون إلى رومية وعن عبد الله بن بسر المازنى أنه قال يا ابن أخى لعلك تدرك فتح القسطنطينية فاياك أن أدركت فتحها أن تترك غنيمتك منها فان بين فتحها وبين خروج الدجال سبع سنين رواه نعيم بن حماد فى الفتن ويستخرج كنز بيت المقدس وحليه الذى أخذه ظاهر بن إسماعيل حين غزا بنى إسرائيل فسباهم وسبا حلى بيت المقدس وأحرقها بالنيران وحمل منها فى البحر ألف وسبعمائة سفينة حتى أوردها رومية قال حذيفة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليستخرجن المهدى ذلك حتى يرده إلى بيت المقدس قال فى عقد الدار رومية أم بلاد الروم فكل من ملكها يقال له الباب وهو الحاكم على دين النصرانية بمنزلة الخليفة فى المسلمين وليس فى بلاد المسلمين مثلها وقد ذكر المؤرخون فى صفة رومية من العجائب مالم يسمع بأذنى ذلك بلد فى العالم وتقرب قسطنطينية منها فيكبرون عليها أربع تكبيرات فيسقط حائطها فيقتلون ستمائة ألف ويستخرجون منها حلى بيت المقدس والتابوت الذى فيه السكينة ومائدة بنى إسرائيل ورضاضة الألواح وحلة آدم وعصى موسى ومنبر سليمان وقفيزين من المن الذى أنزل الله عز وجل على بنى إسرائيل أشد بياضا من اللبن ثم يأتون مدينة يقال لها القاطع طولها ألف ميل وعرضها خمسمائة ميل ولها ستون وثلثمائة باب يخرج من كل باب ألف مقاتل وهى على البحر لا يحمل جارية يعنى سفينة فيه قيل يا رسول الله ولا يحمل فيه جارية قال لأنه ليس له قعر وإنما يرون من خلجان من ذلك البحر جعلها الله منافع لبنى آدم لها قعور فهى تحمل السفن فيكبرون عليها أربع تكبيرات فيسقط حائطها فيغنمون ما فيها ثم يقيمون

بها سبع سنين ثم ينتقلون منها إلى بيت المقدس فيبلغهم أن الدجال قد خرج فى يهود أصبهان أخرجه أبو عمرو الدانى فى سننه وفى رواية ثم يأتى مدينة يقال لها القاطع وهى على البحر الأخضر المحيط بالدنيا ليس خلفه إلا أمر الله عز وجل طولها ألف ميل وعرضها خمسمائة ميل فيكبرون ثلاث تكبيرات فتسقط حيطانها فيقتلون بها ألف ألف مقاتل ثم يتوجه المهدى إلى بيت المقدس بألف سفينة فينزلون بشام فلسطين بين عكا وصور عسقلان وغزة فيخرجون ما بها معهم من الأموال وينزل المهدى ببيت المقدس ويقيم بها حتى يخرج الدجال أى وفسطاط المسلمين فى الملحمة العظمى دمشق وعند خروج الدجال يكون ببيت المقدس ويدخل الآفاق كلها فلا تبقى مدينة دخلها ذو القرنين إلا دخلها وأصلحها ولا يبقى جبار إلا هلك وعنه صلى الله عليه وسلم ملك الدنيا مؤمنان وكافران أما المؤمنان فذو القرنين وسليمان وأما الكافران فنمروذ وبخت نصر وسيملكها خامس من عترتى وهو المهدى وروى ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعا قال أصحاب الكهف أعوان المهدى قال العلماء والحكمة فى تأخيرهم الى هذه المدة ليحوزوا شرف الدخول فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم إكراما لهم وورد أن أول لواء يعقده المهدى يبعث به الى الترك والظاهر أن هذه الفتوح تكون فى مدة مهادنه الروم لأن بعد اشتغاله بهم لا يفرغ لغيرهم أو انه يبعث البعوث والسرايا ونسبة دخول الآفاق اليه يكون مجازا ﴿ تنبيه ﴾ جاء من طريق أنه صلى الله عليه وسلم قال الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال فى سبعة أشهر وفى رواية سبع سنين قال أبو داود فى سننه وهذه يعنى رواية سبع سنين أصح يعنى من رواية سبعة أشهر ﴿ تنبيه آخر ﴾ وردت فى مدة ملك المهدى روايات مختلفة ففى بعض الروايات يملك خمسا أو سبعا أو تسعا بالترديد وفى بعضها سبعا وفى بعضها تسعا وفى بعضها إن قل فخمسا وإن كثر فتسعا وفى بعضها تسع عشرة سنة وأشهرا وفى بعضها عشرين وبعضها أربعة وعشرين وبعضها ثلاثين وبعضها أربعين منها تسع سنين يهادن فيها الروم قال ابن حجر فى القول المختصر ويمكن الجمع على تقدير صحة الكل بأن ملكه متفاوت الظهور والقوة فيحمل الأكثر على أنه باعتبار جمع مدة الملك والأقل على غاية الظهور والأوسط على الوسط انتهى قلت ويدل على ما قاله وجوه الأول أنه صلى الله عليه وسلم بشر أمته وخصوصا أهل بيته ببشارات وأن الله يعوضهم عن الظلم والجور قسطا وعدلا واللائق بكرم الله أن يكون مدة العدل قدر

ما يفسون فيه الظلم والفتن والسبع والتسع أقل من ذلك الثانى أنه تفتح الدنيا كلها كما فتحها ذو القرنين وسليمان ويدخل جميع الآفاق كما فى بعض الروايات وبنى المساجد فى سائر البلدان ويحل بيت المقدس ولا شك أن مدة التسع فما دونها لا يمكن أن يساح فيها ربع أو خمس المعمورة سياحة فضلا عن الجهاد وتجهيز العساكر وترتيب الجيوش وبناء المساجد وغير ذلك الثالث أنه ورد أن الأعمار تطول فى زمنه كما مر فى سيرته وطولها فيه مستلزم لطوله وإلا لا يكون طولها فى زمنه والتسع وما دونه ليست من الطول فى شىء الرابع أنه يهادن الروم تسع سنين ويقيم بقسطنطينية سنة وبالقاطع سبعا ومدة المسير إليها مرتين والرجوع فى أثنائه يكون سنين ومدة قتاله مع السفيانى وأنه ينقض البيعة بعد ثلاث سنين وفتحه للهند وسائر البلدان يكون سنين كثيرة كما ورد كل ذلك فى الروايات وذلك أزيد من التسع بكثير وحينئذ فنقول التحديد بالسبع باعتبار مدة استيلائه على جميع المعمورة فيكون معنى الحديث أنه يملك سبعا ملكا كاملا لجميع الأرض وذلك بعد فتحه لمدينة القاطع وبالتسع باعتبار مدة فتحه القسطيطينية وبتسعة عشر باعتبار مدة قتله للسفيانى ودخول أهل الإسلام كلهم فى طاعتهم فانه يهادن الروم تسع سنين ومدة اشتغاله بحربهم وتملكه لهم يكون نحوا من عشر سنين على طريقة جبر الكسر وبأربع وعشرين باعتبار مدة خروجه إلى الشام ودخول السفيانى فى بيعته وبثلاثين باعتبار خروجه بمكة واستيلائه على أرض الحجاز وبأربعين باعتبار مدة ملكه فى الجملة مشتملة على خروجه أولا بالطائف وقتله لأمير مكة وغيبته بعد ذلك وخروج الهاشمى الخراسانى وحمله السيف على عاتقه اثنين وسبعين شهرا كما فى بعض الروايات وهذا الجمع أولى من اسقاط بعض الروايات ولا شك أنه مقدم على الترجيح مهما أمكن والله ورسوله أعلم بمرادهما على أنه لا مانع أن يكون التسع وما دونه بعد نزول عيسى وقتله الدجال فان عيسى لا يسلب المهدى ملكه فإن الأئمة من قريش ما دام من الناس اثنان وعيسى يكون من أخص وزرائه وتابعا له لا أميرا عليه ومن ثم يصلى خلفه ويقتدى به كما يدل عليه حديث جابر عند مسلم أن عيسى عليه السلام يقول له حين يتأخر فى الصلاة إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة ولا يرد عليه ما ورد فى بعض الروايات أن المهدى يصلى بهم تلك الصلاة ثم يكون عيسى إماما بعده لأنه لما ثبت أمامته وأمارته جاز أن يعينه إماما للصلاة لأنه أفضل وأفضليته لا تستلزم خلافته لجواز خلافة المفضول مع وجود الفاضل سيما إذا كان الفاضل من غير قريش قال الشهاب القسطلانى فى شرح البخارى قال ابن الجوزى لو تقدم عيسى

إماما لوقع فى النفس إشكال ولقيل أتراه نائبا أو مبتدئا شرعيا فيصلى مأموما لئلا يتدنس بغبار الشبهة وجه قوله ﷺ لانبي بعدى انتهى قال ابن حجر ومعنى تسلب قريش ملكها أى بعد نزول عيسى انه لايبقى لها معه اختصاص بشىء دون مراجعته فلا يعارض ذلك خبر لايزال هذا الأمر فى قريش مابقى من الناس اثنان انتهى وستأتى الإشارة إلى هذا فى كلام الشيخ فى الفتوحات ولاشك أن بهذا الوجه يندفع كثير من الاشكالات من كون زمان كل منهما موصوفا بالبركة والامن وانه يملأ الأرض قسطا يكسر الصليب ويقتل الخنزير لان الزمان يكون واحدا فينسب إلى هذا تارة وإلى هذا أخرى وقد يستأنس له بقوله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا وامامكم منكم فانه لما احتمل ان يفهم من قوله حكما مقسطا الامامة دفعه بقوله وامامك منكم وظاهر أنه ليس المراد إمامة الصلاة لان المراد اثبات اتباع عيسى لشرعه وكونه رعية خليفة ورجلا من احفاد أمته صلى الله عليه وسلم وبالله التوفيق (تكملة) فى فوائد تضمنها الأحاديث ودل عليها الكشف الصحيح لحصتها من كلام إمام المحققين محي الملة والدين محمد بن العربى الطائى الحاتمى الأندلسى قال رحمه الله ورضى عنه فى الباب السادس والستين وثلاثمائة من الفتوحات المكية ما ملخصه ان لله خليفة يخرج وقد امتلأت الأرض جورا وظلما فيملاها قسطا وعدلا يقفو أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم لايخطىء له ملك يسدده من حيث لايراه يحمل الكل ويقوى الضعيف ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق يفعل مايقول ويقول مايعلم ويشهد يصلحه الله فى ليلة يبيد الظلم وأهله ويقيم الدين وينفخ الروح فى الاسلام ويعزه بعد ذله ويحييه بعد موته يمسى الرجل فى زمانه جاهلا بخيلا جبانا فيصبح أعلم الناس أكرم الناس أشجع الناس يضع الجزية ويدعو إلى الله بالسيف فمن أبى قتل ومن نازعه خذل يظهر من الدين ماهو الدين عليه فى نفسه مالو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لحكم به يرفع المذاهب من الأرض فلا يبقى إلا الدين الخالص أعداؤه مقلدة العلماء أهل الاجتهاد لما يرونه من الحكم بخلاف ماذهبت إليه أئمتهم فيدخلون كرها تحت حكمه خوفا من سيفه وسطوته ورغبة فيما لديه فليس له عدو مبين إلا الفقهاء خاصة فإنهم لايبقى لهم رياسة ولاتمييز عن العامة بل لايبقى لهم علم بحكم إلا قليل ويرتفع الخلاف عن العالم فى الأحكام بوجود هذا الإمام ولولا ان السيف بيده لافتى الفقهاء بقتله ولكن الله يظهره بالسيف والكرم فيطمعون ويخافون فيقبلون حكمه

من غير إيمان بل يضمرون خلافه يفرح به عامة المسلمين أكثر من خواصهم أسعد الناس به أهل الكوفة يبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق عن شهود وكشف وتعريف الهى له رجال إلهيون يقيمون دعوته وينصرونه هم الوزراء يحملون أثقال المملكة ويعينونه على ماقلده الله وهم تسعة على أقدام رجال من الصحابة قال الله تعالى فيهم رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه وهم من الأعاجم مافيهم عربى لكن لايتكلمون إلا بالعربية لهم حافظ ليس من جنسهم ماعصى الله قط هو أخص الوزراء وأفضل الأمناء أى وكأن هذا إشارة إلى عيسى عليه السلام إذ لامعصوم إلا الأنبياء فيكون هو وزيره الأخص وأما عصمة المهدى ففى حكمه كما يشير إليه كلامه فيما بعد أو إشارة إلى الملك الذى يسدده ويؤيده قوله ليس من جنسهم لأن عيسى من جنسهم لانه بشر لكن قد يطلق الجنس على النوع فيصدق على عيسى لانه من بنى إسرائيل والاعاجم وان كان يطلق على ماسوى العرب لكن غلب إطلاقه فى فارس فحينئذ ليس عيسى من جنسهم أى نوعهم والله أعلم وأنشد رضى الله عنه .

ألا إن ختم الاولياء شهيد وعين إمام العالمين فقيد
هو السيد المهدى من ال أحمد هو الصارم الهندى حين يبيد
هو الشمس يجلو كل غم وظلمة هو الوابل الوسمى حين يجود

ومراده بختم الأولياء المهدى وبإمام العالمين النبى صلى الله عليه وسلم والصارم السيف والوابل المطر الكثير والوسمى هو الذى ينزل فى أول الشتاء قال وقد جاء زمانه وأظلكم أوانه وظهر فى القرن الرابع اللاحق بالقرون الثلاثة الماضية قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قرن الصحابة ثم الذى يليه ثم الذى يليه وهو إشارة إلى ماورد فى حديث ثلاث مرات ثم الذين يلونهم بعد قوله خير القرون قرنى وورد فى رواية ثلاثة تترى وواحد فرادى فيكون قرنه الرابع المفرد الملحق بالثلاثة تترى قال ثم جاء بينها أى القرون الثلاث والرابع فترات وحدثت أمور وانتشرت أهواء وسفكت دماء وعاثت الذئاب فى البلاد وكثر الفساد إلى أن طم الجور وطما سيله وأدبر نهار العدل بالظلم حين أقبل ليله فشهداؤه خير الشهداء وأمناؤه خير الامناء وإن الله يستوزر له طائفة خبأهم له فى مكنون غيبه أطلعهم كشفا وشهودا على الحقائق وما هو أمر الله عليه فى عباده فبمشاورتهم يفصل مايفصل فهم العارفون الذين يعرفون ماهناك وأما هو فى نفسه فصاحب سيف حق وسياسة مرقية يعرف من الله قدر مايحتاج إليه مرتبته ومنزلته لانه خليفة مسدد يعرف منطق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطير والحيوان يسرى عدله فى الإنس والجان من أسرار علم وزرائه الذين استوزرهم الله له قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وهم على أقدام من قال الله فيهم رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه أعطاهم الله فى هذه الآية التى اتخذوها هجيراً وفى ليلهم سميرا فضل علم الصدق حالا وذوقا فعلموا أن الصدق سيف الله فى الارض ماقام بأحد ولا اتصف به أحد إلا نصره الله تعالى لأن الصدق صفته تعالى والصادق اسم وإذا علم الامام المهدى هذا عمل به فيكون أصدق أهل زمانه فوزراؤه الهداة وهو المهدى فهذا القدر من العلم بالله يحصل للمهدى على ايدى وزرائه شعر

ان الامام إلى الوزير فقير وعليهما فلك الوجود يدور
والملك إن لم تستقم أحواله بوجود هذين فسوف يبور
الا الإله الحق فهو منزه ماعنده فيما يريد وزير
جل الإله الحق فى ملكوته عن ان يراه الخلق وهو فقير

وجميع مايحتاج إليه المهدى مما يكون قيام وزرائه به تسعة أمور لاعاشر لها ولا ينقص عن ذلك وهى نفوذ البصر ليكون دعاؤه إلى الله على بصيرة فى المدعو إليه لافى المدعو قال تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى فالمهدى ممن اتبعه وهو صلى الله عليه وسلم لايخطىء دعاته إلى الله فمتبعه لايخطىء فإنه يقفو أثره والثانى معرفة الخطاب الالهى عند الالقاء قال الله تعالى وماكان لبشر ان يكلمه الله الاوحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا والثالث علم الترجمة عن الله تعالى وذلك لكل من كلمه الله تعالى فى الالقاء والوحى فيكون المترجم مهيأ لصور الحروف اللفظية والمرقومة التى يوجدها ويكون روح تلك الصورة كلام الله لاغير والرابع تعيين المراتب لولاة الأمر وهو العلم بما تستحقه كل مرتبة من المصالح التى خلقت لها فينظر صاحب هذا العلم فى نفس الشخص الذى يريد ان يوليه ويرفع الميزان بينه وبين المرتبة فإذا رأى الاعتدال فى الوزن من غير ترجيح لكفة المرتبة ولاه وان رجح الوالى فلا يضره فان رجحت كفة المرتبة عليه لم يوله والخامس الرحمة فى الغضب ولا يكون ذلك إلا فى الحدود الموضوعة والتعزير وما عدا ذلك فغضب ليس فيه من الرحمة شىء والسادس علم مايحتاج إليه الملك من الأرزاق وهو ان يعلم أصناف العالم وليس إلا اثنان عالم الصور وعالم الانفس المدبرين لهذه الصور فيما يتصرفون فيه من حركة وسكون وما عدا هذين الصنفين فاله عليهم حكم إلا من أراد منهم أن يمكنه

على نفسه كعالم الجان والسابع علم تداخل الامور بعضها على بعض وهو معنى قوله تعالى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل فالمولج ذكروا للمواوج فيه أنثى وهو فى العلوم العلم النظرى وفى الحس النكاح الحيوانى والنباتى ولولا السدا واللحام لماظهر للسنة عين وهو سارفى جميع الصنائع العملية والعلمية فاذا علم الامام ذلك لم يدخل عليه شبهة فى أحكامه هذا هو الميزان الموضوع فى العالم فى المعانى والمحسوسات فالامام يتعين عليه الجمع بين علم مايكون بطريق التنزيل الالهى وبين مايكون بطريق القياس ولا يعلم المهدى علم القياس ليحكم به وإنما يعلمه ليجتنبه فما يحكم المهدى إلا بما يلقى اليه الملك من عند الله الذى بعثه الله إليه يسدده وذلك هو الشرع الحنيفى المحمدى الذى لو كان محمد صلى الله عليه وسلم حيا ورفعت اليه تلك النازلة لم يحكم فيها إلا بحكم هذا الامام فيعلمه الله أن ذلك هو الشرع المحمدى فيحرم عليه القياس مع وجود النصوص التى منحه الله تعالى إياها ولذا قال صلى الله عليه وسلم فى صفته يقفو أثرى لايخطىء فعرفنا انه متبع لامشرع وانه معصوم ولا معنى للمعصوم فى الحكم إلا انه معصوم من الخطأ فان حكم الرسول لا ينسب إليه خطأ فانه لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى أى فمعنى عصمته أنه معصوم فى حكمه وأما فى باقى حالاته فمحفوظ لامعصوم إذ لاعصمة إلا للانبياء وهو ليس بنبى وإنما هو ولى والأولياء محفوظون لامعصومون والثامن الاستقصاء فى قضاء حوائج الناس وانه متعين على الامام خصوصا دون جميع الناس فان الله إنما قدمه على خلقه ليسعى فى مصالحهم والذى ينتجه هذا السعى عظيم وحركة الأئمة كلهم إنما تكون فى حق الغير لافى حق نفوسهم فاذا رأيتم السلطان يشتغل بغير رعيته ومايحتاجون إليه فاعلم أنه قد عزلته المرتبة لهذا الفعل ولافرق بينه وبين العامة والتاسع الوقوف على علم الغيب الذى يحتاج إليه فى الكون فى مدته خاصة وهى تاسع مسئلة ليس وراءها مايحتاج إليه الإمام فى إمامته وذلك أن الله تعالى أخبر عن نفسه أن كل يوم هو فى شأن وهو مايكون عليه العالم فى ذلك اليوم ومعلوم أن ذلك الشأن إذا ظهر فى الوجود ووقع أنه معلوم لكل من شاهده فهذا الامام من هذه المسئلة له اطلاع من جانب الحق على ما يريد الحق أن يحدثه من الشئون قبل وقوعها فى الوجود فيطلع فى اليوم الذى قبل وقوع ذلك الشأن على ذلك الشأن فان كان مما فيه منفعة لرعيته شكر لله وسكت عنه وإن كان مما فيه عقوبة بنزول بلاء عام أو على أشخاص معينين سأل الله فيهم وشفع وتضرع فصرف الله عنهم ذلك البلاء برحمته وفضله وأجاب دعوته وسؤاله

فلهذا يطلعه الله عليه قبل وقوعه فى الوجود بأصحابه ثم يطلعه الله فى تلك الشؤون على النوازل الواقعة من الأشخاص ويعين له الأشخاص بحليهم حتى إذا رآهم لا يشك فيهم انهم عين ما رآهم ثم يطلعه الله تعالى على الحكم المشروع فى تلك النازلة التى شرع الله لنبيه محمد ﷺ أن يحكم به فيها ولا يحكم إلا بذلك الحكم لا يخطىء ابدا وإن أعمى الله عليه الحكم فى بعض النوازل ولم يقع له عليها كشف كانت عاقبة ألحقها فى الحكم بالمباح ويعلم بعدم التعريف أن ذلك حكم الشرع فيها فانه معصوم عن الرأى والقياس فى الدين فان القياس ممن ليس بنبى فى دين الله حكم على الله بما لا يعلم فانه طرد علة وما يدريك لعل الله لا يريد طرد تلك العلة ولو أرادها لأبان عنها على لسان رسوله وأمر بطردها هذا إذا كانت العلة مما نص الشرع عليها فى قضية فكيف بعلة يستخرجها الفقيه بنفسه لم يذكرها الشرع ثم يطردها فيكون تحكما على تحكم بشرع لم يأذن به الله هذا يمنع المهدى عليه السلام من القول بالقياس فى دين الله ولاسيما وهو يعلم أن مراد النبى ﷺ التخفيف فى التكليف على هذه الامة ولذلك كان يقول اتركونى ماتركتكم وكان يكره السؤال فى الدين خوفا من زيادة الحكم فكل ماسكت له عنه لم يطلع على حكم معين فيه جعله عاقبة بحكم الأصل وكل ماأطلعه الله عليه كشفا وتعريفا فذلك حكم الشرع المحمدى فى المسئلة وقد يطلعه الله فى أوقات فى المباح على أنه مباح وعاقبة فكل مصلحة تكون فى حق رعاياه فان الله يطلعه عليها ليسأله فيها وكل فساد يريد الله أن يوقعه برعاياه فان الله يطلعه عليه ليسأله فى دفع ذلك لأنه عقوبة فالمهدى رحمه الله كما كان رسول الله ﷺ قال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين والمهدى يقفو أثره لا يخطىء فلابد أن يكون رحمة فهذه تسعة أمور لم تصح بمجموعها لامام من أئمة الدين خلفاء الله تعالى ورسول الله ﷺ إلى يوم القيامة إلا لهذا الامام المهدى كما أنه مانص رسول الله ﷺ على إمام من الأئمة الذين يكونون بعده أنه يرثه ويقفو اثره لا يخطىء الا المهدى خاصة فقد شهد بعصمته فى أحكامه كما شهد الدليل العقلى بعصمة رسول الله ﷺ فيما يبلغه عن ربه من الحكم المشروع له فى عباده قال رحمه الله تعالى وينزل عيسى فى زمانه بالمنارة البيضاء شرقى مسجد دمشق والناس فى صلاة العصر فيتنحى له الامام فيتقدم فيصلى بالناس يؤم الناس بسنة محمد صلى الله عليه وسلم

(تنبيه) لاينافى هذا مافى الاحاديث الصحيحة أن عيسى يقتدى بالمهدى فى صلاة الصبح ويقول انها لك أقيمت لما يأتى فى قصة الدجال فى الجمع بين اختلاف الروايات

أن المهدى حين نزل عيسى بدمشق يكون ببيت المقدس فيكون الذى يتنحى له أمير المهدى على دمشق ويوضحه أن هذا فى صلاة العصر وانه يجتمع إليه اليهود والنصارى والمسلمون كل يرجوه كما يأتى هناك وإن تقدم المهدى واقتدى عيسى به فى صلاة الصبح وليس هناك إلا خالص المسلمين وبالله التوفيق

(تنبيه آخر) ماأشرنا إليه سابقا من أن السبع أو التسع من خلافة المهدى المذكور فى الأحاديث يحتمل أن يكون فى زمن عيسى لاينافيه قوله ﷺ ان تهلك أمة أنا فى أولها والمهدى فى أوسطها وعيسى فى آخرها لأن المهدى يسبق نزول عيسى بأكثر من ثلاثين سنة وعيسى يتأخر عنه بضعا وثلاثين لما ورد فى المهدى أنه يمكث أربعين وفى عيسى أنه يمكث خمسا واربعين فمدة اجتماعهما سبع أو تسع والباقى مدة الافتراق

تنبيه آخر) قد علمت أن أحاديث وجود المهدى وخروجه آخر الزمان وانه من عترة رسول ﷺ من ولد فاطمة عليها السلام بلغت حد التواتر المعنوى فلامعنى لانكارها ومن ثم ورد من كذب بالدجال فقد كفر ومن كذب بالمهدى فقد كفر رواه أبو بكر الاسكاف فى فوائد الأخبار وأبو القاسم السهيلى فى شرح السير له فما ورد فى بعض الأحاديث أنه لامهدى إلا عيسى بن مريم مع كونه ضعيفا عند الحفاظ يجب تأويله بأنه لاقول لالمهدى إلا بمشورة عيسى ان قلنا انه وزيره أولا مهدى معصوما مطلقا إلا عيسى فان المهدى معصوم فى الأحكام فقط او لامهدى بعد عيسى فان بعده يكون أمراء مخلطين ولا تغتر بما قد يفهم من كلام العلامة التفتازانى فى شرح العقائد من نفيه بناء على الحديث المذكور لما مر أنه حديث ضعيف خالف أحاديث صحيحة قال الحافظ بن القيم فى المنار حديث لامهدى إلا عيسى بن مريم رواه ابن ماجه من طريق محمد بن خالد الجندى عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ وهو مما تفرد به عن محمد بن خالد قال محمد بن الحسن الاسنوى فى كتاب مناقب الشافعى محمد بن خالد هذا غير معروف عند أهل الصناعة من أهل العلم والنقل وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بذكر المهدى وانه من أهل بيته وقال البيهقى تفرد به محمد بن خالد هذا وقد قال الحاكم أبو عبد الله هو مجهول وقد اختلف عليه فى إسناده فروى عنه عن أبان بن أبى عياش عن الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فرجع الحديث إلى رواية محمد بن خالد وهو مجهول عن أبان بن أبى عياش وهو متروك عن الحسن وهو

منقطع والأحاديث الدالة على خروج المهدى أصح إسنادا كحديث ابن مسعود لو لم يبق على الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجل منى أو من أهل بيتى الحديث رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح وفى الباب عن على وأبى سعيد وأم سلمة وأبى هريرة ثم روى حديث أبو هريرة وقال صحيح اه وقال ابن القيم وفى الباب عن حذيفة بن اليمان وأبى امامة الباهلى وعبد الرحمن بن عوف وعبدالله بن عمرو بن العاص وثوبان وأنس بن مالك وجابر وابن عباس وغيرهم اه والله أعلم.

(تنبيه آخر) جاء عن ابن سيرين أن المهدى خير من أبى بكر وعمر قيل ياأبا بكر خير من أبى بكر وعمر قال قد كان يفضل على بعض الأنبياء وعنه لا يفضل عليه أبو بكر وعمر قال السيوطى فى العرف الوردى هذا إسناد صحيح وهو أخف من اللفظ الأول قال والاوجه عندى تأويل اللفظين على ما أول عليه حديث بل أجر خمسين منكم لشدة الفتن فى زمان المهدى قلت التحقيق ان جهات التفاضل مختلفة ولا يجوز لنا التفضيل على الاطلاق فى فرد من الافراد إلا إذا فضله النبى صلى الله عليه وسلم كذلك فانه قد وجد فى المفضول مزية من جهات أخر ليست فى الفاضل وتقدم عن الشيخ فى الفتوحات أنه معصوم فى حكمه مقتف أثر النبى صلى الله عليه وسلم لا يخطىء أبدا ولا شك ان هذا لم يكن فى الشيخين وأن الامور التسعة التى مرت لم تجتمع كلها فى إمام من أئمة الدين قبله فن هذه الجهات يجوز تفضيله عليهما وإن كان لهما فضل الصحبة ومشاهدة الوحى والسابقة وغير ذلك والله أعلم قال الشيخ على القارى فى المشرب الوردى فى مذهب المهدى ومما يدل على أفضليته أن النبى صلى الله عليه وسلم سماه خليفة الله وأبو بكر لا يقال له إلا خليفة رسول الله .

(خاتمة) اشتملت قصة المهدى على جملة من اشراط الساعة فلنشر إلى عدها وذكر بعض أحاديثها اجمالا وفاء بما وعدناه من حفظ الاحاديث على المسلمين فنها حسر الفرات عن جبل من الذهب كما مر عن أبى هريرة رضى الله عنه لا تقوم الساعه حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل عليه الناس فيقتل تسعة أعشارهم رواه ابن ماجه عنه ورواه أحمد ومسلم عن أبى وفى آخره حتى يقتل من كل مائة تسعة وتسعون وكذارواه مسلم عن أبى هريرة وروى عنه الشيخان وأبو داود مختصرا يوشك الفرات يحسر عن كنز فن حضره فلا يأخذ منه شيئا وفى رواية نعيم بن حماد عنه فيقتل من كل تسعة سبعة فاذا أدركتموه فلا تقربوه ومنها قتل النفس الزكية عن مجاهد قال حدثنى رجل

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الارض فأتى الناس المهدى فزفوه كما تزف العروس إلى زوجها ليلة عرسها رواه ابن أبى شيبة وعن عمار بن ياسر رضى الله عنه إذا قتلت النفس الزكية وأخوه يقتل بمكة ضيعة نادى مناد من السماء ان أميركم فلان وذلك المهدى رواه نعيم بن حماد .

(تنبيه) . النفس الزكية هذا غير النفس الزكية الذى قتل في زمن المنصور العباسى قتله موسى بن عيسى عم المنصور وهو محمد النفس الزكية ابن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم بايعه أهل المدينة بالخلافة وكان يقال انه المهدى قتل هو بالمدينة وقتل أخوه ابراهيم بن عبد الله بالعراق ومات ابوهما في الحبس ومنها طلوع الرايات السود من قبل خراسان عن ثوبان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقاتلونكم قتالا شديدا لم يقاتله قوم مثله فاذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة الله المهدى رواه ابن ماجه والحاكم وصححه ومعنى كونه المهدى أن الرايات تصير اليه وتنصره وعن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ يأتى قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتى فيملؤها قسطا كما ملئوها جورا فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج رواه ابن أبى شيبة وابن ماجه .

(تنبيه) هذه الرايات السود غير الرايات السود التى أتت لنصر بنى العباس وإن كان كل منهما من قبل المشرق ومن أهل خراسان وقاتلت بنى أمية لان هؤلاء قلانسهم سود وثيابهم بيض وأولئك كان ثيابهم سود أو لأن هذه الرايات صغار وتلك كانت عظاما ولان هذه يقدم بها الهاشمى الذى على مقدمتة شعيب بن صالح التميمى وتلك قدم بها أبو مسلم الخراسانى ولان هذه تقاتل بنى أبى سفيان وتلك قاتلت بنى مروان وقد صرح بذلك في رواية سعيد بن المسيب مرسلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج من المشرق رايات سود لبنى العباس ثم يمكثون ماشاء الله تعالى ثم تخرج رايات سود صغار تقاتل رجلا من ولد أبى سفيان وأصحابه من قبل المشرق ويؤدون الطاعة للمهدى رواه أبو نعيم بن حماد ومنها قذف الارض أفلاذ كبدها من الذهب والفضة عن عبد الله بن مسعود قال ان هذا الدين قدتم وانه صائر إلى النقصان وان أمارة

ذلك أن تقطع الأرحام ويؤخذ المال بغير حقه وتسفك الدماء ويشتكى ذو القرابة قرابته لا يعود عليه بشيء ويطوف السائل لا يوضع فى يده شيء فبينماهم كذلك ادخارت الأرض خوار البقر يحسب كل أناس أنها خارت من قبلهم فبينما الناس كذلك اذ قذفت الأرض بافلاذ كبدها من الذهب والفضة لا ينفع بعد شيء منه لا ذهب ولا فضة رواه ابن أبى شيبة ومنها خسف عند معدن عن ابن عمر قال تخرج معادن مختلفة معدن منها قريب من الحجاز يأتيه شرار الناس يقال له فرعون فبينماهم يعملون فيه اذ حسر عن الذهب فاعجبهم معتمله فبينماهم كذلك اذ خسف به وبهم رواه الحاكم وصححه وعن على كرم الله وجهه أنه قال الفتن أربع فتنة السراء والضراء وفتنة كذا فذكر معدن الذهب ثم يخرج رجل من عترة النبى ﷺ يصلح الله تعالى على يديه أمرهم رواه نعيم بن حماد بسند صحيح على شرط مسلم ومنها خسف قرية بالغوطة غربى دمشق عن خالد بن معدان قال لا يخرج المهدى حتى يخسف بقرية بالغوطة تسمى حرستا رواه ابن عساكر ومنها خسف بالبيداء عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ وسلم العجب أن ناسا من أمتى يأتون البيت لرجل من قريش قد لجأ بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم فيهم المنتصر والمجبور وابن السبيل يهلكون مهلكا واحداً ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم رواه البخارى ومسلم وعن صفيه أم المؤمنين قالت قال رسول الله ﷺ لا ينتهى الناس عن غزو هذا البيت حتى يغزو جيش حتى إذا كانوا بالبيداء أو بيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم ولم ينج أوسطهم قيل فان كان معهم من يكره قال: يبعثهم الله على ما فى أنفسهم رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه ورواه أحمد ومسلم والطبرانى عن أم سلمة ورواه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه عن حفصة عن ابن عباس يقطع الخليفة بالشام بعثا فهم ستمائة غريب إلى هاشميين بمكة فإذا أتوا البيداء فينزلون فى ليلة مقمرة إذ أقبل راع ينظر اليهم ويعجب ويقول يا ويح أهل مكة فينصرف إلى غنمه ثم يرجع فإذا هم قد خسف بهم فيقول سبحان الله ارتحلوا فى ساعة واحدة فيأتى فيجد قطيفة قد خسف ببعضها وبعضها على وجه الأرض فيعالجها فلا يطيقها فعلم أنه قد خسف بهم فينطلق إلى صاحب مكة فيبشره فيقول الحمد لله هذه العلامة التى كنتم تخبرون بها رواه نعيم بن حماد وفى رواية لا يفلت منهم أحد إلا بشير ونذير بشير إلى المهدى ونذير إلى السفيانى وهما رجلان من كلب .

﴿ تنبيه ﴾ وجه الجمع بين الروايتين أن الرجلين يهربان ثم يأتى الراعى فلا يرى

أحدا فيأتى بالبشارة إلى المهدى أيضا وفى رواية فيخسف بثلثهم ويمسخ ثلثهم فتصير وجوههم إلى أقفيتهم يمشون إلى ورائهم كما يمشون إلى أمامهم ويلحق ثلثهم بمكة وهذه إن صحت يحتاج فى الجمع إلى تمحل وتعسف ويمكن أن يقال بتكرار خسف الجيش فمرة يكون كذا ومرة كذا ويقربه ما مر أن صاحب المدينة يبعث بعثا قبل بعث السفيانى وأنه أمير على المدينة من قبله فنسب اليه أيضا والله أعلم ومنها انكساف الشمس والقمر فى رمضان عن الإمام محمد بن على الباقر قال لمهدينا آيتان لم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان وتنكسف الشمس فى النصف منه ولم تكونا منذ خلق الله السموات والأرض رواه الدارقطنى فى سننه وعن ابن عباس قال لا يخرج المهدى حتى تطلع الشمس آية رواه البيهقى ونعيم بن حماد ومنها طلوع القرن ذى السنين عن أبى جعفر محمد بن على الباقر وقال إذا بلغ العباسى خراسان طلع بالمشرق القرن ذو السنين وكان أول ماطلع بهلاك قوم نوح حين أغرقهم الله وطلع فى زمن إبراهيم حين القوه فى النار وحين أهلك الله قوم فرعون ومن معه وحين قتل يحيى بن زكريا فإذا رأيتم ذلك فاستعيذاو بالله من شر الفتن ويكون طلوعه بعد انكساف الشمس والقمر ثم لا يلبثون حتى يطلع الابقع بمصر رواه أبو نعيم بن حماد ومنها طلوع النجم ذى الذنب عن كعب قال يطلع من المشرق قبل خروج المهدى نجم له ذنب يضىء أخرجه أبو نعيم قلت وقد ظهر فى عام خمس وسبعين فى شهر جمادى الثانية نجم ذو ذنب وأقام مقدار شهرين ثم غاب ومنها خسوف القمر مرتين فى رمضان عن شريك قال بلغنى أن خروج المهدى ينكسف القمر فى شهر رمضان مرتين رواه أبو نعيم ومنها نار من قبل المشرق عن أبى عبد الله الحسين بن على رضى الله عنهما قال إذا رأيتم علامة السماء نارا عظيمة من قبل المشرق تطلع ليلا فعندها فرج الناس وهى إقدام المهدى وعن أبى جعفر محمد بن على الباقر رضى الله عنهما قال اذا رأيتم نارا من المشرق ثلاثة أيام أو سبعة أيام فتوقعوا فرج آل محمد إن شاء الله تعالى ومنها وقعة بالمدينة عظيمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال يكون بالمدينة وقعة يغرق فيها أحجار الزيت ما الحرة عندها إلا كضربة سوط فيتنحى عن المدينة بريدين ثم يبايع المهدى رواه أبو نعيم .

﴿ تنبيه ﴾ قال فى سفر السعادة أحجار الزيت قريب من باب أبواب المسجد يقال له باب السلام إذا خرج شخص من السلام وعطف على الجانب الأيمن وصار نحو رمية

حجر بلغ المكان المعروف بأحجار الزيت وعبارة السيد السمنودى فى الخلاصة أن أحجار الزيت كانت عند مشهد مالك بن سنان يضع عليها الزياتون روايام فعلا الكبيس عليهم فاندفنت ولأبى داود والترمذى وغيرهما عن مولى أبى اللحم أنه رأى النبى ﷺ يستسقى عند أحجار الزيت قريبا من الزوراء قائما يدعو الحديث فاقتضى كلام كعب الاحبار أنها موضع من الحرة بمنازل بنى عبد الاشهل به كانت وقعة الحرة انتهى كلامه ومنها نداء من السماء عن عاصم بن عمر البجلى قال لينادين باسم رجل من السماء لاينكره الدليل ولايمنع منه الدليل رواه ابن أبى شيبة وعن على رضى الله عنه قال إذا نادى مناد من السماء أن الحق فى آل محمد فعند ذلك يظهر المهدى على أفواه النـاس ويشربون حبه ولا يكون لهم ذكر غيره رواه أبو نعيم وعن سعيد بن المسيب قال تكون فتنة كأن أولها لعب الصبيان فلا تتناهى حتى ينادى مناد من السماء الا أن الأمير فلان ذلكم الأمير حقا ثلاث مرات رواه أبو نعيم وعن أبى جعفر الباقر قال ينادى مناد من السماء إن الحق فى آل محمد وينادى مناد من الأرض إن الحق فى آل عيسى أو قال العباس فشك فيه وإنما الأسفل كلمة الشيطان والصوت الأعلى كلمة الله العليا رواه أبو نعيم وعنه رضى الله عنه قال إذا كان الصوت فى شهر رمضان فى ليلة جمعة فاسمعوا وأطيعوا وفى آخر النهار صوت اللعين إبليس ينادى إلا أن فلانا قد قتل مظلوما ليشكك الناس ويفتنهم فكم فى اليوم من شاك متحير فإذا سمعتم الصوت فى رمضان يعنى الأول فلا تشكوا أنه صوت جبريل وعلامة ذلك أنه ينادى باسم المهدى واسم أبيه وعن إسحق ابن يحيى عن أمه قالت تكون فتنة تهلك الناس لايستقيم أمرهم حتى ينادى مناد من السماء عليكم بفلان رواه نعم بن حماد عن شهر بن حوشب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المحرم يناد مناد من السماء ألا إن صفوة الله فلان فاسمعوا وأطيعوا فى سنة الصبوب المعمعة رواه نعيم ومر عن عمار النداء قتل قبل النفس الزكية قال فى عقد الدرر وهذا النداء يعم أهل الأرض ويسمعه كل أهل لغة بلغتهم وعن الحكم بن نافع قال إذا كان الناس بمنى وبعرفات نادى مناد بعد أن تحارب القبائل إلا أن أميركم فلان ويتبعه صوت آخر إلا أنه قد صدق .

(تنبيه) لامانع من تكرر النداء فى رمضان وفى ذى الحجة وفى المحرم وغيرها كما يظهر من اختلاف الروايات ومنها طلوع كف من السماء عن سعيد ابن المسيب قال تكون فرقة واختلاف حتى يطلع كف من السماء وينادى مناد من السماء أن أميركم فلان وعن أسماء بنت عميس أن أمارة ذلك اليوم أن كفا من السماء

مدلاة ينظر الناس إليها رواه نعيم بن حماد ومنها أخراج كنز الكعبة وخزائنها عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال حين ولج هو وعمر رضى الله عنهما البيت فقال عمر والله ماأدرى أأدع خزائن البيت ومافيه من السلاح والأموال أو أقسمه فى سبيل الله فقال له على رضى الله عنه امض ياأمير المؤمنين فلست بصاحبه إنما صاحبه منا شاب من قريش يقسمه فى سبيل الله فى آخر الزمان رواه نعيم بن حماد ومنها الملحمة العظمى عن أبى هريرة لاتقوم الساعة حتى تنزل الروم بالاعماق أوبدابق يخرج إليهم جلب من المدينة الحديث رواه مسلم والحاكم وصححه وقد مر تفصيله وعن أبى الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام رواه أبو داود والحاكم وصححه وعن عبد الله قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة ثم قال يجتمعون لأهل الشام ويجمع لهم أهل الإسلام يعنى الروم إلى أن قال فيجعل الله الدبرة عليهم فيقتلون مقتلة عظيمة لم ير مثلها حتى إن الطائر يمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتا فيتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدون بقى منهم إلا الرجل الواحد فباى غنيمة يفرح أو أى ميراث يقسم رواه مسلم وعن معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ست من اشراط الساعة موتى وفتح بيت المقدس إلى أن قال وأن يغدر الروم فيسيرون بثمانين بندا تحت كل بند اثنا عشر ألفا رواه أحمد وابن أبى شيبه والطبرانى وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ست فيكم أيتها الامة فقال وفى الخامسة وهدنة تكون بينكم وبين بنى الاصفر فيجمعون لكم تسعة أشهر كقدر حمل المرأة ثم يكونون أولى بالغدر منكم رواه أحمد ومنها أن يكون لخمسين امرأة قيم واحد ومنها أن لايفرح بميراث ولا بغنيمة وهذان كلاهما يقع فى الملحمة العظمى حتى يتعاد بنو الاب الواحد وكانوا مائة فلا يبقى منهم إلا الرجل الواحد ويكون لخمسين امرأة قيم واحد وروى الستة غير أبى داود عن أنس مرفوعا أن من اشراط الساعة أن يقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد ومر لاتقوم الساعة حتى لايقسم ميراث ولايفرح بغنيمة

(تنبيه) قيل كثرة النساء سببه كثرة الفتن المورثة لكثرة القتل فى الرجال لأنهم أهل الحرب دون النساء انتهى ويدل له حديث الملحمة حيث ذكر كثرتهن بعد قتل الرجال لكن قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى فى باب العلم الظاهر أنها علامة

محضة لا لسبب آخر بل يقدر الله فى آخر الزمان أن يقل من يولد من الذكور ويكثر من يولد من الاناث قال وكون كثرة النساء من العلامات مناسب لظهور الجهل ورفع العلم أى فعلى هذا ينبغى أن تذكر عند رفع العلم لكن استطردناها هنا للمناسبة ثم قال الحافظ ابن حجر قوله خمسين يحتمل أن يراد به حقيقة هذا العدد أو يكون مجازا عن الكثرة ويؤيده أن فى حديث أبى موسى وترى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة انتهى ومنها فتح القسطنطينية ورومية عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل سمعتم بمدينة جانب منها فى البر وجانب فى البحر قالوا نعم يارسول الله قال لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بنى إسحق الحديث رواه مسلم والحاكم وقال الحاكم يقال هذه المدينة هى القسطنطينية قال القاضى عياض كذا هو فى أصول مسلم بنى إسحق والمعروف المحفوظ بنى اسمعيل وهو الذى يدل عليه الحديث وسياقه لأنه إنما أراد العرب وقال الحافظ ابن حجر قيل صوابه بنى اسمعيل كما دلت عليه أحاديث أخر عن عبد الله بن عمر قال قال ﷺ ست فيكم أيتها الأمة وقال فى السادسة وفتح مدينة قلت يارسول الله أى مدينة قال قسطنطينية وعن كثير بن عبد الله المزنى عن أبيه عن جده سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب الدنيا حتى تقاتلوا بنى الأصفر يخرج اليهم دوقة المؤمنين أهل الحجاز الذين يجاهدون فى سبيل الله ولا تأخذهم فى الله لومة لائم حتى يفتح الله عليهم قسطنطينية ورومية بالتسبيح والتكبير فينهدم حصنها الحديث رواه ابن ماجه والحاكم وعن أبى قبيل قال تذاكر فتح القسطنطينية ورومية أيهما تفتح أولا قال عبد الله فقيل يارسول الله أى المدينتين تفتح أولا قسطنطينية أو رومية فقال صلى الله عليه وسلم مدينة هرقل تفتح أولا يريد القسطنطينية رواه أحمد والحاكم وصححه .

﴿تفهيم فى تتميم﴾ قال الحافظ ابن القيم فى المنار قد اختلف الناس فى المهدى على أربعة أقوال أحدها أنه المسيح بن مريم وأنه هو المهدى على الحقيقة واحتج أصحاب هذا القول بحديث محمد بن خالد الجندى أى المتقدم وقد بينا حاله وأنه لا يصح ولو صح لم يكن فيه حجة لأن عيسى أعظم مهدى بين يدى الساعة فيصح أن يقال لا مهدى فى الحقيقة سواه وإن كان غيره مهديا يعنى هو المهدى الكامل المعصوم ثانيها أنه المهدى الذى ولى من بنى العباس قد انتهى واحتج أصحاب هذا القول بما رواه أحمد فى مسنده عن ثوبان مرفوعا إذا رأيتم الرايات السود أقبلت من خرسان فأتوها ولو حبوا على الثلج فان فيه خليفة الله المهدى وفيه على بن زيد ضعيف وله مناكير

فلا يحتج بما ينفرد به وروى ابن ماجه من حديث الثورى عن ثوبان نحوه وتابعه عبد العزيز ابن المختار عن خالد وفى سنن ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود مرفوعا إن أهل بيتى سيلقون بعدى بلاء وتشريدا وتطريدا حتى يأتى قوم من أهل المشرق ومعهم رايات سود الحديث وفى إسناده يزيد بن أبى زياد وهو سىء الحفظ اختلط فى آخر عمره وكان يقبل الفلوس قال وهذا والذى قبله لو صح لم يكن فيه دليل على أن المهدى هو الذى تولى من بنى العباس أقول قد مر أن رايات المهدى أيضاً تأتى من خراسان وأنها سود وأنها غير رايات بنى العباس والله أعلم ثالثها أنه رجل من أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم من ولد الحسن أى أو ولد الحسين بن على يخرج فى آخر الزمان وقد ملئت الأرض جورا فيملأها قسطا وعدلا وأكثر الأحاديث على هـــذا وأما الرافضة الأمامية فلهم قول رابع وهو أن المهدى هو محمد بن الحسن العسكرى المنتظر من ولد الحسين بن على لا من ولد الحسن بن على الحاضر فى الأمصار الغائب عن الأبصار دخل سرداب سامرا طفلا صغيرا من أكثر من خمسمائة سنة فلم تره بعد ذلك عين ولم يحس عنه بخبر وهم ينتظرونه كل يوم ويقفون بالخيل على السرادب ويصيحون به أن اخرج يامولانا اخرج يامولانا ثم يرجعون بالخيبة والحرمان فهذا دأبهم ولقد أحسن من قال :

ما آن للسرداب أن يلد الذى كلمتموه بجهلكم ما آنا

فعلى عقولكم العفاء فانكم ثلثتموا العنقاء والغيلانا

ولقد أصبح هؤلاء عارا على بنى آدم وضحكة يسخر منها كل عاقل وقد ادعى قوم من السلف فى محمد بن عبد الله المحض النفس الزكية أنه المهدى وقد مرت الإشارة والله أعلم قال وأما مهدى المغاربة محمد بن تومرت فإنه رجل كذاب ظالم متغلب بالباطل ملك بالظلم فقتل النفوس وأباح حريم المسلمين وسبى ذراريهم وأخذ أموالهم وكان شرا على الملة من الحجاج بن يوسف بكثير وكان يودع بطن الأرض فى القبور جماعة من أصحابه أحياء ويأمرهم أن يقولوا للناس أنه المهدى الذى بشر به النبى صلى الله عليه وسلم ثم يردم عليها لئلا يكذبوه بعد ذلك وتسمى بالمهدى المعصوم ثم خرج الملحد عبيد الله بن ميمون القداح وكان جده يهوديا من بنت مجوسى فانتسب بالكذب والزور إلى أهل البيت وادعى أنه المهدى الذى بشر به النبى صلى الله عليه وسلم وملك وتغلب واستفحل أمره إلى أن استولت ذريته الملاحدة المنافقون الذين كانوا أعظم الناس عداوة لله ورسوله على بلاد المغرب ومصر والحجاز والشأم

واشتدت غربة الاسلام ومحنته ومصيبته وكانوا يدعون الالهية ويدعون أن للشريعة باطنا يخالف ظاهرها وهم ملوك القرامطة الباطنية أعداء الدين فتستروا بالرفض والانتساب إلى أهل البيت ودانوا بدين أهل الالحاد ولم يزل أمرهم ظاهرا إلى أن أنقذ الله الأمة ونصر الإسلام بصلاح الدين يوسف أبو أيوب فاستنقذ الملة الإسـلامية منهم وأبادهم وعادت مصر دار إسلام بعد أن كانت دار نفاق وإلحاد فى زمنهم انتهى ملخصا بمعناه وقد مرت الإشاره إلى بعض قبائحهم وبدعهم وكفرهم وإلحادهم فى الباب الأول أقول وقد ذكر الشيخ على التقى فى رسالة له فى أمر المهدى أن فى زمانه خرج رجل بالهند ادعى أنه المهدى المنتظر واتبعه خلق كثير وظهر أمره وطار صيته ثم إنه مات بعد مدة وأن اتباعه لم يرجعوا عن اعتقادهم قلت وقد سمعت كثيرا من القادمين من بلاد الهند إلى الحرمين من العلماء والصلحاء أن أولئك القوم إلى الآن على ذلك الاعتقاد الخبيث وأنهم يعرفون بالمهدوية وربما سموا بالقتالية لأن كل ما قال لهم أن اعتقادكم باطل قتلوه حتى أن الرجل الواحد منهم يكون بين الجمع الكثير من المسلمين فاذا قيل له إن اعتقادك باطل قتل القائل ولا يبالى أيقتل أو يسلم وهم خلق كثير وقد ضموا إلى ذلك الاعتقاد بدعا أخر خرجوا بها عن سواء الصراط أخبرنى بهذا جمع من ثقات أهل الهند وظهر بجبال شهر زور وأنا طفل إذا بقرية يقال لها أزملك بهمزة مفتوحة آخرها كاف رجل يسمى محمدا وادعى أنه المهدى واتبعه خلق ثم أن أمير تلك البلاد أحمد خان الكردى أغار عليه فهرب وأخذ أخاه وخرب قريته وقتل جماعة من اتباعه فزالت شوكته وذل فاجتمع عليه علماء الاكراد وأفتوه بكفره وألزموه بتجديد إيمانه وتجديد عقد نكاح أزواجه فتاب ورجع عن ذلك ظاهرا لكن كان بعض من يخالطه يقول إنه لم يرجع باطنا وقد اجتمعت به سنة سبعين وألف فوجدته عابدا كثير الاجتهاد متورعا فى مأكله وملبسه عن الحرام ملازما للاوراد على طريقة الخلوتية وكان أخوه ذلك الذى أخذ وحبس لأجله شديد الإنكار عليه كثير اللوم له ثم أنه توفى رحمه الله فهؤلاء الذين ادعوا المهدية بالباطل واتبعهم بعض السفهاء وحصلت منهم فتن وفساد كثير فى الدين وظهر قبل تأليفى لهذا الكتاب بقبايل رجل بجبال عقر أو العمادية من الاكراد يسمى عبد الله ويدعى أنه شريف حسينى وله ولد صغير ابن اثنتى عشرة سنة أو أقل أو أكثر قد سماه محمدا ولقبه المهدى الموعود وتبعه جماعة كثيرة من القبائل واستولى على بعض القلاع ثم ركب عليه وإلى الموصل ووقع بينهم قتال وسفك دماء وقد انهزم المدعى وأخذ هو وابنه

إلى استنبول ثم أن إن السلطان عفى عنهما ومنعهما من الرجوع إلى بلادهما وماتا جميعا ومنها الدجال ورد عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب حضور الملحمة وحضور الملحمة فتح القسطنطينية وفتح القسطنطينية خروج الدجال رواه ابن أبى شيبة وأحمد وأبو داود والحاكم وصححه وحكى البيهقى عن شيخه الحاكم قال أول الآيات ظهورا أى بعد المهدى خروج الدجال ثم نزول عيسى ثم فتح يأجوج ومأجوج ثم خروج الدابة ثم طلوع الشمس من مغربها وسيأتى فى كلام الحاكم أن خروج الدابة بعد طلوع الشمس وأنه الأوجه فنذكرها بإذن الله على هـذا الترتيب وبالله التوفيق وعليه التكلان فنقول ومن الفتن الواقعة فى زمن المهدى ومن الأشراط العظام القريبة خروج الدجال وأخباره تحتمل مجلدا أفردها غير واحد من الأئمة بالتأليف عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن أمه ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها رواه الترمذى وصححه ومن دعواته صلى الله عليه وسلم اللهم إنى أعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ووقع فى تفسير البغوى أن الدجال مذكور فى القرآن فى قوله تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وإن المراد بالناس هنا الدجال من إطلاق الكل على البعض وفى صحيح البخارى ما من نبى إلا وقد أنذر قومه زاد فى رواية معمر لقد أنذر نوح قومه وعند أبى داود والترمذى وحسنه عن أبى عبيدة لم يكن نبى بعد نوح إلا وقد أنذر قومه الدجال وعند أحمد لقد أنذر نوح أمته والنبيون من بعده وأخرجه من وجه آخر عن ابن عمر رضى الله عنهما والكلام عليه يأتى فى مقامات فى اسمه ونسبه ومولده وحليته وسيرته وفتنته ومحل خروجه ووقته ومدته وكيفيته وكيف النجاة منه ومن يقتله (المقام الأول فى اسمه ونسبه ومولده) هو صافى بن الصياد أو الصائد ومولده المدينة هذا بناء على أن ابن الصياد هو الدجال وسيأتى إن شاء الله تعالى أن الاصح أنه غيره وعليه فاما أنه شيطان موثق فى بعض الجزائر أوهو من أولاد شق الكاهن المشهور أوهو شق نفسه وكانت أمه جنية عشقت أباه فأولدها شقا وكانت الشياطين تعمل له العجائب لحبسه سليمان النبى عليه السلام ولقبه المسيح وصفته الدجال مشتق من الدجل وهو الخلط واللبس والخدع فمعنى الدجال الخداع الملبس على الناس ومنه

قوله صلى الله عليه وسلم حين خطب إليه أبو بكر فاطمة عليها السلام إنى وعدتها لعلى ولست بدجال أى لست بخداع لك ولا ملبس عليك أمرك وأما تلقبه بالمسيح فلان عينه الواحدة ممسوحة يقال رجل ممسيح الوجه إذا لم يبق على أحد شقى وجهه عين ولا حاجب إلا استوى وقيل لأنه يمسح الأرض أى يقطعها وقال أبو الهيثم أنه المسيح بوزن سكين وهو الذى مسح خلقه وشوه وقال بعضهم أنه المسيخ بالخاء المعجمة وعيسى بالمهملة قال فى فتح البارى وبالغ القاضى ابن العربى فقال ضل قوم فرووه بالخاء المعجمة وشدد بعضهم السين ليفرقوا بينه وبين المسيح بن مريم عليه السلام قال وقد فرق النبى صلى الله عليه وسلم بينهما بقوله فى الدجال مسيح الضلالة فدل على أن عيسى مسيح الهدى فأراد هؤلاء تعظيم عيسى فحرفوا الحديث قال المجد فى القاموس اجتمع لنا فى سبب تسميته المسيح خمسون قولا وأما وجه تسمية عيسى مسيحا لأنه لا يمسح ذا عاهة إلا برئ أو لأنه لا أخمص له ومنه فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم كان مسيح القدمين أو لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن أو لأنه يمسح الأرض ويقطعها (المقام الثانى فى حليته وسيرته وفتنته) أما حليته فإنه رجل شاب وفى رواية شيخ وعندهما صحيح جسيم أحمر وفى رواية أبيض أمهق وفى حديث عبد الله بن مغفل عند الطبرانى أنه آدم قال فى فتح البارى يمكن أن تكون أدمته صافية وقد يوصف ذلك بالحمرة لأن كثيراً من الادم قد تحمر وجنته جعد الرأس قطط أعور والعين اليمنى كأنها عنبة طافية وفى رواية أعور العين اليسرى ووقع فى حديث سمرة عند الطبرانى وصححه ابن حبان والحاكم ممسوح العين اليسرى وجاء فى رواية أنه أعور العين مطموسها وليست جحراء وهذا معنى طافئة مهموزة قال فى فتح البارى نقلا عن القاضى عياض الذى رويناه عن الأكثر وصححه الجمهور وجزم به الأخفش طافية بغير همزة قال وضبطه بعض الشيوخ بالهمزة ومعناه أنها ناتئة نتوء العنبة وأنكره بعضهم ولا وجه لانكاره ثم جمع القاضى عياض بين الروايات بأن عينه اليمنى طافية بغير همز وممسوحة أى ذهب ضوءها وهو معنى حديث أبى داود مطموس العين ليست بناتئة ولا جحراء أى ليست عالية ولا عميقة كما فى حديث ابن عمر فى الصحيحين واليسرى طافئة بالهمز كما فى الرواية الأخرى عنه وهى الجاحظة التى كأنها كوكب وكأنها نخاعة فى حائط أى وهى الخضراء كما جاء كل ذلك فى الاحاديث قال وعلى هذا فهو أعور العينين معا فكل واحدة منهما عوراء وذلك إن العور العيب والاعور من كل شيء المعيب وكلا عينى الدجال معيبة

إحداهما بذهاب نورها والأخرى بنتوئها وخضرتها قال النووى وهو فى غاية الحسن لم على عينه ظفرة غليظة وهى جلدة تغشى العين وإذا لم تقطع عميت وقال البيضاوى الظفرة لحمة تنبت عند المآق وقيل لحمة تخرج فى العين فى الجانب الذى يلى الانف وهما متقاربان قال الحافظ ابن حجر وقد ورد فى كلتا عينيه أن عليها ظفرة وفى بعض الروايات عن أبى سعيد عند أحمد عينه اليمنى جاحظة لا تخفى كأنها نخاعة فى حائط مجصص وعينه اليسرى كأنها كوكب درى وفى حديث أبى عند أحمد والطبرانى إحدى عينيه كأنها زجاجة خضراء قال الحافظ والذى يتحصل من مجموع الأخبار أن الصواب فى طافية أنه بغير همز وصرح فى حديث عبدالله بن مغفل وسمرة وأبى بكرة بأن عينه اليسرى ممسوحة والطافية هى البارزة وهى غير الممسوحة ولها الظفرة لجائز أن يكون فى كل من عينيه لأنه لا يضاد الطمس ولا النتوء ويكون التى ذهب ضوءها هى المطموسة يعنى اليسرى والمعيبة مع بقاء عينها هى البارزة انتهى ومن حليته انه قصير أفحج بفاء ساكنة وجيم آخره من الفحج وهو تباعد ما بين الساقين وقيل تدانى صدور القدمين مع تباعد العقبين وقيل هو الذى فى رجليه اعوجاج جفال الشعر بضم الجيم وتخفيف الفاء أى كثيرة هجان بكسر أوله وتخفيف الجيم أى أبيض اقمر أى شديد البياض ضخم فيلمانى بفتح الفاء وسكون التحتانية أى عظيم الجثة كان رأسه أغصان شجرة أى شعر رأسه كثير متفرق قائم وفى رواية أن رأسه من ورائه حبك أى شعره متكسر من الجعودة كالماء والرمل إذا ضربته الريح قاله فى النهاية وهذا معنى ما مر انه جعد قطط مكتوب بين عينيه ك ف ر بحروف متقطعة يقرأها كل مسلم كاتب وغير كاتب ولا يقرأها الكفار لا يولد له ولا يدخل المدينة ومكة تتبعه أقوام كان فى وجوههم المجان المطرقة وسبعون ألفا من يهود أصبهان عليهم الطيالسة وفى لفظ عليهم السيجان وكلهم ذو سيف محلى .

(تنبيه) قال فى النهاية السيجان جمع ساج وهو الطيلسان الأخضر وقيل هو الطيلسان المقور نسج كذلك ومنهم من يجعل ألفه منقلبة عن الواو ومنهم من يجعلها منقلبة عن الياء انتهى ومن صفاته أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه أبوه طوال ضرب اللحم كان أنفه منقار وأمه امرأة فرضاخية أى كثيرة اللحم طويلة الثديين له حمار أهلب أى كثير الهلب وهو الشعر الغليظ ما بين أذنيه أربعون ذراعا يضع خطوه عند منتهى طرفه عن أبى الطفيل عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال

يخرج الدجال على حمار رجس على رجس رواه ابن أبى شيبة وعن على كرم الله وجهه يخرج الدجال ومعه سبعون ألفا من الحاكة وهى موضع على مقدمته أشعر أى رجل كثير الشعر يقول بروبر ورواه الديلمى أى وهى بالفارسية ومعناه اسع اسغ وعن أمير المؤمنين على أن طول الدجال أربعون ذراعا بالذراع الأول تحته حمار أقمر أى شديد البياض طول كل أذن من أذنيه ثلاثون ذراعا مابين حافر حماره إلى الحافر الآخر مسيرة يوم وليلة تطوى له الأرض منهلا منهلا يتناول السحاب بيمينه ويسبق الشمس إلى مغيبها يخوض البحر إلى كعبيه الحديث بطوله .

(تنبيه) لامنافاة بين هذه ورواية أنه قصير لاحتمال أن قصره بالنظر إلى ضخامته فان ضخامته تقضى أن يكون أطول من ذلك أوأنه ابتداء قصير وهو بخلقته فى نفس الأمر ثم أظهر الكفر وادعى الالهية زاد طوله وضخامته ابتلاء من الله للعباد وفتنة لهم كسائر فتنه والله أعلم وأما سيرته فانه يخرج أولا فيدعى الإيمان والصلاح ويدعو إلى الدين فيتبع ويظهر فلا يزال حتى يقدم الكوفة فيظهر الدين ويعمل به فيتبع ويحب على ذلك ثم يدعى أنه نبى فيفزع من ذلك كل ذى لب ويفارقه ثم يمكث بعد ذلك أياما ثم يدعى الالهية ويقول أنا الله فتغشى عينه وتقطع أذنه ويكتب بين عينيه ك اف ر فلايخفى كل مسلم فيفارقه كل أحد من الخلق فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان هكذا رواه الطبرانى عن عبد الله بن معتمر وكان صحابيا وعن كعب الاحبار قال يتوجه الدجال فينزل عند باب دمشق الشرقى أى ابتداء قبل خروجه ثم يلتمس فلا يقدر عليه ثم يرى عند المياه التى عند نهر الكسوة ثم يطلب فلا يدرى اين توجه ثم يظهر بالمشرق فيعطى الخلافة ثم يظهر السحر ثم يدعى النبوة فيتفرق الناس عنه أى يعنى المسلمين فيأتى النهر فيأمره أن يسيل فيسيل ثم يأمره أن يرجع فيرجع ثم يأمره أن ييبس فييبس الحديث بطوله رواه نعيم بن حماد ويتبعه سبعون ألفا من يهود اصبهان وثلاثة عشر ألف امرأة وعامة من يتبعه اليهود والترك والنساء ويبعث الله له شياطين فيقولون استعن بنا على ماتريد فيقول نعم اذهبوا إلى الناس فقولوا أنا ربهم فيبثهم فى الآفاق إلى غير ذلك .

(وأمافتنه فكثيرة لاتكاد تنحصر) فمنها أنه يسير معه جبلان أحدهما فيه أشجار وثمار وماء وأحدهما فيه دخان ونار فيقول هذه الجنة وهذه النار رواه الحاكم وابن عساكر عن ابن عمر ومنها أن معه جنة ونارا ورجالا يقتلهم ثم يحييهم معه جبل من ثريد ونهر من ماء رواه نعيم عن حذيفة .

(تنبيه) لاينافى هذا ماورد أنه يسلط على نفس واحدة ثم لايقدر عليه ثانيا وأنه يقول لايفعل بعدى بأحد من الناس لأن هؤلاء الرجال هم شياطين وقتله إياهم وإحياؤه إنما هو فى رأى العين لاعلى الحقيقة وقيل ذلك حقيقة أى وهو الخضر كما سيأتى وفى رواية معه جبال من خبز والناس فى جهد إلا من معه ومعه نهران أنا أعلم بهما منه نهر يقول له الجنة ونهر يقول له النار فمن أدخل الذى يسميه الجنة فهو النار ومن أدخل الذى يسميه النار فهو الجنة رواه أحمد وابن خزيمة والحاكم وسعيد بن منصور عن جابر رضى الله عنه وفى رواية لانا أعلم بما مع الدجال منه معه نهران يجريان أحدهما رأى العين ماء أبيض والآخر رأى العين نار تأجج فأما إن أدرك ذلك واحد منكم فليأت النهر الذى يراه نارا وليغمض ثم ليطأطىء رأسه فليشرب فانه ماء بارد وفى رواية البخارى عن المغيرة بن شعبه معه جبل خبز زاد مسلم فى روايته معه جبال خبز ولحم ونهر من ماء وفى رواية إبراهيم أن معه الطعام والانهار وفى رواية يزيد بن هرون أومعه الطعام والشراب وفى رواية معه مثل الجنة والنار وفى رواية نعيم عن أبى مسعود ومعه جبل من مرق وعراق اللحم حار لايبرد ونهر جار وجبل من جنان وخضرة وجبل من نار ودخان يقول هذه جنتى وهذه نارى وهذا طعامى وهذا شرابى .

(تنبيه) اختلفوا فى هذه الجنة والنار هل هى حقيقة أم تخييل مال ابن حبان فى صحيحه إلى أنه تخيل واستدل بحديث المغيرة بن شعبة فى الصحيحين أنه قال كنت أكثر من سؤال النبى صلى الله عليه وسلم عن الدجال فقال لى ومايضرك قلت لانهم يقولون إن معه جبل خبز قال هو أهون من ذلك فمعناه أنه أهون على الله من أن يكون معه ذلك حقيقة بل يرى كذلك وليس بحقيقة أى ويدل له الرواية السابقة أحدهما فى رأى العين ماء أبيض والآخر فى رأى العين نار تأجج وقال جماعة منهم القاضى ابن العربى بل هى على ظاهرها اى فيكون ذلك امتحانا من الله لعباده ويكون معنى الحديث هو أهون من أن يخاف أوأن يضل الله به من يحبه قلت والتحقيق الأول كما يدل له قوله فليغمض ثم ليطأطىء رأسه فيشرب فانه ماء بارد وما فى رواية فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يراه إنها نار فانه ماء عذب بارد ومافى رواية فالنار روضة خضراء والجنة غبراء ذات دخان والفرق بينهما وبين غيرهما من الخوارق حيث أن

لها حقيقة كما يظهر أن الجنة والنار لما كانا دارى جزاء وثواب وعقاب ينبغى أن لا يكون لغير الله حقيقة بخلاف غيرهما من الخوارق والله أعلم ومنها أنه تطوى له الأرض مهلا مهلا طى فروة الكبش وانه يسيح الأرض كلها فى أربعين يوما ومامن بلد إلا وسيطؤها إلا مكة والمدينة كما سيأتى وسرعته فى السير كالغيث استدبرته الريح ومنها أن له ثلاث صيحات يسمعها أهل المشرق وأهل المغرب ويتناول الطير من الجو ويشويه فى الشمس شيا رواه الحاكم وابن عساكر عن ابن عمرو ومنها أنه يخوض البحر فى اليوم ثلاث خوضات لايبلغ حقويه وإحدى يديه أطول من الأخرى فيمد الطويلة فى بحر فيبلغ قعره فيخرج من الحيتان مايريد رواه أبو نعيم عن حذيفة رضى الله عنه ومنها أنه يخرج فى خفة من الدين وأدبار من العلم فلايبقى أحد يحاجه فى أكثر الأرض ويذهل الناس عن ذكره وان أكثر مايتبعه الأعراب والنساء حتى ان الرجل يراود أمه وبنته واخته وعمته فيوثقهن رباطا مخافة أن يخرجن اليه وانه يأتى فيقول للاعرابى أرأيت ان بعثت لك اباك وبعثت لك أمك اتشهد انى ربك فيقول نعم فيتمثل له شيطان على صورة أبيه وآخر على صورة امه فيقولان له يابنى اتبعه فانه ربك فيتبعه ومن ثم قال حذيفة لو خرج الدجال فى زمانكم لرمته الصبيان بالخزف ولكنه يخرج فى نقص من العلم وخفة من الدين .

(تنبيه) المراد بالاعراب هنا كل بعيد عن العلماء ساكن فى البادية والجبال كان من الأعراب والأتراك أو الأكراد أو غير ذلك لأنهم ليس عندهم مايميزون به بين الحق والباطل وأكثر النفوس مائلة إلى تصديق الخوارق .

(فائدة) قال الحافظ بن حجر أخرج أبو نعيم فى ترجمة حبان بن عطية أحد ثقات التابعين من الحلية بسند صحيح اليه قال لاينجو من فتنة الدجال إلا اثنى عشر ألف رجل وسبعة آلاف امرأة قال وهذا لايقال من قبل الرأى فيحتمل أن يكون مرفوعا ارسله أو أخذه عن بعض أهل الكتاب اه وينبغى أن يحمل على أن الذين ينجون من الأعراب والنساء هذا القدر لما مر فى قصة المهدى ان معه فى الغزو أكثر من هذا بكثير ويمكن أن يقال إذا رأوه اتبعوه لكنه بعيد ان شاء الله تعالى وقد ورد كما مر فى قتل عثمان أن كل من فى قلبه مثقال حبة من قتل عثمان اتبع الدجال ان ادركه وان لم يدركه آمن به فى قبره فعلى هذا كل من بقى من الرافضة على اعتقاده اليوم ولم يهتد بالمهدى للحق فانه يتبعه لأن كل رافضى يحب قتل عثمان وراض به نسأل الله أن يميتنا

على محبة رسول الله وصحابته آمين ومنها أن معه ملكين من الملائكة يشبهان نبيين من الأنبياء أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فيقول الدجال ألست ربكم احيي وأميت فيقول أحد الملكين كذبت فما يسمعه أحد من الناس إلا صاحبه فيقول له صاحبه صدقت ويسمعه الناس فيحسبون انه صدق الدجال وذلك فتنة فى حديث ابن مسعود عند أبى نعيم والحاكم فاذا قال أنا رب العالمين قال له الياس كذبت ويقول اليسع صدق إلياس فكان النبيين الذين يشبههما الملكان هما إلياس واليسع ومنها أن الله يبعث له الشياطين من مشارق الارض ومغاربها فيقولون استعن بنا على من شئت فيقول نعم انطلقوا فأخبروا الناس أنى ربهم وانى قد جئتهم بجنتى وناري فتنطلق الشياطين فيدخل على الرجل أكثر من مائة شيطان فيتمثلون له بصورة والده ووالدته واخوته ومواليه ورقيقه فيقولون يافلان أتعرفنا فيقول لهم الرجل نعم هذا أبى وهذه أمى وهذه أختى وهذا أخى فيقول الرجل ماأنبأكم فيقول بل أنت أخبرنا ماأنبأناك فيقول الرجل أنا قد أخبرنا أن عدو الله الدجال قد خرج فتقول له الشياطين مهلا لاتقل هذا فانه ربكم يريد القضاء فيكم هذه جنته قد جاء بها وناره ومعه الأنهار والطعام فلا طعام إلا ماكان قبله إلا ماشاء فيقول الرجل كذبتم ماأنتم إلا شياطين وهو الكذاب وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قد حدث حديثكم وحذرنا وأنبأنا به فلا مرحبا بكم أنتم الشياطين وهو عدو الله وليسوقن الله اليه عيسى بن مريم فيقتله فيخسئوا فينقلبوا خائبين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أحدثكم هذا لتعقلوه وتفهموه وتفقهوه وتعوه فاعملوا عليه وحدثوا به من خلفكم وليحدث الآخر الآخر فان فتنته أشد الفتن رواه نعيم وروى هو والحاكم فى المستدرك عن ابن مسعود بلفظ وتأتيه المرأة فتقول يارب أحى ابنى وأخى وزوجى حتى انها تعانق شيطانا وبيوتهم مملوءة شياطين ويأتيه الاعرابى فيقول يارب أحى لنا إبلنا وغنمنا فيعطيهم شياطين أمثال ابلهم وغنمهم سواء بالسن والسمة فيقولون لو لم يكن هذا ربنا لم يحى لنا موتانا أى وكان الحديث الاول وارد فيمن يكفر به وهذا فيمن يؤمن ويتبعه ومنها أنه يتناول السحاب بيمنه ويسبق الشمس الى مغيبها يخوض البحر الى كعبه أمامه جبل دخان وخلفه جبل أخضر ينادى بصوت له يسمع به مابين الخافقين إلى أوليائى إلى أوليائى إلى أحبائى إلى أحبائى فانا الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى وأنا ربكم الأعلى كذب عدو الله ليس ربكم كذلك ألا إن الدجال أكثر أتباعه اليهود وأولاد الزنا رواه ابن المنادى عن على كرم الله وجهه ومنها أنه يأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون فيأمر السماء فتمطر

والأرض فتنبت فتروح وعليهم سارحيهم أى ماشيتهم أطول ما كانت ذرى أى أسنمة وأسبغة أى اطوله ضروعا وأمده خواصر ثم يأتى على القوم فيدعوهم فيردون عليه عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين أى مقحطين ليس بأيديهم شيء من أموالهم رواه مسلم عن النواس بن سمعان ومنها أنه يمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل رواه مسلم عن النواس واليعاسيب جمع يعسوب وهو ذكر النحل والمراد هنا جماعة النحل لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها لانه متى طار تبعته جماعته ومنها انه يأتى على النهر فيأمره أن يسيل فيسيل ثم يأمره أن يرجع فيرجع ثم يأمره أن ييبس فييبس رواه نعيم بن حماد عن كعب الاحبار ومنها أنه يأمر جبل طور وجبل زيتا ان ينتطحا فينتطحان ويامر الريح أن تثير سحابا من البحر فتمطر الارض فتمطر رواه نعيم عنه أيضا ومنها انه يقول انا رب العالمين وهذه الشمس تجرى بإذنى أفتريدون أن أحبسها ويقولون نعم فيحبس الشمس حتى يجعل اليوم كالشهر والجمعة كالسنة ويقول أتريدون أن أسيرها فيقولون نعم فيجعل اليوم كالساعة رواه نعيم بن حماد والحاكم عن ابن مسعود ومنها ان قبل خروجه ثلاث سنوات شدائد يصيب الناس فيها جوع شديد يأمر الله السماء فى السنة الاولى أن تحبس ثلث مطرها ويأمر الارض أن تحبس ثلث نباتها ثم يأمر الله السماء فى السنة الثانية فتحبس ثلثى مطرها ويأمر الارض فتحبس ثلثى نباتها ثم يامر الله عز وجل السماء فى السنة الثالثة فلا تمطر قطرة ويامر الارض فلا تنبت خضراء فلا يبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ماشاء الله قيل يارسول الله فما يعيش الناس إذا كان ذلك قال التسبيح والتكبير يجرى ذلك منهم مجرى الطعام رواه ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم عن أبى أمامة رضى الله عنه ومنها أنه يسلط على نفس واحدة فينشرها بالمنشار حتى يلقيها شقين فيمر الدجال بينهما ثم يقول انظروا هذا فانى ابعثه الآن ثم يزعم أن له ربا غيرى ثم يبعثه الله فيقول له الخبيث من ربك فيقول ربى الله وأنت عدو الله الدجال والله ما كنت قط أشد بصيرة فيك منى الآن فيريد أن يقتله ثانيا فلا يسلط عليه رواه ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم وأيضا عن أبى أمامة رضى الله عنه .

(تنبيه) المنشار بالنون وبالياء المثناة التحتية لغتان فصيحتان من النشر والوشر وهما بمعنى (المقام الثالث فى محل خروجه ووقته ومدته وكيفيته وطريق النجاة منه ومن يقتله) أما محل خروجه فالمشرق جزما ثم جاء فى رواية انه يخرج من خراسان

روى ذلك أحمد والحاكم من حديث أبى بكر رضى الله عنه وفى أخرى أنه يخرج من أصبهان أخرجها مسلم وعند الحاكم وابن عساكر من حديث ابن عمر أنه يخرج من يهودية أصبهان أى محلة خارج أصبهان ومثله عند أحمد عن عائشة وعند الطبرانى من حديث فاطمة بنت قيس يخرج من بلدة يقال لها أصبهان من قرية من قراها يقال لها رستاهاد وأما وقته فعند فتح قسطنطينية أى بعده وعند القحط الشديد ثلاث سنين كما مر فى فتنة وفى بعض الروايات انه بعد فتح القاطع ووجه الجمع ان ابتداء خروجه ودعواه الخلافة والنبوة يكون عند فتح القسطنطينية وخروجه الأعظم ودعواه الالهية يكون عند فتح القاطع والمقيد بالاربعين يوما هو هذا الخروج وأما مدته فاربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم كذا فى حديث النواس ابن سمعان عند أحمد ومسلم والترمذى وفى حديث أبى أمامة عند ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم والضياء أن أيامه أربعون سنة السنة كنصف السنة والسنة كالشهر والسنة كالجمعة وآخر أيامه كالشررة يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسى .

(تنبيه) اختلف العلماء فى تأويل هذا الحديث فمنهم من قاله هو كناية عن اشتغال الناس بأنفسهم من الفتن حتى لايدرون كيف يمضى النهار فيكون مضى النهار عندهم كمضى الساعة والشهر كاليوم والسنة كالشهر وقال بعضهم بل هو على ظاهره فقد ورد من حديث أنس عند أحمد والترمذى فى إشراط الساعة لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضرمة بالنار والجواب عن اختلاف الحديثين إما بالترجيح وأما بالجمع فإن رجحنا لحديث النواس عند مسلم أقوى لأنه أصح وأن كان الثانى أيضاً فى الصحيح فيقدم وإن جمعنا فطريق الجمع من وجوه الأول أن أيامه أربعون سنة وسمى السنين أياما مجازاً ثم أن أول أيام سنته الأولى كسنة وثانيها كشهر وثالثها كجمعة وباقى أيامها كأيامنا ثم تتناقص أيام السنة الثانية حتى تكون السنة كنصف سنة وهكذا إلى أن تكون السنة كشهر والشهر كجمعة حتى يكون آخر أيامه كالشريرة يصبح أحدهم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسى فتكون السنة الأولى من سنيه مشتملة على مقدار سنين من سنينا وسنوه الأخيرة مقدار سنة من سنينا ويقربه رواية نعيم والحاكم المارة عن ابن مسعود أنه يقول أنا رب العالمين وهذه الشمس تجرى باذنى أفتريدون أن أحبسها فيحبس الشمس حتى

يجعل اليوم كالشهر والجمعة كالسنة ويقول أتريدون أن أسيرها فيجعل اليوم كساعة

﴿ فائدة ﴾ سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فى اليوم الذى كالسنة أيكفينا فيه صلاة يوم واحد قال لا ولكن اقدروا له أى اقدروا مقدار كل يوم فصلوا فيه خمس صلوات وقيس به اليومان الآخران وسئل عن الأيام القصار فقالوا كيف نصلى يارسول الله فى تلك الأيام قال تقدرون فيها الصلاة كما تقدرونها فى هذه الأيام الطوال والظاهر أن التقدير هنا عكس الاول بأن تصلى الخمس فى مقدار يوم من هذه الايام ولو اشتمل ذلك على أيام كثيرة من تلك الايام والله أعلم الوجه الثانى يحتاج إلى مقدمة هى أن عالم المثال موجود وأنه ليس خيالا محضا بل حقيقة وهو فى الخارج محسوس قال الإمام السيوطى فى المنجلى فى تطور الولى نقلا عن العلاء القونوى شارح الحاوى مانصه وقد أثبت الصوفية عالما متوسطا بين عالم الاجساد وعالم الارواح سموه عالم المثال وقالوا هو ألطف من عالم الاجساد وأكثف من عالم الارواح وبنوا على ذلك تجسد الارواح وظهورها فى صور مختلفة فى عالم المثال وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا انتهى الغرض منه وقال فى الفتوحات المكية فى الباب الثالث والستين أظهر الله تعالى هذه الحقيقة يعنى حقيقة عالم المثال لعبده ليعلم أنه إذا عجز وحار فى هذا فهو بخالقه أجهل فان العقول لا تلحقه بالعدم المحض ولا بالوجود المحض ولا بالإمكان المحض وإلى هذه يصير الإنسان فى نومه وبعد موته فيرى الاعراض صورا قائمة متجسدة لا يشك فيها والمكاشف يرى فى يقظته مايراه النائم فى حال نومه ومايراه الميت بعد موته كما يرى فى الآخرة صور الاعمال توزن والموت يذبح وكلها أعراض ونسب قال ومن الناس من يدرك هذا المتخيل بعين الحس إلى أن قال فإن أدركت العين المتخيل ولم تغفل عنه لم تختلف عليه التكوينات فى الارادة فى مواضع مختلفات والذات واحدة لايشك فيها ولا انتقلت ولا تحولت فى أكوان مختلفة فيعلم أنه أدركها ببصره الحسى الذى يدرك به المحسوسات انتهى الغرض منه فعلم أنه ليس محض خيال بل هو مثال محسوس وقد وقع غير مرة تصديق هذا فى الخارج إذا تمهد هذا فنقول يحتمل أن يكون هذا من التعجيل وأنه لبعض الناس أيام ولبعضهم سنون والكل موجود محقق ولهذا ترتب عليه الاحكام ووجبت الصلاة فيها كما فى الحديث المار وهنا وجه آخر أبعد من هذين فلا نذكره والله أعلم وأما كيفية خروجه فالروايات فيه مختلفة وأبسط حديث فيه حديث النواس عند مسلم وغيره وحديث أبى أمامة عند ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم والضيا وحديث ابن مسعود عند نعيم بن حماد والحاكم وحديث أبى سعيد عند مسلم وعند البخارى

معناه وحديث أبي أيضا عند الحاكم فلنسق هذه الاحاديث مساقا واحدا ولنجمع بين اختلافها بحسب الإمكان والتيسير ونزيد بعض الزيادات من غيرها وبالله التوفيق وعليه التكلان قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال إنه لم يكن في الارض منذ ذرا الله ذرية آدم عليه السلام أعظم من فتنة الدجال وأن الله لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال أنا آخر الانبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك منا فقال غير الدجال أخوفني عليكم أن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وأنا حجيج كل مسلم وأن يخرج من بعد فكل حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم وأنه يخرج من خلة أي من طريق بين الشام والعراق فيعيث أي يفسد يبعث السرايا والجنود يمينا وشمالا وأن على مقدمته سبعون ألفا من يهود أصبهان عليهم رجل أشعر من فيهم يقول برو برو أي إسع إسع قال صلى الله عليه وسلم ياعباد الله فاثبتوا فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها اياه نبي قبلي وأنه يبدأ فيقول انا نبي ولا نبي بعدي ثم يثني فيقول أنا ربكم ولا ترون ربكم حتى تموتوا وأنه أعور وربكم ليس بأعور وأنه مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب أي حروفا مهجاة هكذا ك ف ر كما صرح به في بعض الروايات وأن من فتنته أن معه جنة ونارا فناره جنة وجنته نار فمن ابتلي بناره فليستغث بالله وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه بردا وسلاما كما كانت النار على إبراهيم وأن من فتنته كذا وكذا وقد ذكرناها مفصلا وأن معه اليسع عليه السلام ينذر الناس يقول هذا المسيح الكذاب فاحذروه لعنه الله ويعطيه الله من السرعة مالا يلحقه الدجال وفي رواية أن بين يديه رجلين ينذران أهل القرى كلما دخلا قرية أنذرا أهلها فإذا خرجا منها دخلها أول أصحاب الدجال ويدخل القرى كلها غير مكة والمدينة فيمر بمكة فإذا هو بخلق عظيم فيقول من أنت فيقول أنا ميكائيل بعثني الله لأمنعك من حرمه ويمر بالمدينة فإذا هو بخلق عظيم فيقول من أنت فيقول أنا جبريل بعثني الله لأمنعك من حرم رسوله وفي رواية وانه لا يبقى شيء من الارض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة فإنه لا يأتيهما من نقب من أنقابهما إلا لقيه الملائكة بالسيوف مصلته فيمر بمكة فإذا رأى ميكائيل ولى هاربا ويصيح فيخرج اليه من مكة منافقوها ويمر بالمدينة كذلك حتى ينزل عند الظريب الأحمر عند منقطع السبخة وفي حديث عائشة عند ابن حبان في صحيحه في كتاب التوحيد فيسير حتى ينزل بناحية المدينة وهي يومئذ لها سبعة أبواب على كل باب ملكان ويخرج الله شرار أهلها اه فيتوجه قبله

رجل من المؤمنين ويقول لأصحابه والله لأنطلقن إلى هذا الرجل فلأنظرن أنه هو الذى أنذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا فيقول له أصحابه والله لايدعك تأتيه ولو أنا نعلم أنه يقتلك إذا أتيته خلينا سبيلك ولكنا نخاف أن يفتنك فيأبى عليهم الرجل المؤمن الا أن يأتيه فينطلق يمشى حتى يأتى مسالح الدجال أى خفراءه وطلائعه فيقولون له أين تعمد فيقول أعمد إلى هذا الرجل الذى خرج فيقولون له أوما تؤمن بربنا فيقول ما بربنا خفاء فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه فيرسلون إلى الدجال إنا قد أخذنا من يقول كذا كذا أفنقتله أو نرسله قال أرسلوه إلى فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن عرفه بنعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول يا أيها الناس هذا الدجال الذى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأمر به الدجال فيشبح ثم يقول لتطيعنى فيما أمرتك وإلا شققتك شقتين فينادى المؤمن أيها الناس هذا المسيح الكذاب من أطاعه فهو فى النار فيؤمر به فيوسع ظهره وبطنه ضربا فيقول له الدجال والذى أحلف به لتطيعنى أو لأشقنك شقتين فيقول أنت المسيح الكذاب فيؤمر به فيؤشر بالميشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه وفى رواية فمد برجله فوضع حديدته على عجب ذنبه فشقه شقين ويبعد بينهما قدر رمية الغرض ثم يمشى الدجال بين القطعتين ويقول لأوليائه أرايتم إن أحييته ألستم تعلمون أنى ربكم قالوا بلى فيضرب أحد شقيه أو الصعيد عنده ويقول له قم فيستوى قائما فلما رآه أولياؤه صدقوه وأيقنوا أنه ربهم وأجابوه واتبعوه وقال للمؤمن الاتؤمن بى فيقول ماازددت فيك إلا بصيرة وفى رواية يقول لأنا الآن أشد فيك بصيرة منى قبل ثم نادى فى الناس ألا ان هذا المسيح الكذاب وأنه لا يفعل بعدى باحد من الناس فيقول الدجال والذى أحلف به لتطيعنى أو لأذبحنك ولألقينك فى النار فيقول والله لا أطيعك أبداً فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسا فلا يستطيع اليه سبيلا وفى رواية فيوضع على جلده صفائح من نحاس فلا يحيك فيه سلاحهم فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس إنما قذفه فى النار وإنما ألقى فى الجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أقرب امره درجة منى وأعظم الناس شهادة عند رب العالمين

﴿ تنبيه ﴾ هذا الرجل المؤمن هو الخضر عليه السلام على الاصح كما صرح به فى بعض الأحاديث الصحيحة ودل عليه الكشف الصحيح أما الاحاديث فكثيرة منها مارواه ابن حبان فى كتاب التوحيد من صحيحه فى ذكر الدجال أنه ﷺ قال

ولعله يدركه بعض من رآنى أو سمع كلامى وهذا البعض هو الخضر لأمور أحدها أن من عدا الخضر وعيسى عليهما السلام لم يبق أحد ممن رآه صلى الله عليه وسلم بالإجماع وليس هذا هو عيسى لأن عيسى يقتل الدجال وهذا الرجل يقتله الدجال ثانيها روى الدارقطنى فى الافراد عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال نسىء للخضر فى أجله حتى يكذب الدجال وله شاهد صحيح فى صحيح مسلم عقب رواية عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عن أبى سعيد الخدرى قال أبو إسحق هو إبراهيم بن محمد بن سفيان الزاهد راوى صحيح مسلم عنه يقال إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى بعد نقل ذلك وقال معمر فى جامعه بعد ذكر هذا الحديث يعنى أن الذى يقتله الدجال هو الخضر قال الحافظ وقد يتمسك لمن قاله بما أخرجه ابن حبان فى صحيحه من حديث أبى عبيدة بن الجراح فى ذكر الدجال رفعه لعله أن يدركه بعض من رآنى أو سمع كلامى الحديث اه فدل هذا الحديث الصحيح على أن بعض الصحابة يدرك الدجال ودل رواية الدرقطنى على أن هذا المبهم هو الخضر قال فصح بالمجموع أن الخضر صحابى وأنه مؤخر لتكذيب الدجال فيصح التمسك بما ذكر فى أن الذى يقتله الدجال هو الخضر ثالثها فى بعض الروايات أن الذى يقتله الدجال يقول يا أيها الناس هذا الذى حدثنا عنه رسول الله مكان قوله ذكر رسول الله والاصل فى الكلام الحقيقة فيكون رسول الله حدثه بلا واسطة ولاشك أن الحمل على التحديث بوسائط مجاز وأما الكشف فقد ذكر ذلك محققو الصوفية كالشيخ علاء الدولة السمانى وغيره وقيل هو أحد أصحاب الكهف لما مر أنهم يكونون من أصحاب المهدى وهذا القول الثانى ضعيف قاله فى الفتوحات وترجف المدينة يومئذ ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج اليه فتنفى المدينة يومئذ خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص ويكون آخر مدة يخرج اليه النساء حتى أن الرجل ليرجع إلى أمه وبنته وأخته وعمته فيوثقون رباطا مخافة أن تخرج اليه وفى رواية يوم الخلاص وما يوم الخلاص قاله ثلاث مرات يجىء الدجال فيصعد أحداً فيطلع فينظر إلى المدينة ويقول لأصحابه الاترون إلى هذا القصر الابيض هذا مسجد أحمد .

(تنبيه) هذه إحدى معجزاته صلى الله عليه وسلم وإخبار منه بأن مسجده يرفع ويبيض بالجص لأنه فى زمنه كان مهنيا بالجريد والسعف وقد وقع ما أخبر به فإن مسجده الشريف يرى أبيض من مسافة بعيدة ومنائره تلمع بياضا ولعل خروجه

قريب ويرى هذا البناء والله أعلم ثم يأتي إلى المدينة فيجد بكل نقب من أنقابها ملكا مصلتا فيأتي سبخة الجرف وفي لفظ بهذه السبخة ينزل بمر قناة فيضرب رواقة ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه فتخلص المدينة وذلك يوم الخلاص رواه أحمد والحاكم عن محجن بن الادرع فقالت أم شريك بنت أبي العكر يارسول الله فأين العرب يومئذ قال هم يومئذ قليل وجلهم ببيت المقدس وامامهم المهدى رجل صالح فيتوجه إلى الشام فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام فيأتيهم فيحصرهم ويشد حصارهم ويجهدهم جهداً شديداً وفي رواية فيشك الناس فيه أي حين لم يقدر على قتل ذلك الرجل ثانيا ويبادر إلى بيت المقدس فإذا صعد عقبة أفيق وقع ظله على المسلمين فيوترون قسيهم لقتاله فأقواهم من برك أو جلس من الجوع والضعف وذلك لأن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد كما مر في فتنة وان قوت المؤمن التهليل والتسبيح والتحميد حتى إذا طال عليهم الحصار قال رجل إلى متى هذا الجهد والحصار اخرجوا إلى هذا العدو حتى يحكم الله بيننا إما الشهادة وإما الفتح هل أنتم إلا بين إحدى الحسنيين بين ان تستشهدوا أو يظهركم الله عليهم فيتبايعون على القتال بيعة يعلم الله انها الصدق من أنفسهم ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر أحدهم كفه فينزل ابن مريم فيحسر عن أبصارهم وبين أظهرهم رجل عليه لأمة فيقولون من أنت فيقول أنا عبد الله وكلمته عيسى اختاروا إحدى ثلاث ان يبعث الله على الدجال وجنوده عذابا جسيما أو يخسف بهم الأرض أو يرسل عليهم سلاحكم ويكف سلاحهم عنكم فيقولون هذه يارسول الله أشفى لصدورنا فيومئذ يرى اليهودى العظيم الطويل الأكول الشروب لاتقل يده سيفه من الرعب فينزلون فيتسلطون عليهم وفي رواية فبينما امامهم أي المهدى وقد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام للصبح فرجع المهدى قهقرى ليتقدم عيسى صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس ويقال له ياروح الله تقدم أي يقول له بعض من لم يحرم بالصلاة فيقول ليتقدم إمامكم فليصل بكم ويضع عيسى يده بين كتفيه فيقول له تقدم فانها لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم فاذا انصرف قال عيسى افتح فيفتح ووراء الدجال سبعون ألف يهودى كلهم ذو سيف محلى بوساج فاذا نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وانطلق هاربا فيقول له عيسى ان لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب لد الشرقي فيقتله ويهزم الله اليهود .

﴿ تنبيه ﴾ لد بضم اللام وتشديد الدال المهملة بوزن مد بلد بناحية بيت المقدس بينه وبين الرملة مقدار فرسخ إلى جهة دمشق متصلة نخيله بنخيلها وفى رواية لمسلم فبينما هو أى الدجال كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهر ذوتين أى بالذال المعجمة والمهملة أى مصبوغتين بالورد وهو شيء أصفر أو بالزعفران أو الورس واضعا كفية على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر أى الماء من شعره وان رفعه تحدر منه مثل الجمان أى بضم الجيم وتخفيف الميم حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد من ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فتقتله وفى رواية ثم ينزل عيسى فينادى من السحر فيقول يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث ويسمعون النداء جاءكم الغوث فيقولون هذا كلام رجل شبعان وتشرق الأرض بنور ربهما وينزل عيسى بن مريم ويقول يامعشر المسلمين احمد واربكم وسبحوه أى لأنه قوتهم كما مر فيفعلون ويريدون أى أصحاب الدجال الفرار فيضيق الله عليهم الأرض فاذا أتوا باب لد فى نصف ساعة فيوافقون عيسى فاذا نظر أى الدجال إلى عيسى يقول أى لبعض أصحابه أقم الصلاة خوفا منه فيقول الدجال يانبي الله قد أقيمت الصلاة فيقول ياعدو الله زعمت أنك رب العلمين فلمن تصلى فيضربه بمقرعته فيقتله

﴿ تنبيه ﴾ طريق الجمع بين هذه الروايات أن عيسى صلوات الله عليه ينزل أولا بدمشق على المنارة البيضاء وهى موجودة اليوم لست ساعات من النهار وقد مر عن الفتوحات أنه يصلى بالناس صلاة العصر فيحتمل أنه ينزل بعد الظهر ثم مع اشتغاله بالقرعة بين اليهود والنصارى يدخل وقت العصر فيصلى بهم العصر كما فى رواية ثم يأتى إلى بيت المقدس غوثا للمسلمين ويلحقهم فى صلاة الصبح وقد أحرم المهدى والناس كلهم أو بعضهم لم يحرموا فيخرج اليه بعض من لم يحرم بالصلاة فيأتى والمهدى فى الصلاه فيتقهقر ويقول لعيسى بعض الناس تقدم لما رأى تقهقر المهدى فيضع يده على كتف المهدى إن تقدم ويقول للقائل ليتقدم امامكم فيجيب المهدى بالفعل والقائل بالقول ليكون جواب كل على طبق قوله ثم إذا أصبحوا نرد أصحاب الدجال فتضيق عليهم الأرض فيدركهم بباب لد فيصادف ذلك صلاة الظهر فيتحيل اللعين إلى الخلاص منه باقامة الصلاة فلما عرف أنه لا يتخلص منه بذلك ذاب خوفا منه كما يذوب الملح فأدركه فقتله أو أنه ينشى صلاة فى غير وقتها وهو أدل على ضلالته وجهالته بالله

ويقرب هذا التأويل ما فى رواية ابن المنادى عن على رضى الله عنه يقتله الله بالشام على عقبة أفيق لثلاث ساعات يمضين من النهار على يد عيسى بن مريم قال فى القاموس أفيق كأمير ومنه عقبة أفيق اهـ وهنا وجه آخر أقرب إلى التحقيق وهو أنه مر أن الصلاة فى الأيام القصار التى هى آخر أيام الدجال تقدر فيحتمل أن يصادف التقدير ذلك الوقت وعلى هذا فلا إشكال بين كونه ينزل بدمشق لست ساعات مضين من النهار وبين أنه يصلى بالناس صلاة العصر وهذا جواب مبنى على التحقيق والله يهدى للحق وهو يهدى السبيل ويهزم الله اليهود وأصحاب الدجال فلا يبقى شىء مما خلق الله يتوارى به يهودى إلا أنطق الله ذلك الشىء لا شجر ولا حجر ولا حائط ولا دابة إلا قال يا عبدالله المسلم هــــذا يهودى وفى رواية هذا دجال فتعال فاقتله إلا الغرقد فانها من شجر اليهود لا ينطق قال صلى الله عليه وسلم فيكون عيسى بن مريم فى أمتى حكما عدلا وإماما مقسطا وسيأتى قصته مستوفاة إن شاء الله تعالى وأما كيفية النجاة منه فاعلم أن النجاة منه بالعلم والعمل أما العلم فبان يعلم أنه يأكل ويشرب وأن الله منزه عن ذلك وأنه أعور وأن الله ليس بأعور وأن أحدا لا يرى ربه حتى يموت وهذا يراه الناس أحياء قبل موتهم إلى غير ذلك مما مر وأما العمل فبأن يلتجىء إلى أحد الحرمين فانه لا يدخلهما أو إلى المسجد الأقصى أو إلى مسجد طور ففى بعض الروايات لا يدخلهما أيضا وبأن يقرأ عشر آيات من أول سورة الكهف وقد مرت أحاديث ماذكر فلا نعيدها وبأن يهرب منه فى الجبال والبرارى فانه أكثر ما يدخل القرى فعن عبيد بن عمر ليصحبن الدجال أقوام يقولون إنا لنصحبه وانا لنعلم انه لكافر ولكنا نصحبه نأكل من طعامه ونرعى من الشجر فاذا نزل غضب الله نزل عليهم كلهم رواه نعيم بن حماد وبأن يتفل فى وجهه فعن أبى امامة مرفوعا فمن لقيه منكم فليتفل فى وجهه رواه الطبرانى وبالتسبيح والتكبير والتهليل فانه قوت المؤمن فى ذلك القحط وأن من ابتلى به فليثبت وليصبر وإن رماه فى النار فليغمض عينيه وليستعن بالله تكن عليه بردا وسلاما وأما من يقتله فقد علم أنه يقتله عيسى عليه السلام والحمد لله رب العالمين .

(فائدة) قال ابن ماجه سمعت الطنافسى يقول سمعت المحاربى يقول ينبغى أن يدفع هذا الحديث يعنى حديث الدجال إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان فى الكتاب اهـ وقد ورد أن من علامات قرب خروجه نسيان ذكره على المنابر .

(خاتمة) اختلفت الصحابة فمن بعدهم وهكذا أهــــل هو ابن الصياد أو غيره على قولين ولكل أدلة فلنشر إلى الراجح منها بعون الله تعالى وحسن توفيقه وأخسن

ما جمع فى ذلك كلام الامام الحافظ قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى فى شرح البخارى المسمى فتح البارى فلنذكر مقاصده ففيه الكفاية إن شاء الله تعالى قال رحمه الله مما يدل على أن ابن الصياد هو الدجال حديث جابر الذى فى البخارى أنه كان يحلف أن ابن الصياد هو الدجال ويقول سمعت عمر يحلف عند رسول الله ﷺ فلم ينكر عليه وحديث ابن عمر عند مسلم وعند الوراق بسند صحيح قال لقيت ابن الصياد مرتين فذكر المرة الأولى ثم قال ثم لقيته أخرى فاذا عينه قد طفئت وفى لفظ قد نضرت عينه وهى خارجة مثل عين الجمل فقلت متى فعلت عينك ما ارى قال لا أدرى قلت لا تدرى وهى فى رأسك قال ان شاء الله تعالى جعلها فى عصاك هذه فمسحها ونخر ثلاثا كاشد نخير حمار سمعت فزعم أصحابى انى ضربته بعصا كانت معى حتى تكسرت وأنا والله ما شعرت وفى لفظ وكان معه يهودى فزعم اليهودى أنى ضربت بيدى صدره وقلت أخسأ فلن تعدو قدرك فذكرت ذلك لحفصة قالت ما تريد اليه ألم تسمع أن الدجال يخرج عند غضبة يغضبها وفى لفظ إنما يبعثه على الناس غضب يغضبه ووقع لابن صياد مع ابى سعيد الخدرى قصة تتعلق بأمر الدجال فاخرج مسلم من طرق عنه قال صحبنى ابن صياد فقال لى ألا ترى ما لقيت من الناس وفى لفظ لقد هممت أن آخذ حبلا فاعلقه بشجرة ثم اختنق به مما يقول لى الناس ياأباسعيد يزعمون أنى الدجال ألست سمعت رسول الله ﷺ يقول انه يهودى وقد أسلمت يقول لا يدخل مكة ولا المدينة وقد ولدت بالمدينة وها أنا أريد مكة ويقول إنه لا يولد له وقد ولد لى زاد فى رواية حتى كدت أعذره ثم قال لكنى أعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن وفى رواية لو عرض على أن أكون أنا هو لم أكره قال فقلت له تبالك سائر اليوم قال الحافظ وهذه الأحاديث كلها ليست نصا ولا صريحا فى أن ابن الصياد هو الدجال لأن النبى ﷺ ردد فيه القول فقال أن يكون هو أى وهذا كان عند أوائل قدومه ﷺ إلى المدينة ثم لما أخبره تميم الدارى جزم بأن الدجال هو ذلك المحبوس الذى رآه تميم وسياتى حديثه وأما حلف عمر عند رسول الله فبناء على ظنه وسكوت النبى صلى الله عليه وسلم لأنه كان مترددا فيه إذ ذاك ، وأما حلف جابر فبناء على حلف عمر رضى الله عنهما عند رسول الله ﷺ وأما حديث أبى سعيد فغايته أن يكون ابن صياد أحد الدجاجلة وأحد أتباع الدجال الكبير قلت أو أنه لم يكن سمع النبى ﷺ يحدث عن تميم فقال بناء على ذلك قال الحافظ وأما ما أخرجه أبو داود من حديث أبى بكرة مرفوعا يمكث أبو الدجال ثلاثين عاما لا يولد لهما ثم يولد لهما غلام أعور أضر شىء وأقله نفعا أنه تنام عينه ولا

ينام قلبه ونعت أباه وأمه قال فسمعنا بمولود ولد فى اليهود فذهبت أنا والزبير بن العوام فدخلنا على أبويه فاذا النعت الذى نعته النبى ﷺ فقلنا هل لكما ولد قالا مكثنا ثلاثين عاما لا يولد لنا ثم ولد لنا غلام أضر شىء وأقله نفعا الحديث. فقال البيهقى فى الجواب عنه تفرد به على بن زيد بن جدعان وليس بالقوى قال الحافظ ويوهى حديثه أن أبا بكرة أسلم حين نزل من الطائف لما حوصرت سنة ثمان من الهجرة وفى حديث الصحيحين أنه حين اجتمع به النبى صلى الله عليه وسلم فى النخل كان كالمحتلم وفى لفظ وقد قارب الحلم فلم يدرك أبو بكرة زمان مولده بالمدينة وهو لم يسكن المدينة إلا قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين فكيف يتأتى أن يكون فى الزمن النبوى كالمحتلم فالذى فى الصحيحين هو المعتمد ثم نقل عن البيهقى أنه ليس فى حديث جابر أكثر من سكوت النبى ﷺ على حلف عمر فيحتمل أنه صلى الله عليه وسلم كان متوقفا فى أمره ثم جاء التثبيت من الله تعالى بأنه غيره على ماتقتضيه قصة تميم الدارى قال الحافظ وقد توهم بعضهم أن حديث فاطمة بنت قيس فى قصة تميم فرد وليس كذلك فقد رواه مع فاطمة بنت قيس أبو هريرة وعائشة وجابر أما حديث أبى هريرة فأخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وأبو يعلى وأما حديث عائشة فهو حديث فاطمة المذكور عن الشعبى قال ثم لقيت القاسم بن محمد فقال أشهد على عائشة حدثتنى كما حدثتنى فاطمة بنت قيس .

وأما حديث جابر فأخرجه أبو داود بسند حسن وأما حديث فاطمة بنت قيس فأخرجه مسلم وأبو داود بمعناه والترمذى وابن ماجه قال الترمذى حسن صحيح ولفظ رواية مسلم قال سمعت منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى الصلاة جامعة فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال ليلزم كل إنسان مصلاه ثم قال هل تدرون لم جمعتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال إنى والله ما جمعتكم رغبة ولا رهبة ولكن جمعتكم لأن تميما الدارى كان رجلا نصرانيا فجاء وأسلم وحدثنى حديثا وافق الذى كنت أحدثكم به عن المسيح الدجال حدثنى أنه ركب سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرا فى البحر فارفئوا أى بالهمز لجئوا إلى جزيرة حين مغرب الشمس فجلسوا فى أقرب السفينة أى بضم الراء جمع قارب بفتح الراء وكسرها وهو سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة يكون فيها ركاب السفينة لقضاء الحوائج فدخلوا الجزيرة فلقيهم دابة أهلب أى غليظ الشعر كثيره وفى رواية أبى داود فاذا أنا بامرأة تجر

شعرها قالوا ويلك ماأنت قالت أنا الجساسة أى بضم الجيم وتشديد السين الأولى سميت بذلك لتجسسها الأخبار وعن عبد الله بن عمرو أن هذه هى دابة الأرض التى تخرج فى آخر الزمان فتكلمهم فقالت انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير فانه إلى خبركم بالأشواق قال لما سمت لنا رجلا فرقنا منها أى خفنا أن تكون شيطانة قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا فيه أعظم إنسان رأينا قط خلقا وأشده وثاقا مجموعة يداه إلى عنقه مابين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد قلنا ويلك من أنت قال قد قدرتم على خبرى فأخبرونى ماأنتم قالوا نحن أناس من العرب ركبنا فى سفينة بحرية واخبروه الخبر فقال أخبرونى عن نخل بيسان أى بفتح الموحدة ولا يقال بالكسر قرية بالشام هل تثمر قلنا نعم قال أما إنها يوشك أن لاتثمر قال اخبرونى عن بحيرة طبرية هل فيها ماء قالوا هى كثيرة الماء قال أما إن ماءها يوشك أن يذهب قال اخبرونى عن عين زغراى بضم الزاى وفتح الغين المعجمتين على وزن صرد بلدة معروفة من الجانب القبلى الشام هل فى العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين قلنا نعم هى كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها قال اخبرونى عن نبى الأميين مافعل قالوا قد خرج من مكة ونزل يثرب قال أقاتله العرب قلنا نعم قال كيف صنع بهم فاخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه قال أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه وإنى مخبركم إنى أنا المسيح وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج فاخرج فاسير فى الأرض ولا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان على كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلنى ملك بيده السيف صلتا يصدنى عنها وأن على كل نقب من أنقابها ملائكة يحرسونها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن بمخصرته أى بكسر الميم عصا أوقضيب يكون مع الملك أو الخطيب بشيرنها إذا خاطب فى المنبر هذه طيبة ثلاثا يعنى المدينة ألا هل كنت حدثتكم فقال الناس نعم إلا أنه فى بحر الشام أو بحر اليمن لابل من قبل المشرق ماهو وأومى بيده الى المشرق قال القاضى عياض لفظة مازائدة صلة للكلام ليست نافية والمراد اثبات أنه من قبل المشرق وفى بعض طرقه عند البيهقى أنه شيخ وسنده صحيح قال البيهقى فيه أن الدجال الأكبر الذى يخرج فى آخر الزمان غير ابن صياد واحد الدجالين الكذابين الذين أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بخروجهم وكان هؤلاء الذين كانوا يقولون أن ابن صياد هو الدجال لم يسمعوا بقصة تميم والافالجمع بينهما بعيد جدا اذ كيف يلتئم من كان فى أثناء الحياة النبوية شبه المحتلم ويجتمع به النبى صلى الله عليه وسلم ويساله أن يكون فى آخرها شيخا مسجونا فى جزيرة

من جزائر البحر موثقا بالحديد يستفهم عن خبر النبي صلى الله عليه وسلم هل خرج اولا فالأولى أن يحمل على عدم الاطلاع قال وأما اسلام ابن صياد وحجه وجهاده فليس فيه تصريح بأنه غير الدجال لاحتمال أنه يختم له بالشر نقد أخرج أبو نعيم فى تاريخ أصبهان عن حسان بن عبدالرحمن عن أبيه قال لما افتتحنا أصبهان كان بين عسكرنا وبين اليهودية فرسخ فكنا نأتيها ونمتار منها فأتيتها يوما فاذا اليهود يزفون ويضربون فسألت صديقا لى منهم فقال ملكنا الذى نستفتح به على العرب يدخل فبت عنده على سطح فصليت فلما طلعت الشمس اذا الوهج من قبل العسكر فنظرت فاذا رجل عليه قبة من ريحان واليهود يزفون فنظرت فاذا هو ابن صياد فدخل المدينة فلم يعد حتى الساعة قال الحافظ وحسان ابن عبد الرحمن ماعرفته والباقون ثقات قال وقد أخرج أبو داود بسند صحيح عن جابر قال فقدنا ابن الصياد يوم الحرة ورواه غيره بسند حسن وخبر جابر هذا يضعف خبر أنه مات بالمدينة وأنهم صلوا عليه وكشفوا عن وجهه ولايلتئم أيضا مع خبر حسان بن عبد الرحمن المار لان فتح أصبهان كان فى خلافة عمر كما أخرج أبو نعيم فى تاريخها وبين قتل عمر ووقعة الحرة نحو أربعين سنة لان وقعة الحــــرة كانت فى زمن يزيد وغاية مايعتذر عنه ان القصة إنما شاهدها والد حسان بعد فتح أصبهان هذه المدة ويكون جواب لما فى قوله لما افتتحنا أصبهان محذوفا تقديره صرت أتعاهدها وأتردد اليها لجرت قصة ابن صياد وقد أخرج الطبرانى فى الأوسط مرفوعا من حديث فاطمة بنت قيس رضى الله عنها أن الدجال يخرج من أصبهان ومن حديث عمران ابن حصين رضى الله عنه وأخرج أحمد بسند صحيح عن أنس رضى الله عنه أنه يخرج من يهودية أصبهان قال أبو نعيم كانت اليهودية من جملة قرى أصبهان وإنما سميت اليهودية لأنها كانت تختص بسكنى اليهود ولم تزل كذلك إلى أن مصرها أيوب بن زياد أمير مصر فى زمن المهدى ابن المنصور العباسى فسكنها المسلمون وبقيت منها لليهود قطعة هذا ملخص كلام الحافظ ابن حجر وحاصله أن الأصح أن الدجال غير ابن صياد وإن شاركه ابن صياد فى كونه أعور ومن اليهود وأنه ساكن فى يهودية أصبهان إلى غير ذلك وذلك لأن أحاديث ابن صياد كلها محتملة وحديث الجساسة نص فيقدم قلت ومما نرجح أنه غيره أن قصة تميم الدارى متأخرة عن قصة ابن صياد فهو كالناسخ له ولأنه حين إخباره صلى الله عليه وسلم بأنه فى بحر الشام أو بحر اليمــــن لا بل من قبل المشرق كان ابن الصياد بالمدينة فلو كان هو لقال بل هو بالمدينة لايقال إنما لم يقل خوفا عليه من أن يقتلوه فاخبر

بما يؤول إليه أمره لانا نقول هذا ليس بشيء إذ كيف يقتلون شخصا قبل أجله والمقدر أنه إنما يقتله نبي الله عيسى عليه السلام ولو كان كذلك لما كان بين صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به أمر الخوارج بأن له أصحابا كذا وكذا ولما بين قاتل على كرم الله وجهه بأنه يخضب لحيته من يافوخه ولما بين الحكم بن العاصي بأنه يخرج من صلبه من يغير سنته إلى غير ذلك ويؤيده أيضا ما أخرجه نعيم بن حماد من طريق جبير بن نفير وشريح بن عبيد وعمر بن الاسود وكثير بن مرة قالوا جميعا الدجال ليس هو إنسان وإنما هو شيطان موثق بسبعين حلقة فى بعض جزائر اليمن لايعلم من أوثقه سليمان النبى صلى الله عليه وسلم أو غيره فإذا آن ظهوره فك الله عنه كل عام حلقة فإذا برز أتاه أتان عرض مابين أذنيها أربعون ذراعا فيضع على ظهرها منبراً من نحاس ويقعد عليه وتتبعه قبائل الجن يخرجون له خزائن الأرض قال الحافظ وهذا لا يمكن مع كون ابن صياد هو الدجال ولعل هؤلاء مع كونهم ثقاة تلقوا ذلك من بعض كتب أهل الكتاب اتهى ولا ينافى ذلك قوله فى بعض جزائر اليمن لأنه يحتمل أن قوله صلى الله عليه وسلم فى قصة تميم الدارى من قبل المشرق باعتبار آخر وقته حين يخرج وذكر ابن وصيف المؤرخ أن الدجال من ولد شق الكاهن المشهور قال ويقال بل هو شق نفسه انظره الله تعالى وكانت أمه جنية عشقت أباه فاولدها وكان الشيطان يعمل له العجائب فاخذه سليمان لحبسه فى جزيرة من الجزائر لكن قال الحافظ هذا واه جداً قال وغاية مايجمع به بين ماتضمنه حديث تميم وكون ابن الصياد هو الدجال وأن الذى شاهده تميم موثقا هو الدجال بعينه وأن ابن صياد شيطانه ظهر فى صورة الدجال فى تلك المدة التى قدر الله تعالى خروجه والله أعلم اه فان قيل كيف يحكم بكفر ابن صياد فضلا عن كونه دجالا بعد أن ثبت إسلامه وحجه وجهاده والأصل بقاؤه على الإسلام إلى الموت قلت قوله فى حديث أبى سعيد لايكره أن يكون دجالا ولو عرض عليه ذلك لقبله دل على عدم إسلامه فى الباطن اذ كيف يرضى المسلم أن يدعى الربوبية أو النبوة فهذا الذى جوز الحكم بذلك والله أعلم وبالله التوفيق .

(تذنيب) اشتملت قصة الدجال على جملة من الاشراط منها القحط الشديد ثلاث سنين وقد مر حديثه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم تكون بين يدى الساعة سنوات خداعات يصدق فيها الكذاب ويكذب الصادق الحديث ومنها تقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة بالنار ومنها اخراج كنوزها وكان هذا يقع فى زمن كل من المهدى وعيسى

والدجال فيخرج لكل منهم شيء منها لكنه فى زمنهما رحمة وفى زمن الدجال بلاء وامتحان ومنها خروج الشياطين وإتيانهم بالأخبار الكاذبة وقراءتهم قرآنا على الناس وقد مر أحاديث جميع ذلك ومنها كفر أقوام بعد إيمانهم ورجوعهم إلى عبادة الأوثان أخرج الطيالسى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال لاتقوم الساعة حتى يرجع ناس من أمتى إلى عبادة الأوثان يعبدونها وأحاديث كثيرة ومن الأشراط القريبة نزول عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام قال تعالى وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته وقال تعالى وانه لعلم الساعة فلا تمترن بها وقرىء فى الشواذ لعلم بفتح العين واللام بمعنى العلامة وعن أبى هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكان أن ينزل ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية الحديث رواه الشيخان وفى رواية مسلم عنه والله لينزل ابن مريم حكما عدلا فليكسرن الصليب بنحوه وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا ان بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة رواه مسلم والكلام عليه فى مقامات فى حليته وسيرته ووقت نزوله ومحله وما يجرى على يديه من الملاحم ومدته وموته وأما إسمه ونسبه ومولده فكل ذلك معلوم مما مر آنفا (المقام الأول) فى حليته وسيرته أما حليته فعند البخارى من حديث عقيل ابن خالد أنه أحمر جعد عريض الصدر وفى رواية آدم كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال سبط الشعر ينطف أى بكسر الطاء المهمله أى يقطر زاد فى رواية له لمة بكسر اللام وتشديد الميم كأحسن ما أنت راء من اللمم قد رجلها أى بتشديد الجيم سرحها وفى رواية لمة بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما ورأيت عيسى بن مريم مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس زاد فى حديث أبى هريرة بنحوه كأنما خرج من ديماس يعنى الحمام ولا منافاة بين الحمرة والادمة لجواز أن تكون أدمته صافية كما مر فى الدجال لا يجد ريح نفسه بفتح الفاء كافر إلا مات عليه ممرودتان إلى غير ذلك كما مر أكثرها وأما سيرته فانه يدق الصليب ويقتل الخنزير والقردة ويضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام ويتحد الدين فلا يعبد إلا الله ويترك الصدقة أى الزكاة لعدم من يقبلها وتظهر الكنوز فى زمنه ولا يرغب فى اقتناء المال أى للعلم بقرب الساعة ويرفع الشحناء والتباغض أى لفقد أسبابهما غالبا وينزع سم كل ذى سم حتى تلعب الأولاد بالحيات

والعقارب فلا تضرهم ويرعى الذئب مع الشاة فلا يضرها ويملأ الأرض سلما وينعدم القتال وتنبت الأرض نبتها كعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم وكذا الرمانة وترخص الخيل لعدم القتال ويغلو الثور لأن الأرض تحرث كلها ويكون مقررا الشريعه النبوية لارسول إلى هذه الأمة ويكون قد علم بأمر الله فى السماء قبل أن ينزل وهو نبي ومع ذلك فهو من أمة محمد صلى الله علية وسلم وصحابى لأنه اجتمع به صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء وحينئذ فهو أفضل الصحابة وقد ألغز التاج السبكى فى ذلك حيث يقول

من باتفاق جميع الخلق أفضل من   خير الصحاب أبى بكر ومن عمر
ومن على ومن عثمان وهو فتى   من أمة المصطفى المختار من مضر

تنساب قريش ملكها قال ابن حجر الفقيه فى القول المختصر وسبقه اليه السخاوى فى القنزعة معناه لايبقى لقريش اختصاص بشىء دون مراجعته فلا يعارض ذلك خبر لايزال هذا الأمر فى قريش مابقى من الناس اثنان انتهى قلت ويدل لما قاله حديث جابر عند مسلم فيقول أميرهم أى لعيسى تعال صل لنا فيقول لا ان بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة وعلى هذا فلا منافاة أن يكون المهدى هو الأمير حتى فى زمن عيسى ويكون مراجعته فى الأمور لعيسى عليهما السلام وهذا وجه آخر فى الجمع بين اختلاف الروايات فى مدة ملك المهدى بأن التسع ونحوه محمول على مابعد نزول عيسى والأربعين ونحوه باعتبار أن جميع المدة حتى فى زمن عيسى وقد مرت الاشارة إلى ذلك والله أعلم فان قيل كيف يصح معنى حديث لايزال هذا الأمر فى قريش مابقى من الناس اثنان مع انا نشاهدان قريشا لم تملك منذ قرون قلنا معنى هذا الحديث استحقاق الخلافة لقريش وان ظلمها ظالم ولاشك أن عيسى عليه السلام يظهر كمال العدل فلا يجوز أن يأخذ حقهم وبالله التوفيق

(المقام الثانى) فى وقت نزوله ومحله وما يجرى على يديه من الملاحم وقد سبق اختلاف الروايات فى محل نزوله والجمع بين الروايات وفى وقته ونشير إلى حاصل الجمع هنا إجمالا وهو أنه ينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق أى وهى موجودة اليوم واضعا كفيه على أجنحة ملكين لست ساعات مضين من النهار حتى يأتى مسجد دمشق يقعد على المنبر فيدخل المسلمون المسجد وكذا النصارى واليهود وكلهم يرجونه حتى لو ألقيت شيئا لم يصب إلا رأس إنسان من كثرتهم ويأتى مؤذن المسلمين وصاحب بوق اليهود وناقوس النصارى فيقترعون فلا يخرج إلا سهم المسلمين وحينئذ

يؤذن مؤذنهم وتخرج اليهود والنصارى من المسجد ويصلى بالمسلمين صلاة العصر ومن اجمع بين نزوله لست ساعات وكونه يصلى العصر فراجعه ثم يخرج عيسى عليه السلام بمن معه من أهل دمشق فى طلب الدجال ويمشى وعليه السكينة والأرض تقبض له وماأدرك نفسه من كافر قتله ويدرك نفسه حيث أدرك بصره حتى يدركهم بصره فى حصونهم وقرياتهم إلى أن يأتى بيت المقدس فيجده مغلقا قد حصره الدجال فيصادف ذلك صلاة الصبح كما مر ومر قتله للدجال اللعين وسيأتى هلاك يأجوج ومأجوج بدعائه فهذا المقام الثانى لانحتاج إلى ذكره

(المقام الثالث) فى مدته ووفاته أما مدته فقد ورد فى حديث عند الطبرانى وابن عساكر عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل عيسى بن مريم فيمكث فى الناس أربعين سنة وفى لفظ للطبرانى يخرج الدجال فينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله ثم يمكث فى الأرض أربعين سنة إماما عادلا وحكما مقسطا وعند ابن أبى شيبة وأحمد وأبى داود وابن جرير وابن حبان عنه أنه يمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه عند نبينا صلى الله عليه وسلم وأخرج ابن أبى شيبة والحاكم فى المستدرك عن ابن مسعود وينزل عيسى فيقتله أى الدجال لعنه الله فيتمتعون أربعين سنة لا يموت أحد ويقول الرجل لغنمه ولدوابه اذهبوا فارعوا وتمر الماشية بين الزرع لاتأكل منه سنبلة والحيات والعقارب لاتؤذى أحداً والسبع على أبواب الدور لا يؤذى أحداً ويأخذ الرجل المد من القمح فيبذره بلا حرث فيجىء منه سبعمائة مد فيمكثون فى ذلك حتى يكسر سد يأجوج ومأجوج الحديث وأخرج أحمد وأبو يعلى وابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث عيسى فى الأرض أربعين سنة إماما عادلا وحكما مقسطا وأخرج أحمد فى الزهد عن أبى هريرة قال يلبث عيسى ابن مريم فى الأرض أربعين سنة لو يقول للبطحاء سيلى عسلا لسالت وفى رواية خمسة وأربعين سنة والقليل لاينافى الكثير ولعل روايات الأربعين وردت بالقاء الكسر وفى رواية سبع سنين وجمع بعضهم بأنه كان حين رفع ابن ثلاث وثلاثين وينزل سبعا فهذه أربعون وقد علمت أن القليل لاينافى الكثير فلا حاجة الى هذا الجمع وعند أحمد وابن جرير وابن عساكر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عيسى بن مريم فيقتـــل الخنزير ويمحى الصليب وتجمع له

الصلاة ويعطى المال حتى لا يقبل ويضع الخراج وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما وفى رواية مسلم وابن أبى شيبة عنه ليهلن عيسى ابن مريم بفج الروحاء بالحج أو العمرة أو ليثنينهما جميعا الفج الطريق والروحاء مكان بين المدينة ووادى الصفراء فى طريق مكة وأخرج الحاكم وصححه وابن عساكر عنه ليهبطن ابن مريم حكما عدلا وإماما مقسطا وليسلكن حاجا أو معتمرا أو ليأتين قبرى حتى يسلم على ولأردن عليه قال أبو هريرة أى بنى أخى ان رأيتموه فقولوا أبو هريرة يقرئك السلام وأخرج الحاكم عن أنس قال قال صلى الله عليه وسلم من أدرك منكم عيسى بن مريم فليقرئه منى السلام وورد أنه يتزوج بعد ماينزل ويولد له ثم يموت بالمدينة ولعل موته عند حجه وزيارته النبى صلى الله عليه وسلم وإلا فهو انما يكون ببيت المقدس وأخرج الترمذى وحسنه وابن عساكر عن عبد الله بن سلام قال مكتوب فى التوراة صفة محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى بن مريم يدفن معه وأخرج البخارى فى تاريخه والطبرانى وابن عساكر عنه قال يدفن عيسى بن مريم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فيكون قبره رابعا وذكر البقاعى فى سر الروح ان ابن المراغى قال فى تاريخ المدينة وفى المنتظم لابن الجوزى عن عبد الله بن عمر مرفوعا ينزل عيسى ابن مريم الى الأرض فيتزوج ويولد له فيمكث خمسا وأربعين سنة ثم يموت فيه فيدفن معى فى قبرى فأقوم أنا وعيسى بن مريم من قبر واحد بين أبى بكر وعمر وعزاه القرطبى فى آخر تذكرته الى أبى حفص الميانشى اه

(تذنيب) وقع لبعض جهلة عوام الحنفية أنه ادعى أن كلا من عيسى والمهدى يقلدان مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه وذكره بعض مشايخ الطريقة ببلاد الهند فى تصنيف له بالفارسية شاع فى تلك الديار وكان بعض من يتوسم بالعلم من الحنفية ويتصدر للتدريس يشهر هذا القول ويفتخر به ويقرره فى مجلس درسه بالروضة النبوية فذكر لى ذلك فأنكرته فلما بلغه انكارى نسبنى الى التنقيص فى حق الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه وحاشاه من ذلك ولو سمعه الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه لأفتى بتعذير أو تكفير قائله ثم بعد مدة وقفت للشيخ على القارى الهروى نزيل مكة المشرفة رحمه الله على تأليف سماه المشروب الوردى فى مذهب المهدى نقل فيه هذا القول ورد عليه ردا شنيعا وجهله فأرسلت بالكتاب لمجلس درسه فقرىء عليه وافتضح بين تلامذته فلننقل كلام الشيخ على هنا مختصرا فإنه أعون على قبول عوام الحنفية فإنهم جامدون على نقول أهل مذهبهم وان لم يتعلق بالفقه قال رحمه الله ولقد عارضنى

فى هذه القضية يغنى مسئلة التقليد المذكورة من هو عار من الفضيلة بالكلية وأبرز نقلا مما كتب فى قفا الدفاتر يقطع ببطلانه حتى ذو العقل القاصر ومع هذا فهو منقول من كتاب مجهول وقد صرح الإمام ابن الهمام بعدم جواز النقل من غير الكتب المتداولة سواء العلوم الأصلية والفرعية ثم ان ركاكة ألفاظه ومعانيه تدل على بطلان معانيه وها أنا أذكره بلفظه لتحيط به علما حيث قال ولم يخش ما عليه من الوبال وغضب الملك المتعال اعلم أن الله قد خص أبا حنيفة بالشريعة والكرامة ومن كراماته ان الخضر عليه السلام كان يجيء إليه كل يوم وقت الصبح ويتعلم منه أحكام الشريعة إلى خمس سنين فلما توفى أبو حنيفة ناجى الخضر ربه قال إلهى إن كان لى عندك منزلة فأذن لأبى حنيفة حتى يعلمنى من القبر على حسب عادته حتى أعلم شرع محمد ﷺ على الكمال لتحصل لى الطريقة والحقيقة فنودى أن أذهب إلى قبره وتعلم منه ماشئت لجاء الخضر وتعلم منه ماشاء كذلك إلى خمس وعشرين سنة أخرى حتى أتم الدلائل والأقاويل ثم ناجى الخضر ربه وقال إلهى ماذا اصنع فنودى أن اذهب إلى صعانك واشتغل بالعبادة إلى أن يأتيك أمرى إلى أن قال له اذهب إلى البقعة الفلانية وعلم فلانا علم الشريعة ففعل الخضر عليه السلام ما أمر ثم بعد مدة ظهر فى مدينة ماوراء النهر شاب وكان اسمه أبا القاسم القشيرى وكان يخدم أمه يحترمها ثم أنه قال وقتا من الأوقات لأمه ياأماه قد حصل لى الحرص على طلب العلم وقد قال على كرم الله وجهه من كان فى طلب العلم كانت الجنه فى طلبه فأذنى لى حتى أذهب إلى بخارا وأتعلم العلم فتفكرت والدته وقالت إن لم أعطه الأذن اكون مانعة للخير وأن أذنت له لم أصبر على فراقه فلم يكن لها بد حتى أذنت له فودع القشيرى أمه وعزم على السفر مع شاب صاحب له يطلبان العلم فقعدت أمه على الباب باكية حزينة وقالت إلهى اشهد أنى حرمت على نفسى الطعام والمنزل ولا أقوم من مقامى حتى أرى ولدى فمضى القشيرى وصاحبه حتى نزلا فى منزل ليأكلا فيه طعاما فقام القشيرى ليقضى حاجته فتلوثت ثيابه ببوله وقال لصاحبه أذهب أنت فانى أريد أن أرجع إلى المنزل وأخاف أن تصيب النجاسة جسمى فى المنزل الثانى ويصيب روحى فى الثالث فقعودى عند الدنى أولى ورجع إلى أمه وكانت قاعدة على مكانها التى ودعت ابنها فيه فقامت وتصالحت مع ولدها وقالت الحمد لله فأمر الله تعالى الخضر أن أذهب إلى القشيرى وعلمه ماتعلمت من أبى حنيفة رضى الله عنه لأنه أرضى أمه لجاء الخضر إلى أبى القاسم وقال أنت أردت السفر

لأجل طلب العلم وقد تركته لرضا أمك وقد أمرنى الله تعالى أن أجىء إليك كل يوم على الدوام وأعلمك فكل يوم يجىء إليه الخضر حتى ثلاث سنين وعلمه العلوم الذى تعلم من أبى حنيفة فى ثلاثين سنة حتى علمه علم الحقائق والدقائق ودلائل العلم وصار مشهور دهره وفريد عصره حتى صنف ألف كتاب وصار كرامة وكثر مريدوه وتلاميذه فكان له مريد كبير متدين لا يفارق الشيخ فعد له الشيخ ألف كتاب من مصنفاته ووضعه فى الصندوق وأعطى لذلك المريد وقال قد بدا لى أمر فاذهب وارم هذا الصندوق فى جيحون فحمل المريد الصندوق وخرج من عند الشيخ وقال فى نفسه كيف أرى مصنفات الشيخ فى الماء لكن أذهب واحفظ الكتب وأقول للشيخ رميتها وحفظ الكتب وجاء وقال للشيخ رميت الصندوق فى الماء قال الشيخ وما رأيت فى تلك الساعة من العلامات قال ما رأيت شيئا قال الشيخ اذهب وارم الصندوق فذهب المريد إلى الصندوق وأراد أن يرميه فلم يهن عليه ورجع إلى الشيخ مثل الأول وقال رميته قال نعم قال وما رأيت قال لم أر شيئا قال الشيخ مارميته فاذهب وارمه فان لى فيها سرا مع الله ولا ترد أمرى فذهب المريد ورمى الصندوق فخرج من الماء يد وأخذ الصندوق قال المريد له من أنت فنادى فى الماء إنى وكلت أن أحفظ أمانة الشيخ فرجع المريد وجاء إلى الشيخ فقال رميت قال نعم قال وما رأيت قال رأيت الماء قد انشق وخرج منه يد وأخذ الصندوق وقد صرت متحيرا وما السر فى ذلك قال الشيخ السر فى ذلك أنه إذا قربت القيامة وخرج الدجال ونزل عيسى ببيت المقدس فيضع الانجيل بجنبه ويقول أين الكتاب المحمدى وقد أمرنى الله أن أحكم بينكم بكتابه ولا أحكم بالإنجيل فيطالبون الدنيا ويطوفون بالبلاد فلم يوجد كتاب من كتب الشرع المحمدى فيتحير عيسى ويقول إلهى بماذا أحكم بين عبادك ولم يوجد غير الأنجيل فينزل جبريل ويقول قد أمر الله تذهب إلى نهر جيحون وتصلى ركعتين بجنبه وتنادى ياأمير صندوق أبى القاسم القشيرى سلم إلى الصندوق وأنا عيسى بن مريم وقد قتلت الدجال فيذهب عيسى إلى جيحون ويصلى ركعتين ويقول مثل ما أمره جبريل فينشق الماء ويخرج الصندوق ويأخذه ويفتح ويجد فيه ختمه وألف كتاب فيحيى الشرع بذلك الكتاب ثم سأل عيسى جبريل بم نال أبو القاسم هذه المرتبة فقال برضاء والدته نقل من كتاب أنيس الجلساء اه قال الشيخ على ولا يخفى أن هذا مع ركاكته ولحنه كلام بعض الملحدين الساعين فى إفساد الدين إذ حاصله أن الخضر الذى قال تعالى فى حقه عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما وقد تعلم منه موسى

عليه السلام من جملة تلاميذ أبى حنيفة ثم عيسى وهو من أولى العزم يأخذ أحكام الاسلام من تلميذ تلميذ أبى حنيفة وما أسرع فهم التلميذ حيث أخذ عن الخضر فى ثلاث سنين ما تعلمه الخضر من أبى حنيفة حيا وميتا فى ثلاثين سنة وأعجب منه أن أبا القاسم القشيرى ليس معدودا فى طبقات الحنفية ثم العجب من الخضر أنه أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يتعلم منه الاسلام ولا من علماء الصحابة الكرام كعلى باب مدينة العلم وأقضى الصحابة وزيد أفرضهم وأبى أقرئهم ومعاذ بن جبل أعلمهم بالحلال والحـــرام ولا من عظماء التابعين كالفقهاء السبعة وسعيد بن المسيب بالمدينة وعطاء بمكة والحسن بالبصرة ومكحول بالشام وقد رضى بجهله بالشريعة حتى تعلم مسائلها فى أواخر عمر أبى حنيفة قال فهذا مما لا يخفى بطلانه حتى على العقول السخيفة حتى أن علماء المذهب أخذوا هذه المقالة على وجه السخرية وجعلوها دليلا على قلة عقل الطائفة الحنفية حيث لم يعلموا أن أحداً منهم لم يرض بهـــذه القضية بالكلية ثم لو تعرضت لما فى نقوله من الخطأ فى مبانيه ومعانيه الدالة على نقصان معقوله لصار كتابا مستقلا إلا أنى أعرضت عنه صفحا لقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فبطل قول القائل بل وكفر فيما ظهر لا سيما فيما أبرز بالنسبة إلى نبى الله عيسى المجمع على نبوته سابقا ولاحقا فمن قال بسلب نبوته كفر حقا كما صرح به الإمام السيوطى فان النبى لا يذهب عنه وصف النبوة ولا بعد موته وأما حديث لا وحى بعدى باطل لا أصل له نعم ورد لا نبى بعدى ومعناه عند العلماء أنه لا يحدث بعده نبى بشرع ينسخ شرعه وقد صرح الإمام السبكى فى تصنيف له أن عيسى عليه السلام يحكم بشريعة نبينا بالقرآن والسنة وحينئذ يترجح أن أخـــذه للسنة من النبى صلى الله عليه وسلم بطريق المشافهة من غير الوا .طة أو بطريق الوحى والإلهام وقد روى عن أبى هريرة أنه لما أكثر الحديث وأنكر عليه الناس قال لئن نزل عيسى بن مريم قبل أن أموت لأحدثنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصدقنى فقوله فيصدقنى دليل على أن عيسى عليه السلام عالم بجميع سنة النبى صلى الله عليه وسلم من غير احتياج إلى أن يأخذها عن أحد من الأمة حتى أن أبا هريرة الذى سمع من النبى صلى الله عليه وسلم احتاج إلى أن يلجأ اليه ليصدقه فيما رواه ويزكيه فان قلت هل ثبت أن عيسى عليه السلام بعد نزوله يأتيه الوحى فالجواب نعم ثبت فى حديث النواس بن سمعان عند مسلم وغيره فان فيه فيقتل عيسى الدجال عند باب لد الشرقى فبينما هم كذلك إذا وحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم أنى قد أخرجت عبادا من عبادى لا يدان لك

بقتالهم لحرز عبادى إلى الطور الحديث ثم الظاهر أن الجائى اليه بالوحى هو جبريل بل هو الذى نقطع به ولا نتردد فيه لأن ذلك وظيفته وهو السفير بين الله وبين أنبيائه لا يعرف ذلك لغيره من الملائكة وقد أخرج أبو حاتم فى تفسيره أنه وكل جبريل بالكتب والوحى الى الأنبياء وأما ما اشتهر على ألسنة العامة أن جبريل لا ينزل الى الأرض بعد موت النبى ﷺ فلا أصل له وقد ورد فى غير ما حديث نزوله الى الأرض كحضور موت من يموت على طهارة ونزوله ليلة القدر ومنعه الدجال من دخول مكة والمدينة الى غير ذلك ثم وقفت على سؤال رفع إلى شيخ الاسلام ابن حجر العسقلانى هل ينزل عيسى عليه السلام فى آخر الزمان حافظا للقرآن العظيم ولسنة نبينا الكريم أو يتلقى الكتاب والسنة عن علماء ذلك الزمان فأجاب لم ينقل فى ذلك شىء صريح والذى يليق بمقام عيسى عليه السلام أنه يتلقى ذلك عن رسول الله ﷺ فيحكم فى أمته كما تلقاه عنه لأنه فى الحقيقة خليفة عنه اه ما أردنا نقله من كلام العلامة الشيخ على القارى الحنفى عامله الله باللطف الخفى وهو فى غاية النفاسة ثم رد أيضا قول القائل أن المهدى يقلد الإمام أبا حنيفة رحمه الله بالأدلة الشافية لكنه قرر أنه مجتهد مطلق وهو يخالف ما مر عن الشيخ محيى الدين فى الفتوحات أن المهدى لا يعلم القياس ليحكم به وانما يعلمه ليجتنبه فما يحكم المهدى الا بما يلقى اليه الملك من عند الله الذى بعثه الله اليه يسدده وذلك هو الشرع الحنيفى المحمدى الذى لو كان محمد صلى الله عليه وسلم حيا ورفعت اليه تلك النازلة لم تحكم فيها ان تحكم المهدى فيعلم أن ذلك هو الشرع المحمدى فيحرم عليه القياس مع وجود النصوص التى منحه الله اياها ولذا قال صلى الله عليه وسلم فى صفته يقفو أثرى لا يخطىء فعرفنا أنه متبع لا مشرع انتهى كلام الفتوحات فعلى هـذا المهدى ليس بمجتهد لأن المجتهد يحكم بالقياس وهو يحرم عليه الحكم بالقياس ولأن المجتهد قد يخطىء وهو لا يخطىء قط فانه معصوم فى أحكامه لشهادة النبى صلى الله عليه وسلم له وهذا مبنى على عدم جواز الاجتهاد فى حق الأنبياء وهو التحقيق وبالله التوفيق ثم نقول أن كلام القائل المذكور باطل من وجوه كثيرة منها ما أشار اليه الشيخ على القارى ومنها أن أبا القاسم القشيرى من الفقهاء الشافعية ومشايخه فى الفقه والكلام والتصوف معلومة كما تنطق به رسالته المتداولة فى أيدى المسلمين شرقا وغربا ومنها أنه لا يعرف له من التأليف غير كتاب الرسالة والتفسير وكتب أخر معدودة لا تبلغ ألف ورقة فضلا عن ألف كتاب ومنها أن فى زمن المهدى النازل عيسى فى

زمانه الفقهاء فى سائر المذاهب باقية وانهم أكبر أعداء المهدى لذهاب جاههم وعلمهم والقرآن باق إذ ذاك لم يرفع بعد ومنها انه كيف يجوز أن يتحير عيسى ويعطل أحكام المسلمين إلى أن يذهب إلى نهر جيجون ويخرج الكتب وكم من حدود وخصومات ووقائع تقع فى تلك المدة ومنها أن جبريل إذا نزل عليه وامره بأن يذهب إلى جيحون فنزوله عليه بالوحى ما المانع منه فليعلمه شرع النبى صلى الله عليه وسلم ولا يحوجه إلى كتب أبى القاسم ومنها ان الخضر المعلم لابى القاسم حى عند نزول عيسى فانه الذى يقتله الدجال ثم يحييه فلم لا يعلم عيسى كما علم أبا القاسم حتى يكون بين عيسى وبين الإمام أبى حنيفه واسطة واحدة ومنها ان المسلمين فى الصلاة حين نزول عيسى وان المؤذن يؤذن وانه يقول للمهدى تقدم فانها لك أقيمت فان لم يكن القرآن باقيا والمذاهب باقية كيف يصلون وكيف تصح صلاتهم وقد قال صلى الله عليه وسلم فى حقهم انهم ملحقون بالقرون الثلاثة التي هى خير القرون ومنها أن الخضر الذى يخاطب ربه ويناجيه ويحييه ربه ويناديه لم لا يسأل ربه أن يعلمه الإسلام من غير واسطة أحد حتى يتعلم من قبر حنيفة رضى الله عنه ومنها ان الخضر إما أن يكون مأمورا بتعلم شرع النبى صلى الله عليه وسلم أولا فان كان مأمورا به فتركه التعلم إلى زمن أبى حنيفة رضى الله عنه بل إلى بعد موته وهو انما مات فى سنة مائة وخمسين ترك للواجب وكيف يجوز للمعصوم أن يترك الواجب مائة وخمسين سنة اذ الأصح أنه نبى وان لم يكن مأمورا بذلك وانما هو زيادة تحصيل للكمال فلم لم يأخذه من النبى صلى الله عليه وسلم غضا طريا وان لم يعلم انه كما الا بعد موت أبى حنيفة رضى الله عنه فقد جوز الجهل بالكمال على الأنبياء ومنها ان عيسى عليه السلام معصوم مطلقا والمهدى معصوم فى الأحكام والامام أبو حنيفة مجتهد والمجتهد قد يصيب وقد يخطىء ولذا خالفه صاحباه فى أكثر من ثلث قوله فكيف يقلد من لا يخطىء قط من يخطىء ويصيب ومنها ان جميع فقه أبى حنيفة يمكن أن تجمع أصوله وفروعه فى كتاب واحد أو فى كتابين فما الذى فى الف كتاب أن كان معرفة الله أو الحقائق أو السلوك أو غير ذلك يلزم أن يكون عيسى ما كان عرف الله قبل ذلك واعتقاد ذلك كفر وان كان غير ذلك فليبين مافيها ومنها ان من مذهب الامام أبى حنيفة رضى الله عنه أن يقبل الجزية من الكفار ويخرج الزكاة ويبقى الصليب والخنزير فى يدهم وأن لا يجمع بين الصلاتين وعيسى عليه السلام لايقبل الجزية ولا يخرج الزكاة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير وتجمع له الصلاة الى غير ذلك فان كانت هذه الأحكام فى كتب أبى القاسم القشيرى فقد خالف أباحنيفة فيلزم أن يكون

مجتهد مطلقا وحينئذ فيكون الفضل له لا لأبى حنيفة وان لم يكن فى كتبه يلزم أن يكون عيسى لم يعمل بما فى مذهب أبى حنيفة ومنها مفاسد كثيرة لاتنحصر ولا تسعها هذه الأوراق تظهر لمن تتبع الأحاديث المارة فى هذا الكتاب ثم ان مثل هؤلاء لفرط تعصبهم وعنادهم ليس مطمح نظرهم الاتفضيل أبى حنيفة ولو بما لا أصل له ولو بما يؤدى إلى الكفر وليس عندهم علم بفضائله الجمة التى ألفت فيها الكتب فيرضون بالاكاذيب والافتراآت التى لا يرضاها الله ورسوله ولا أبو حنيفة نفسه ولو سمعها أبو حنيفة رضى الله عنه لافتى بكفر قائلها وفى فضائل أبى حنيفة المقررة المحررة كفاية لمحبيه ولا يحتاج فى اثبات فضله إلى الأقوال الكاذبة المفتراة المؤدية إلى تنقيص الأنبياء ومن العجائب انه وقع للقهستانى مع فضله وجلالته شىء من ذلك فقال فى شرح خطبة النقاية أن عيسى إذا نزل عمل بمذهب أبى حنيفة كما ذكره فى الفصول الستة وليت شعرى ما الفصول الستة وما الدليل على هذا القول فإنا لله وإنا إليه راجعون فعليك باتباع السنة الغراء فانها حرز وحصن من الاهواء والآراء وجنة من سهام الشيطان المريد لعنه الله. وإياك والاغترار بأمثال هذه الترهات الباطلة ودع التعصب فانه باب عظيم من أبواب الشيطان الرجيم اللهم إنا نعوذ بك من شر الشيطان ونفثه ونفخه ونسألك التوفيق لما تحب وترضى والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد الأمين وعلى آله الطيبين وأصحابه أجمعين آمين ومن الاشراط العظيمة القريبة خروج يأجوج ومأجوج وهى من الفتن العظام وقد أشير إليهم فى غير آية فقال تعالى (قالوا ياذا القرنين أن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض) وقال تعالى فى سورة (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) وقال صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى يكون عشر آيات طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى بن مريم وثلاث خسوفات ونار تخرج من قعر عدن أبين الحديث رواه ابن ماجه عن حذيفة بن أسيد والأحاديث الواردة فيهم كثيرة والكلام عليهم فى مقامات فى نسبهم وحليتهم وسيرتهم وخروجهم وافسادهم وهلاكهم ﴿ المقام الأول ﴾ فى نسبهم وفى ذلك أقوال أحدها أنهم من بنى آدم من بنى يافث بن نوح وبه جزم وهب وغيره واعتمده كثير من المتاخرين وقيل انهم من الترك قال الضحاك . وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الديلم وعن كعب الاحبار هم من ولد آدم من غير حواء وذلك أن آدم نام فاحتلم فامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله منها يأجوج ومأجوج ورد بان النبى لايحتلم وأجيب بان المنفى ان يرى فى منامه أنه يجامع فيحتمل أن يكون دفقة الماء

فقط وهو جائز كما يجوز أن يبول قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى والأول هو المعتمد والا فأين كانوا حين الطوفان وقال النووى فى الفتاوى يأجوج ومأجوج من أولاد آدم من غير حواء عند جماهير العلماء فيكونون اخوتنا لاب قال الحافظ ولم يرد هذا عن أحد من السلف الا عن كعب الاحبار قال ويرده الحديث المرفوع انهم من ذرية نوح ونوح من ذرية حواء قطعا وعن أبى هريرة رفعه ولد لنوح سام وحام ويافث فولد لسام العرب وفارس والروم وولد لحام القبط والبربر والسودان وولد ليافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة قال الحافظ وفى سنده ضعف (المقام الثانى) فى حليتهم وسيرتهم أما حليتهم فأخرج ابن أبى حاتم من طريق شريح ابن عبيد عن كعب قال هم ثلاثة أصناف صنف أجسادهم كالارز وهو بفتح الهمزة وسكون الراء ثم زاى معجمة وهو شجر كبير جدا قال فى النهاية هو شجر الارز وهو خشب معروف وقيل شجر الصنوبر وصنف منهم اربعة أذرع فى أربعة أذرع وصنف يفترشون إحدى آذانهم ويلتحفون الأخرى ووقع فى حديث حذيفة نحوه وأخرج هو والحاكم من طريق أبى الحوراء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال يأجوج ومأجوج شبرا شبرا وشبرين شبرين واطولهم ثلاثة أشبار وأخرج عن قتادة قال يأجوج ومأجوج ثنتان وعشرون وكانت منهم قبيلة غائبة فى الغزو وهم الاتراك فبقوا دون السد وأخرج ابن مردويه من طريق السدى قال الترك سرية من سرايا يأجوج ومأجوج تغيبت فجاء ذو القرنين فبنى السد فبقوا خارجا وأخرج أحمد والطبرانى عن خالد بن عبد الله بن حرملة عن خالته مرفوعا انكم تقولون لاعدو وانكم لاتزالون تقاتلون عدوا حتى تقاتلوا يأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون صهب من كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة قلت وهذا يؤذن ان الترك قبيلة منهم والصهبة بين الحمرة والسواد ورجل أصهب وامرأة صهباء (وأما سيرتهم) أخرج ابن حبان فى صحيحه عن ابن مسعود رفعه قال أن يأجوج ومأجوج قل ما يترك أحدهم من صلبه ألفا من الذرية وللنسائى من رواية عمرو بن أوس عن أبيه رفعه أن يأجوج ومأجوج يجامعون ما شاؤا ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه ان يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون ما شاؤا وشجر يلقحون ما شاؤا الحديث وأخرج الحاكم وابن مردويه من طريق عبدالله بن عمر ان يأجوج ومأجوج من ذرية آدم ووراءهم ثلاث أمم ولن يموت منهم رجل إلا ترك

من ذريته ألفا فصاعدا وأخرج الطبرانى وابن مردويه والبيهقى وعبد بن حميد عن ابن عمر بنحوه وزاد فسمى الامم الثلاث تأويل وتأويس ومنسك وأخرج عبد بن حميد بسند صحيح عن عبدالله بن سلام مثله وأخرج ابن أبى حاتم من طريق عبدالله بن عمرو قال الجن والانس عشرة أجزاء فتسعة أجزاء ياجوج وماجوج وجزء سائر الناس وقد جاء فى خبر مرفوع ان ياجوج وماجوج يحفرون السد كل يوم وهو فيما أخرجه الترمذى وحسنه وابن حبان والحاكم وصححاه عن أبى هريرة رفعه فى السد يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذى عليهم ارجعوا فتخرقونه غدا فيعيده الله كأشد ماكان حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس قال الذى عليهم ارجعوا فستخرقونه غدا انشاء الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيجدونه كهيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس الحديث قال الحافظ ابن حجر أخرجه الترمذى وابن ماجه والحاكم وعبد بن حميد وابن حبان كلهم عن قتادة ورجال بعضهم رجال الصحيح قال ابن العربى فى هذا الحديث ثلاث آيات الاولى ان الله منعهم أن يتولوا الحفر ليلا ونهارا الثانية منعهم أن يحاولوا الرقى على السد بالسلم أو الآلة فلم يلهمهم ذلك ولا علمهم اياه أى مع انه ورد فى خبرهم عند وهب ان لهم أشجاراً وزروعا وغير ذلك من الآلات الثالثة انه صدهم أن يقولوا انشاء الله تعالى حتى يجىء الوقت المحدود قال الحافظ وفيه ان فيهم أهل صناعات وأهل ولايه وسلاطة (لعل الصواب وسلطة تامل) ورعية تطيع من فوقها وان فيهم من يعرف الله ويقدر بقدرته ومشيئته ويحتمل أن يكون تلك الكلمة تجرى على لسان ذلك الوالى من غير أن يعرف معناها فيحصل المقصود ببركتها ثم روى لكل من الاحتمالين حديثا فقال وعند عبد بن حميد من طريق كعب الاحبار نحو حديث أبى هريرة وقال فيه فاذا جاء الأمر ألقى على بعض ألسنتهم فاتى غدا انشاء الله تعالى فنفرغ منه وعند ابن مردويه من حديث حذيفة نحو حديث أبى هريرة وفيه فيصبحون وهو أقوى منه بالامس حتى يسلم رجل منهم حين يريد الله ان يبلغ أمره فيقول المؤمن غدا نفتحه انشاء الله تعالى فيصبحون ثم يعدون عليه فيفتح الحديث وسنده ضعيف انتهى كلام الحافظ وحاصله يحتمل أن يلقى انشاء الله تعالى على لسان أحدهم وهو أقوى ويحتمل ان يسلم واحد منهم كما يدل على كل رواية ولا يرد الاول ماوراه نعيم بن حماد فى الفتن عن ابن عباس مرفوعا قال بعثنى الله حين أسرى بى الى ياجوج وماجوج فدعوتهم الى دين الله وعبادته فابوا أن يجيبونى فهم فى النار مع من عصى من ولد آدم وولد إبليس كما هو واضح

(المقام الثالث) فى خروجهم وافسادهم وهلاكهم فقد ورد فى حالهم عند خروجهم ما أخرجه مسلم من حديث النواس بن سمعان بعد ذكر الدجال وهلاكه على يد عيسى عليه السلام وغيره قال ثم يأتيه يعنى عيسى قوم قد عصمهم الله من الدجال فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة فبينما هم كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أن قد أخرجت عباداً لى لايدان لأحد بقتالهم فحرز عبادى إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم فى حصونهم ويضمون اليهم مواشيهم ويشربون مياه الأرض حتى أن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركونه يبساً حتى أن من يمر من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول قدكان ههنا ماء مرة حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أخذ فى حصن أو مدينة ويمرون ببحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر آخرهم فيقولون لقدكان بهذه مرة ماء ويحصر عيسى نبى الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور ورأس الحمار لأحدهم خيراً من مائة دينار وفى رواية لمسلم وغيره فيقولون لقد قتلنا من فى الأرض هلم فلنقتل من فى السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيردها الله عليهم مخضوبة دما وفى رواية ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمى إلى السماء فترجع اليه مخضبة دما للبلاء والفتنة فيرغب نبى الله وأصحابه إلى الله فيرسل عليهم النغف فى رقابهم وفى رواية دودا كالنغف فى أعناقهم وهو بفتح النون والغين المعجمة دود يكون فى أنوف الإبل والغنم فيصبحون موتى كموت نفس واحدة لايسمع لهم حس فيقول المسلمون ألا رجل يشرى لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو فيتجرد رجل منهم محتسبا نفسه قد وطنها على أنه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادى يامعشر المسلمين ألا أبشروا إن الله عز وجل قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لها مرعى إلا لحومهم فتشكر عنه بفتح الكاف أى تسمن بأحسن ما شكرت عن شىء وحتى ان دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم ويهبط نبى الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملأ زهمهم أى شحمهم ونتنهم أى ريحهم من الجيف فيؤذون الناس بنتهم أشد من حياتهم فيستغيثون بالله فيبعث ريحا يمانية غبراء فتصير على الناس غما ودخانا وتقع عليهم الزكمة ويكشف مابهم بعد ثلاث وقد قذفت جيفهم فى البحر وفى رواية فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله تعالى وفى رواية فى النار ولا منافاة فان البحر يسجر فيصير ناراً يوم القيامة ثم يرسل الله مطراً

لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة أى المرآة بحيث يرى الإنسان فيها وجهه من صفائها ثم يقال للأرض انبتى ثمرتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويوقد المسلمون من قسى يأجوج ومأجوج ونشابهم واترستهم سبع سنين

﴿ فائدة ﴾ اختلفوا فى اشتقاق يأجوج ومأجوج فقيل من أجج النار وهو التهابها وقيل من الأجة بالتشديد وهى الاختلاط أو شدة الحر وقيل من الاج وهو سرعة العدو وقيل من الاجاجة وهو الماء الشديد الملوحة وعلى التقادير كلها وزنهما يفعول ومفعول وهو ظاهر قراءة عاصم فانه وحده قرأه بالهمزة وكذا قراءة الباقين ان كانت الالف مسهلة من الهمزة وقيل فاعول من يج وج وقيل مأجوج من ماج اذا اضطرب ووزنه أيضا مفعول قاله أبو حاتم قال والأصل موجوج وجميع ماذكر من الاشتقاق مناسب لحالهم ويؤيد الاشتقاق وقول ن جعله من ماج قوله تعالى وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض وذلك حين يخرجون من السد

﴿ خاتمة ﴾ اشتملت قصة عيسى عليه السلام على جملة من الاشراط فلنشر اليها منها قتال اليهود أخرج مسلم عن أبى هريرة لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر ياعبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله إلا الغرقد فانه من شجر اليهود ومنها قتال يأجوج ومأجوج أخرج أحمد والطبرانى عن خالة خالد بن عبد الله بن حرملة انكم لا تزالون تقاتلون عدوا حتى تقاتلوا يأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون صهب الشعور من كل حدب ينسلون ومنها مطر لا يكن منه بيت مدر ولا وبر أخرج أحمد عن أبى هريرة لا تقوم الساعة حتى يمطر الناس مطرا لا تكن منه بيوت المدر ولا بيوت الوبر ومنها انقطاع الجهاد ورجوع الناس حراثين أخرج الطبرانى عن أبى امامة لا تقوم الساعة حتى ترجعوا حراثين ومنها نزول الخلافة فى الأرض المقدسة أخرج أحمد وأبو داود والحاكم عن ابن حوالة إذا رأيت الخلافة نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام والساعة يومئذ أقرب من الناس من من يدى هذه من رأسك وكان وضع يده على رأسه وهذا ان أريد مطلق الخلافة فقد وقع فى زمن بنى أمية فيكون من القسم الأول وقد ذكرنا هناك بعض الأمور العظام وإن أريد الخلافة الكاملة فسيكون فى زمن المهدى وعيسى والأمور العظام

هى الدابة والشمس والنار والريح إلى غير ذلك ويدل للثانى آخر الحديث الساعة يومئذ أقرب إلى آخره ومنها كثرة المال أخرج الشيخان عن أبى هريرة لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا وفى رواية حتى يكثر المال فيكم وقد ذكر هذا فى القسم الأول ولا مانع أن يكون الرواية الثانية إشارة إلى ما وقع فى زمن عثمان وعمر بن عبد العزيز لقرينة قوله فيكم يعنى الصحابة والرواية الأولى لما سيقع فى زمن المهدى وعيسى عليهما السلام ولذ ذكرناه فى القسمين ومنها أن يكون رأس الثور بالأوقية أخرج ابن أبى شيبة عن قيس لاتقوم الساعة حتى يقوم رأس البقرة بالأوقية أى وذلك فى حصار يأجوج ومأجوج لعيسى وأصحابه كما مر ومنها نشوف بحيرة طبريه كما مر أنها يشربها يأجوج وماجوج ومنها رخص الخيل وغلاء الثور أخرج ابن ماجه وابن خزيمة وغيرهما عن أبى أمامة ان من أشراطها أن يكون الفرس بالدريهميات ويكون الثور بكذا وكذا مائة دينار قيل وما يرخص الخيل يا رسول الله قال عدم الجهاد قيل فما يغلى الثورى قال ان الأرض تحرث كلها ومنها نزول البركات ونزع سم كل صاحب سم إلى غير ذلك ومن الاشراط القريبة خراب المدينة قبل يوم القيامة بأربعين سنة وخروج أهلها منها أخرج أبو داود عن معاذ مرفوعا عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية وفتح القسطنطينية خروج الدجال وروى الطبرانى سيبلغ البناء سلعا ثم يأتى عن المدينة زمان يمر السفر على بعض أقطارها فيقول قد كانت هذه مدة عامرة من طول الزمان وعفو الاثر وروى أحمد نحوه بإسناد حسن وروى أيضا برجال ثقات المدينة يتركها أهلها وهى مرطبة قالوا فمن يأكلها قال السباع والعوافى وفى الصحيحين لتتركن المدينة على خير ماكانت مذللة ثمارها لا يغشاها إلى العوافى يريد عوافى الطير والسباع وآخر من يحشر منها راعيان من مزينة الحديث وروى ابن زبالة وتبعه ابن النجار لا تقوم الساعة حتى يغلب على مسجدى هذا الكلاب والذئاب والضباع فيمر الرجل ببابه فيريد أن يصلى فيه فما يقدر عليه وروى ابن شبة بسند صحيح حديث أما والله لتدعنها مذللة أربعين عاما للعوافى أتدرون ما العوافى الطير والسباع ورواه ابن زبالة بنحوه وروى الديلمى فى مسند الفردوس عن عوف بن مالك قال تخرب المدينة قبل يوم القيامة بأربعين سنة وروى عن أبى هريرة لاتقوم الساعة حتى يجىء

الثعلب فيربض على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينهضه أحد وروى ابن شبة حديث ليخرجن أهل المدينة منها ثم يعودون إليها ليخرجن منها ثم لا يعودن إليها أبداً وليدعنها خير ماتكون مونقة وروى أيضا عن عمر نحوه مرفوعا وقدمر في القسم الأول الترك الأول وهذا هو الترك الثاني وسبب خرابها والله أعلم أنهم يخرجون مع للمهدى إلى الجهاد ثم ترجف بمنافقيها وترميهم إلى الدجال ثم يبقى فيها المؤمنون الخلص فيهاجرون إلى بيت المقدس فقد ورد ستكون هجرة بعد هجرة وخيار الناس يومئذ ألزمهم مهاجر إبراهيم الحديث ومن بقي منهم تقبض الريح الطيبة التي يأتي ذكرها أرواحهم فتبقى وخاية وهذا سر خرابها قبل غيرها .

(تنبيه) روى المرجاني في أخبار المدينة عن جابر مرفوعا ليعودن هذا الأمر أي الدين إلى المدينة كما بدأ منها حتى لا يكون إيمان إلا بها الحديث وروى النسائي عن أبي هريرة آخر قرية من قرى الإسلام خرابا المدينة ورواه ابن حبان بلفظ آخر قرية من الإسلام خرابا المدينة وصح ان الدين ليارز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها وهذه الروايات بحسب الظاهر تنافي الروايات السابقة وطريق الجمع بينهما ان الفتن تعم الدنيا كلها كما مر في خروج المهدى ويبقى أهل المدينة مع المهدى فيارز الدين إلى المدينة حينئذ لأنهم المؤمنون الكاملون التابعون للخليفة الحق فإنه إذا كان الإمام الحق موجودا فمن لم يعرفه ولم يبايعه مات ميتة جاهلية فهذا محط ان الدين ليارز إلى المدينة ثم انها تنفي خبثها في زمن الدجال وتخرج منا فقيها ويبقى فيها الإيمان الخالص بخلاف بيت المقدس وغيرها من البلدان فإنه يبقى فيهم أهل الذمة والمنافقون لانهم انما يؤمنون بعد نزول عيسى وهذا محط حديث جابر حتى لا يكون إيمان إلا بها أي إيمان خالص لا يشوبه نفاق ثم أنه تجيء الريح الباردة الآتية فيما بعد فتقبض كل مؤمن ومؤمنة وانها تأتي من الشام أو من اليمن أو من كليهما كما جمع به بين الروايتين ولا شك ان التي تاتي من الشام تبدأ باهل الشام وان التي تاتي من اليمن تبدأ باهل اليمن فلا تنتهيان إلى المدينة إلا بعد هلاك أهل الاقليمين من المؤمنين فيكون آخر من يقبض من المؤمنين أهل المدينة وهذا محط حديث أبي هريرة الذي عند النسائي والترمذي وابن حبان المار ثم انها حينئذ لا يكون بها غير المؤمنين لانها تخلصت في زمن الدجال فبمجرد موتهم تخرب وتبقى بقية الدنيا عامرة بشرار الناس وعليهم تقوم الساعة كما يأتي فيما بعد إن شاء الله تعالى وهذا مما ظهر لي عند كتابتي لهذا المحل ولعله ليس بعيدا عن الصواب ولم أقف في كلام أحد

عليه فإن يكن خطأ فهو منى لا من أحد ونسأل الله السداد وإنما ذكرته هنا وإن كان يصلح أن يذكر بعد طلوع الشمس والدابة أيضا لأن ابتداء خرابها بالخروج عنها كما دلت عليه الأحاديث والخروج يسكون فى زمن عيسى فلهذا ذكرناه هنا والله أعلم

ومنها خروج القحطانى والجهجاه والهيثم والمقعد وغيرهم بعد عيسى والمهدى عليهما السلام أخرج أبو الشيخ عن أبى هريرة مرفوعا ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ويمكث أربعين عاما يعمل فيهم بكتاب الله تعالى وسنتى ويموت فيستخلفون بأمر عيسى رجلا من بنى تميم يقال له المقعد فإذا مات المقعد لم يأت على الناس ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من صدور بعضهم ويبدو النقص فيهم ليوافق ما يأتى من بقاء الدين مدة مديدة بعد عيسى وأخرج الطبرانى عن علياء السلمى قال لا تقوم الساعة حتى يملك الناس رجل من الموالى يقال له جهجاه وروى مسلم عن أبى هريرة قال لاتذهب الأيام والليالى حتى يملك رجل يقال له الجهجاه وأخرج الشيخان عنه لاتقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه وأخرج الطبرانى فى الكبير وابن منده وأبو نعيم وابن عساكر عن قيس بن جابر عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ستكون من بعدى خلفاء ومن بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة ثم يخرج رجل من أهل بيتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ثم يؤمر القحطانى فوالذى بعثنى بالحق ما هو دونه وأخرج نعيم بن حماد عن سليمان بن عيسى قال بلغنى أن المهدى يملك أربع عشرة سنة ببيت المقدس ثم يموت ثم يكون من بعده رجل من قوم تبع يقال له المنصور أى وهو القحطانى يمكث ببيت المقدس إحدى وعشرين سنة ثم يقتل ثم يملك الموالى ويمكث ثلاث سنين ثم يقتل ثم يملك بعده هشيم المهدى ثلاث سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وأخرج نعيم بن حماد عن كعب قال يموت المهدى ثم يلى الناس بعده رجل من أهل بيته فيه خير وشر وشره أكثر من خيره يغضب الناس يدعوهم إلى الفرقة بعد الجماعة بقاؤه قليل يثور به رجل من أهل بيته فيقتله وأخرج أيضا عن الدهرى قال يموت المهدى موتا يصير الناس بعده فى فتنة ويقبل اليهم رجل من بنى مخزوم فيبايع له فيمكث زمانا ثم ينادى مناد من السماء ليس بانس ولا جان بايعوا فلانا ولاترجعوا على أعقابكم بعد الهجرة فينظرون فلا يعرفون الرجل ثم ينادى ثلاثا ثم يبايع المنصور فيسير إلى المخزومى فينصره الله عليه فيقتله ومن معه وأخرج أيضا عن كعب قال يتولى رجل من بنى مخزوم ثم رجل من الموالى ثم يسير الرجل من العرب جسيم طويل عريض ما بين المنكبين فيقتل من لقيه

حتى يدخل بيت المقدس فيموت موتا ثم تكون الدنيا شراً مما كانت ثم يلى بعده رجل من مضر يقتل أهل الصلاح ظلوم غشوم ثم يلى من بعد المضرى اليمانى القحطانى يسير بسيرة المهدى وعلى يديه تفتح مدينة الروم وأخرج أيضا عن الوليد عن معمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما القحطانى بدون المهدى وأخرج أيضا عن عبد الله ابن عمر قال بعد الجبابرة الجابر ثم المهدى ثم المنصور ثم السلام ثم أمير العصب وأخرج أيضا عن ابن عمرو قال ثلاث أمراء يتوالون تفتح الأرض كلها عليهم صالح الجابر ثم المفرج ثم ذو العصب يمكثون أربعين سنة ثم لاخير فى الدنيا بعدهم وأخرج أيضا عن كعب قال يكون بعد المهدى خليفة من أهل اليمن من قحطان أخو المهدى فى دينه يعمل بعمله وهو الذى يفتح مدينة الروم ويصيب غنائمها وأخرج أيضا عن أرطاة قال بلغنى أن المهدى يعيش أربعين عاما ثم يموت على فراشه ثم يخرج رجل من قحطان مثقوب الأذنين على سيرة المهدى بقاؤه عشرين سنة ثم يموت قتيلا بالسلاح ثم يخرج من بيت النبى ﷺ مهدى حسن السيرة يغزو مدينة قيصر وهو آخر أمير من أمة محمد ﷺ ثم يخرج فى زمانه الدجال

﴿ تنبيه ﴾ هذه الأحاديث أكثرها متعارضة وقد قال الفقيه ابن حجر فى القول المختصر الذى يتعين اعتقاده مادلت عليه الأحاديث الصحيحة من وجود المهدى المنتظر الذى يخرج الدجال وعيسى فى زمانه ويصلى عيسى خلفه وأنه المراد حيث أطلق المهدى والمذكورون قبله لم يصح فيهم شىء والذين بعده أمراء صالحون أيضا لكن ليسوا مثله فهو الأخير فى الحقيقة انتهى أقول غاية ما يمكن فى الجمع أن المهدى الكبير هو الذى يفتح الروم ويخرج الدجال فى زمنه ويصلى عيسى خلفه وأن الخلافة تكون له ولقريش من بعده وأن عيسى لايسلب قريشا ملكها رأسا وإنما يكون اليه المشورة وهو الحكم فيهم يعلمهم الدين ومر إشارة إلى ذلك ثم يلى بعد المهدى رجل من أهل بيته فى سيرته ويكون القحطانى مع المهدى فى زمانه ومعنى فتحه لمدينة الروم كما ورد عن كعب أنه يكون أميراً على السرية التى يرسلها المهدى إلى فتح مدينة الروم فيفتحها فى حال تابعيته لا فى حال خلافته ومتبوعيته ثم بعد عيسى يتــولى باستخلافه المقعد وهو أيضا من قريش فاذا مات تولى من قريش من لايحسن سيرته فيخرج عليه المخزومى ولعله الجهجاه ويدعو إلى الفــرقة فيخرج اليه القحطانى بسيرة المهدى وهو الملقب بالمنصور وهو المراد برجل من تبع وبرجل من اليمن ويمكث إحدى وعشرين سنة والذى قال عشرين ألغى الكسر ثم تنتقص الدنيا ويملك

الموالى ويغلب الشر إلى أن تطلع الشمس من المغرب والله أعلم ومن الأشراط العظام هدم الكعبة وسلب حليها واخراج كنزها أخرج الشيخان والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة وأخرج أحمد عن ابن عمرو نحوه وزاد يسلبها حليها ويجردها من كسوتها فلكأنى أنظر اليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته أو معوله وأخرج الازرقى عنه بجيش البحر بمن فيه من السودان ثم يسيلون سيل النمل حتى ينتهوا الى الكعبة فيخربونها والذى نفسى بيده انى لأنظر إلى صفته فى كتاب الله تعالى افيحج أصيلع أفيدع قائما يهدمها بمسحاته وأخرج الحاكم عن الحارث بن سويد قال سمعت عليا رضى الله عنه يقول حجوا قبل أن لا تحجوا فكأنى أنظر الى حبشى أصمع وأفدع بيده معول يهدمها حجرا حجرا فقلت له شيء تقوله برأيك أو سمعته من النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ولكنى سمعته من نبيكم وفى الصحيحين كأنى به أسود أفحج يهدمها حجرا وفى حديث على كرم الله وجهه عند أبى عبيد فى غريب الحديث من طريق أبى العالية قال استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه فكأنى برجل من الحبشة أصلع أوقال أصمع أحمش الساقين قاعد عليها وهى تهدم ورواه الفاكهى من هذا الوجه ولفظه أصعل بدل أصلع وقال قائما عليها يهدمها بمسحاته ورواه يحيى الحمانى فى مسنده من وجه آخر عن على مرفوعا ورواه الازرقى عنه بنحوه

﴿ تنبيه ﴾ السويقتان تصغير الساقين أى دقيق الساقين كما هو غالب فى سوق الحبشة والأصلع من ذهب شعر مقدم رأسه وإلا صيلع تصغيره والافيدع تصغير الافدع وهو من فى يديه اعوجاج والأصعل الصغير الرأس والأصمع الصغير الأذنين وقيل الكبير الأذن والأسود واضح والا فحج المتباعد الفخذين قال فى فتح البارى ووقع فى هذا الحديث عند أحمد من طريق سعيد بن سمعان عن أبى هريرة باتم من هذا السياق ولفظه يبايع لرجل بين الركن والمقام ولن يستحل هذا البيت إلا أهله فإذا استحلوه فلا تسال عنه هلكة العرب ثم يجىء الحبشة فيخربونه خرابا لا يعمر بعده أبدا وهم الذين يستخرجون كنزه ورواه بهذا اللفظ الأزرقى فى تاريخ مكة والحاكم وصححه وفى رواية عن مرفوعا لا يستخرج كنز الكعبة الا ذو السويقتين من الحبشة :

﴿ تنبيه ﴾ آخر قيل هذا مخالف لقوله تعالى أولم يروا انا جعلنا لهم حرما آمنا ولان الله رد عن مكة الفيل ولم يمكن أصحابه من تخريب الكعبة ولم تكن اذ ذاك قبلة

فكيف يسلط عليها الحبشة بعد ان صارت قبلة للمسلمين وأجيب بان ذلك محمول على انه يقع فى آخر الزمان قرب قيام الساعة حيث لايبقى فى الأرض أحد يقول الله الله وفيه انه يخالف مايأتى عن كعب انه يقع فى زمن عيسى والأولى ما أشار إليه فى فتح البارى وهو أن يقال قد أشار صلى الله عليه وسلم إلى الجواب فى الحديث بقوله ولن يستحل هذا البيت الا أهله ففى زمن أصحاب الفيل ما كان أهله استحلوه فمنعه الله منهم وأما الحبشة فلا يهدمونه الا بعد استحلال أهله له مرارا فقد استباحها أهل الشام فى زمن يزيد بأمره ثم الحجاج فى زمن عبد الملك بأمره ثم القرامطة بعد الثلثمائة فقتلوا من المسلمين فى المطاف مالايحصى وقلعوا الحجر ونقلوه لبلادهم وقد مر جميع ذلك فى القسم الاول فلما وقع استحلاله من أهله مرارا أمكن الله غيرهم من ذلك أيضا على أنه ليس فى الآية استمرار الامن المذكور فيه .

﴿ خاتمة ﴾ اختلفوا فى هدم الكعبة هل هو فى زمن عيسى أو عند قيام الساعة حين لا يبقى أحد يقول الله الله فعن كعب انه فى زمن عيسى وكذا قال الحليمى وان الصريخ يأتى عيسى عليه السلام بذلك فيبعث اليه طائفة مابين الثمانية إلى التسعة وقيل هدمها فى زمانه وبعد هلاك ياجوج وماجوج يحج الناس ويعتمرون كما ثبت وان عيسى يحج أو يعتمر أو يجمعهما ولا ينافيه ماورد لاتقوم الساعة حتى لايحج البيت وفى لفظ استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع فى الثالثة قال الحافظ بن حجر وجدت فى كتاب التيجان لابن هشام أن عمر بن عامر كان ملكا متوجا وكان كاهنا معمرا وانه قال لأخيه عمرو بن عامر المعروف بمزيقيا لما حضرته الوفاة ان بلادكم ستخرب وان لله فى أهل اليمن سخطتين ورحمتين فالسخطة الأولى هدم سد مارب وخراب البلاد بسببه والثانية غلبة الحبشة على اليمن والرحمة الأولى بعثة نبى من تهامة اسمه محمد يرسل بالرحمة ويغلب أهل الشرك والثانية اذا خرب بيت الله يبعث الله رجلا يقال له شعيب بن صالح فيهلك من خربه ويخرجهم حتى لا يكون فى الدنيا ايمان الا بارض اليمن قال الحافظ ان ثبت هذا علم منه اسم القحطانى وسيرته وزمانه اه قلت ليس فيما ذكر ان ذلك هو القحطانى ولم لايجوز ان يكون شعيب بن صالح التميمى القادم بالرايات السود الى المهدى وانه يرسله عيسى اليه حين يأتيه الصريخ ويؤيده كون لقبه المنصور وبتقدير ان يكون هو اياه فجائز أن يكون قبل خلافته ويكون فيمن أرسله عيسى أميرا عليهم وكونه رحمة لاهل اليمن لايلزم أن يكون منهم ويكفى فى كونه رحمة لهم كونه يدفع الحبشة عنهم بحيث لايبقى ايمان الا باليمن ان الحجاز

من اليمن ولذا يقال للكعبة يمانية ومنه يعلم أن ليس فى هذا دليل على تأخر إيمان أهل اليمن عن أهل المدينة حتى يتعارض الحديثان ويؤيد ذلك وان المراد باليمن الحجاز ان الخلافة حينئذ تكون بالأرض المقدسة لاباليمن والله أعلم وأيما كان فهذا أيضا يدل على تقدم هدمها على موت المؤمنين ولكن يبقى احتمال أن يكون بعد الدابة لما مر أنها تخرج ليلة المزدلفة وأنها تطوف على الناس بمنى إلا أن يقال إنها تحج بعد خرابها أو هدمها وان مكة تبقى معمورة بعدها وقيل ان هدمها بعد الآيات كلها قرب قيام الساعة حتى ينقطع الحج ولا يبقى فى الأرض من يقول الله الله ويؤيد هذا ان زمن عيسى كله زمن سلم وخير وبركة وأمن وانها قبلة المسلمين والحج اليها أحد أركان الدين فينبغى أن تبقى ببقاء المسلمين انها تهدم مع رفع القرآن وسنشير اليه ثم أيضا إن شاء الله تعالى

﴿ فائدة ﴾ قال الفقهاء إذا هدمت الكعبة والعياذ بالله فعرصتها بمنزلتها فمن صلى خارجها جاز استقبالها مطلقا ولو كان أعلا منها كمن صلى على أبى قبيس ومن صلى فيها لابد وأن يستقبل شاخصا قدر ثلثى ذراع إلى ذراع من بنائها أو ما لحق بذلك كعصا مسمرة أو شجرة نابتة ولو يابسة أو تراب منها يجتمع أو حجر منها أو حفرة ينزل فيها مقدار ماذكر وإلا فلا تصح صلاته وكذا الطواف يجب أن يكون خارجها وبالله التوفيق

﴿ تذنيب ﴾ يناسب ذكره المقام نورده تتميما للفائدة فى مسند الرويانى عن أبى ذر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون رجل من قريش أخنس يلى سلطانا ثم يغلب عليه أو ينزع منه فيفر إلى الروم فيأتى بهم إلى الاسكندرية فيقاتل أهل الإسلام بها فذلك أول الملاحم وفى رواية عنه سيكون بمصر رجل من بنى أمية أخنس بنحوه وروى نعيم بن حماد عن عبد الله بن عمرو قال يقاتلكم أهل الأندلس بوسم فيأتيكم مددكم من الشام فيهزمهم الله ثم يأتيكم الحبشة فى ثلثمائة ألف فتقاتلونهم أنتم وأهل الشام فيهزمهم الله وعن عمر رضى الله عنه أنه قال لرجل من أهل مصر ليأتينكم أهل الأندلس فيقاتلونكم بوسيم حتى تركض الخيل فى الدم يهزمهم الله ثم تاتيكم الحبشة فى العام الثانى وأخرج أيضا عن أبى قبيل قال خرج يوما وردان من عند مسلمة بن مخلد وهو أمير على مصر فمر على عبد الله بن عمرو مستعجلا فناداه فقال اين تريد فقال أرسلنى الأمير إلى منف فاحفر له كنز فرعون قال فارجع اليه واقرئه منى السلام وقل له ان كنز فرعون ليس لك ولا لأصحابك إنما هو للحبشه

يأتون فى سفنهم يريدون الفسطاط فيسيرون حتى ينزلوا منفا فيظهر الله كنز فرعون فيأخذون منه ماشاؤا فيقولون مانبغى غنيمة أفضل من هذه فيرجعون ويخرج المسلمون فى آثارهم حتى يدركوهم فيهزم الله الجيش فيقتلهم المسلمون ويأسرونهم أخرجها الحافظ السيوطى فى جزء له وقال فى أزهار العروش فى أخبار الحبوش أخرج الحاكم فى المستدرك من طريق عبد الله بن صالح حدثنى الليث حدثنى أبو قبيل عن عبد الله بن عمرو أن رجلا من أعداء المسلمين بالأندلس يقال له ذو العرق يجمع من قبائل الشرك جمعاً عظيما يعرف من بالأندلس أن لاطاقة لهم فيهرب أهل القوة من المسلمين فى السفن يجيزون عليها فيبعث الله وعلا وينشره لهم فى البحر فيجيز الوعل لا يغطى الماء أظلافه فيراه الناس فيقولون الوعل الوعل اتبعوه فيجيز الناس على أثره كلهم ثم يصير البحر على ماكان عليه ويجيز العدو فى المراكب فاذا حسنهم أهل أفريقية هربوا كلهم من أفريقية ومعهم من كان بالأندلس من المسلمين حتى يدخلوا الفسطاط ويقبل ذلك العدو حتى ينزلوا فيما بين ترنوط إلى الأهرام مسيرة خمسة برد فيملؤن ماهنالك شراً فتخرج اليهم راية المسلمين على الجسر فينصرهم الله عليهم فيهزمونهم ويقتلونهم إلى لوبة مسيرة عشر ليال ويستوقد أهل الفسطاط بعجلهم وأوانيهم سبع سنين وينفلت ذو العرف من القتل ومعه كتاب لاينظر فيه إلا وهو منهزم فيجد فيه ذكر الإسلام وأنه يؤمر فيه بالدخول فى السلم فيسأل الأمان على نفسه وعلى من أجابه إلى الإسلام من قومه فيسلم ثم يأتى فى العام الثانى رجل من الحبشة يقال له أسيس وقد جمع جمعا عظيما فيهرب المسلمون منهم من أسوان حتى لايبقى فيها ولافيما دونها أحد من المسلمين إلا دخل الفسطاط فينزل أسيس بحيشة منف فتخرج اليهم راية المسلمين على الجسر فينصرهم الله عليهم فيقاتلونهم ويأسرونهم حتى يباع الأسود بعباءة قال الحاكم موقوف صحيح الاسناد اه وفى هذا الحديث إشكال وهو أن واقعة ذى العرف المذكور لم تقع إلى الآن وإلا لكان ذكر فى التواريخ وإن قلنا إنها ستقع فيما سيأتى يشكل عليه أن الأندلس ليس بها إذ ذاك بل ولا اليوم مسلم فكيف يهربون فى السفن وغيرها وقد يقال يمكن أن يكون هناك مسلمون قد أقروا على الجزية وإذا آن الأوان هربوا ويقربه أن فى هذه الاعصر قدمت طائفة من المسلمين من الاندلس فى المراكب إلى بلاد الاسلام يسمون المتجل فيمكن أن يكون لهم هناك بقايا ضعفة إذا أراد الله تعالى أجازهم اليه ويمكن أن يقال أن هذا إنما يقع بعد موت المهدى وتناكص الدين ورجوع الناس إلى الشرك وأن مصر إذ ذالا لكون الخلفاء ببيت المقدس

تكون عامرة بالاسلام فيكون قبيل هدم البيت أو بعده على ما سبق من الخلاف فى وقته وبالله التوفيق لكن فى التذكرة للقرطبى أن أولئك المهدى وأتباعه وأن المحل الذى يمشى فيه الوعل جسر بناه ذو القرنين لهذا الأمر وإنه إذا جاء أوانه مروا عليه والله أعلم بحقيقة الحال ومن الاشراط العظام طلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض وهذان أيهما سبق الآخر فالآخر على أثره فان طلعت الشمس قبل خرجت الدابة ضحى يومها أو قريبا من ذلك وإن خرجت الدابة قبل طلعت الشمس من الغد أخرج ابن أبى شيبة وأحمد وعبد بن حميد وأبو داود وابن ماجه وابن المنذر وابن مردويه والبيهقى كلهم عن عبدالله بن عمرو قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ضحى فأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قال عبدالله وكان يقرأ الكتب وأظن أولها خروجا طلوع الشمس من مغربها وقال أبو عبدالله الحاكم والذى يظهر أن طلوع الشمس من مغربها قبل خروج الدابة قال الحافظ ابن حجر معتمدا لما قاله الحاكم ولعل الحكمة فى ذلك أن بطلوع الشمس من مغربها ينسد باب التوبة فتجىء الدابة فتميز بين المؤمن والكافر تكميلا للمقصود من إغلاق باب التوبة اه فلنبدأ بطلوع الشمس من المغرب ونقول أما طلوع للشمس من مغربها فقد قال الله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا أجمع المفسرون أو جمهورهم على أنه طلوع الشمس من مغربها وقال تعالى وجمع الشمس والقمر وروى الفريابى وعبد بن حميد وابن أبى حاتم والطبرانى وأبو الشيخ عن ابن مسعود فى قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس والقمر من مغربهما مقترنين كالبعيرين القرينين ثم قرأ وجمع الشمس والقمر وروى عبدالرزاق وأحمد وعبد بن حميد والستة غير الترمذى .وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها ثم قرأ الآية وروى ابن مردويه عن حذيفة رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما آية طلوع الشمس من مغربها فقال تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين وروى هو وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال آية تلكم الليلة أن تطول قدر ثلاث ليال والقليل لا ينافى الكثير وفى رواية البيهقى عن عبدالله بن عمرو بلفظ قدر ليلتين أو ثلاث فيستيقظ الذين يخشون

ربهم فيصلون ويعملون كما كانوا ولا يرى قد قامت النجوم مكانها ثم يرقدون ثم يقومون ثم يقضون صلاتهم والليل كانه لم ينقص فيضطجعون حتى إذا استيقظوا والليل مكانه حتى يتطاول عليهم الليل فاذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدى أمر عظيم ففزع الناس وهاج بعضهم فى بعض فقالوا ما هذا فيفزعون إلى المساجد فاذا أصبحوا طال عليهم طلوع الشمس فبينما هم ينتظرون طلوعها من المشرق إذا هى طلعت عليهم من مغربها فضج الناس ضجة واحدة حتى إذا صارت فى وسط السماء رجعت فطلعت من مطلعها وروى أبو الشيخ وابن مردويه عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة تطالع الشمس من مغربها يصير فى هذه الأمة قردة وخنازير وتطوى الدواوين وتجف الاقلام لا يزاد فى حسنة ولا ينقص من سيئة ولا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا وروى البيهقى عن عبدالله ابن عمر قال فيذهب الناس فيتصدقون بالذهب الاحمر فلا يقبل منهم ويقال لو كان بالأمس وروى ابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لا تزال الشمس تجرى من مطلعها إلى مغربها حتى يأتى الوقت الذى جعل الله لتوبة عباده فتستأذن الشمس من أين تطلع ويستأذن القمر من أين يطلع فلا يؤذن لهما فتحبسان مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف مقدار حبسهما إلا قليل من الناس وهم بقية أهل الأرض وحملة القرآن يقرأ كل رجل فى تلك الليلة منهم ورده حتى إذا فرغ منه نظر فاذا الليلة على حالها فلا يعرف طول تلك الليلة إلا حملة القرآن فينادى بعضهم بعضا فيجتمعون فى مساجدهم بالتضرع والبكاء والصراخ بقية تلك الليلة ومقدار تلك الليلة ثلاث ليال يرسل الله جبريل إلى الشمس والقمر فيقول إن الرب تعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغاربكما فتطلعا منها فانه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فيبكى الشمس والقمر من خوف يوم القيامة وخوف الموت وترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغاربهما فبينما الناس كذلك يبكون ويتضرعون إلى الله عز وجل والغافلون فى غفلاتهم إذ نادى مناد الا إن باب التوبة قد أغلق والشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر الناس وإذا بهما أسودان كالعكمين ولا ضوء لهما ولا نور فذلك قوله وجمع الشمس والقمر .

﴿ تنبيه ﴾ العكمة العرارة أى كالغرارتين العظيمتين ومنه يقال لمن يشد الغرائر على الجمل العكام وفى حديث أم زرع عكومها رداح فيرتفعان مثل البعيرين المقرونين ينازع كل منهما صاحبه استباقا ويتصايح أهل الدنيا . تذهل الأمهات عن أولادها

وتضع كل ذات حمل حملها فاما الصالحون والأبرار فانهم ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب عليهم حسرة فاذا بلغت الشمس والقمر سرة السماء وهو منتصفها جاءهما جبريل فاخذ بقرونهما فردهما إلى المغرب فلا يغربهما فى مغاربهما أى مغارب طلوعها ذلك اليوم وهى جهة المشرق ولكن يغربهما فى مغاربهما الذى فى باب التوبة فقال عمر بن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وما باب التوبة فقال ياعمر خلق الله بابا للتوبة خلف المغرب فهو من أبواب الجنة له مصراعان من ذهب مكللان بالدر والجواهر مابين المصراع إلى المصراع مسيرة أربعين عاما للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما ولم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحا من لدن آدم الى ذلك اليوم ألا ولجت تلك التوبة فى ذلك الباب ثم يرفع الى الله فقال معاذ بن جبل يارسول الله وما التوبة النصوح قال أن يندم العبد على الذنب الذى أصاب فيهرب إلى الله منه ثم لايعود اليه حتى يعود اللبن فى الضرع قال فيغربهما جبريل فى ذلك الباب ثم يرد المصراعين فيلتئم مابينهما ويصيران كانهما لم يكن فيهما صدع قط ولا خلل فاذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولم تنفعه حسنة يعملها بعد ذلك إلا ما كان قبل ذلك أى يفعله قبل ذلك فانه يجرى لهم وعليهم بعد ذلك ماكان يجرى لهم قبل ذلك فذلك قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع الآية فقال أبى بن كعب يارسول الله فداك أبى وأمى فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا قال ياأبى إن الشمس والقمر يكسبان بعد ذلك ضوء النور ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كانا قبل ذلك وأما الناس فانهم حين رأوا من تلك الآية وعظمها يلحون على الدنيا فيعمرونها ويجرون فيها الانهار ويغرسون فيها الأشجار ويبنون فيها البنيان فاما الدنيا فانه لو نتج رجل مهرا لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من مغربها الى يوم ينفخ فى الصور

﴿فائدة﴾ قال الفقهاء تلك الليلة عن ليلتين ويوم فيقضى خمس صلوات لان الليلة الأولى مافيها صلاة لأن الفرض أنهم ناموا بعد فعل العشاءين والليلة الثانية مع اليوم فيها خمس فتقضى قياسا على أيام الدجال بجامع الطول كما قاسوا يوميه الأخيرين على يومه الاول وعلى هذا فمن نام عن صلاته فعليه مع قضاء الخمس قضاء مانام عنه وهو واضح ويدخل وقت صلاة الصبح يوم طلوعها من مغربها بطلوع الفجر وصلاة الظهر

برجوعها عن وسط السماء فانه بمنزلة الزوال والعصر والمغرب والعشاء كبقية الأيام وبالله التوفيق

﴿ تنبيه ﴾ روى ابن أبى شيبة عن ابن عمر قال الاشرار بعد الاخيار عشرين ومائة سنة كذا فى الأصل المنقول عنه فيحتمل أن الناصب سقط وأن يقدر بدليل الروايتين بعدها كتمكث أو تبقى وروى عن ابن عمر قال يمكث الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة وروى عبد بن حميد عنه أيضا قال يبقى شرار الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة وروى نعيم عن ابن عمر قال لاتقوم الساعة حتى تعبد العرب ماكان يعبد آباؤهم عشرين ومائة عام بعد نزول عيسى بن مريم وبعد الدجال وروى عبد بن حميد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى يلتقى الشيخان الكبيران فيقول أحدهما لصاحبه متى ولدت فيقول زمن طلعت الشمس من مغربها وروى هو وابن أبى شيبة وابن المنذر عنه قال الآيات كلها فى ثمانية أشهر وأخرجوا غير ابن أبى شيبة عن أبى العالية قال الآيات كلها فى ستة أشهر ومن لو أن رجلا نتج مهراً لم يركبه حتى ينفخ فى الصور قال فى فتح البارى وتبعه فى القناعة وطريق الجمع بين الروايات أن المدة كما فى الروايات الأول عشرون ومائة سنة لكنها تمر مرا سريعا كمقدار عشرين ومائة شهر كما فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رفعه لاتقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر الحديث وفيه اليوم كالساعة والساعة كاحتراق السعفة اه وعلى هذا فيكون تقارب الزمان وتقاصر الايام مرتين مرة فى زمن الدجال ثم ترجع بركة الأرض وطول الايام إلى حالها الاولى ثم تتناقص بعد موت عيسى إلى أن تصير فى آخر الدنيا إلى ماذكر وهذا تنبيه حسن لم أر من نبه عليه وبالله التوفيق وأقول ماقالاه يقتضى أن تكون المدة مقدار اثنى عشرة سنة من سنينا فالاشكال بحاله لان المهر قد يركب فى سنتين وبتسليم ذلك وتمحل أن المراد الركوب للكر والفر فى الحرب وذلك فى الخيل الاصيل لا يكون إلا فى العشر ومابعدها لايمكن الجمع بينها وبين رواية ثمانية وستة أشهر وأيضا ينافيه حديث أبى هريرة المار عند عبد بن حميد مرفوعا لاتقوم الساعة حتى يلتقى الشيخان الكبران الحديث إلا أن يقال إن كبر أهل ذلك الزمان على حسب سنيهم وعليه فيقدر إنتاج المهر وركوبه فى السنين المعتادة والأولى أن يجمع بأن المدة القليلة بالنظر لبقاء المؤمنين والمائة والعشرون للكفار والاشرار كما تصرح به الروايات السابقة الاشرار بعد الاخيار ومع هذا لابد من القول بتقاصر الزمان ليكون

أربعون سنة الواقعة فى حديث ابن مسعود السابق فى بقاء المؤمنين مقدار أربعين شهرا فيكون التقدير بإنتاج المهر وركوبه واضحا ومعنى تقوم الساعة على هذا أنها تقوم على المؤمنين بموتهم ونظيره ما فى البخارى أن رجلا سأله ﷺ عن الساعة فنظر إلى أحدث القوم سنا فقال أن يستنفد هذا عمره لم يمت حتى تقوم الساعة قال العلماء أراد ساعة الحاضرين لا ساعة عامة الخلق ولكن رواية الثمانية أشهر والستة أشهر فيجب إن صحتا تأويلهما قطعا

﴿ تنبيه ﴾ اختلفوا هل إذا كان كذلك وامتدت الدنيا بعد ذلك إلى أن ينسى هذا الامر أو ينقطع تواتره ويصير الخبر عنه آحادا فمن أسلم حينئذ وتاب تقبل منه أم لا ذكر أبو الليث السمرقندى فى تفسيره عن عمران بن حصين قال إنما لا يقبل الايمان والتوبة وقت الطلوع فمن أسلم أو تاب بعد ذلك قبلت توبته قال الحافظ فى فتح البارى ماحاصله ان الذى دلت عليه الاحاديث الثابتة الصحاح والحسان ان قبول التوبة مغيا بطلوع الشمس من مغربها ومفهومها ان بعد ذلك لا تقبل بل وفى بعض الروايات التصريح بعدم القبول كما عند أحمد والطبرانى عن مالك بن يخامر ومعاوية وعبد الرحمن ابن عوف وعبد الله بن عمرو رفعوه لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل وفى حديث ابن مردويه السابق فاذا أغلق ذلك الباب لم تقبل بعد ذلك توبة ولا ينفع حسن وعند نعيم بن حماد عن ابن عمرو فيناديهم مناد ياأيها الذين آمنوا قد قبل منكم وياأيها الذين كفروا قد أغلق عنكم التوبة وجفت الاقلام وطويت الصحف ومن طريق يزيد بن شريح وكثير بن مرة اذا طلعت الشمس من المغرب يطبع على القلوب بما فيها وترتفع الحفظة وتؤمر الملائكة ان لا يكتبوا عملا وأخرج عبد بن حميد والطبرى بسند صحيح عن عائشة رضى الله عنها اذا خرجت أول الآيات يعنى طلوع الشمس من المغرب طرحت الاقلام وطويت الصحف وخلصت الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال الآية التى تختم بها الاعمال طلوع الشمس من مغربها قال فهذه آثار يشد بعضها بعضا متفقة على أن الشمس اذا طلعت من المغرب أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك ولا يختص ذلك بيوم طلوعها بل يمتد الى يوم القيامة قلت ويؤيد هذا ما يأتى فى الخاتمة أن ابليس يخر عند طلوعها ساجداً وان الدابة تقتله فانه لا يموت ابليس الا وقد فرغ من العمل

﴿ تنبيه ﴾ آخر ورد فى بعض الروايات أن أول الآيات خروج الدجال وفى

بعضها أن أولها طلوع الشمس من مغربها وفى بعضها الدابة وفى بعضها نار تحشر الناس إلى محشرهم قال الحافظ ابن حجر وطريق الجمع أن الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغيير أحوال العامة فى الأرض أى فلا ينافى تقدم المهدى عليه قال وينتهى ذلك بموت عيسى بن مريم ومن بعده القحطانى وغيزه وان طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات المؤذنة بتغيير أحوال العالم العلوى وينتهى ذلك بقيام الساعة أى والدابة معها فهى والشمس كشىء واحد وان النار أول الآيات المؤذنة بقيام الساعة انتهى وهذا جمع حسن رحمه الله تعالى ويدل على ذلك ما فى بعض الروايات وآخر ذلك يعنى الآيات نار تحشر الناس إلى محشرهم وروى نعيم بن وهب بن منبه قال أول الآيات الروم ثم الدجال والثالثة يأجوج ومأجوج والرابعة عيسى أى وكون عيسى رابعة باعتبار تأخره عن يأجوج ومأجوج وان كان باعتبار وقت نزوله مقدما عليهما فهو باعتبار ثالث وباعتبار آخر رابع والخامسة الدخان وسيأتى بيانه وتفصيله والسادسة الدابة أى وعده هذا باعتبار الايات الأرضية ومن ثم لم يعد طلوع الشمس فهو أيضا يؤيد ماذكره الحافظ لكن لو قال وينتهى ذلك بخروج الدابة بدل قوله بموت عيسى لكان أولى وأوضح وكون الروم أولا حقيقى وكون الدجال أولا اضافى لأنه أعظم من الروم وكان الروم بالنظر اليه ليس بشىء (تبصرة) قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً فيه بحسب الظاهر إشكال وتقريره ان قوله لم تكن آمنت من قبل صفة لنفسا فصل بينها وبين موصوفها بالفاعل وقوله أو كسبت عطف على الصفة فيكون المعنى إذا جاء بعض الآيات لاينفع الايمان نفسا موصوفة بأحد الأمرين عدم الايمان ويلزمه عدم كسب الخير فيه وعدم كسب الخير فى الايمان ولو وجد الايمان واتصفت به وهذا انما يتأتى على مذهب الاعتزال وأهل السنة لايقولون بذلك ومن ثم قال صاحب الكشاف لم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا آمنت فى غير وقت الايمان وبين النفس التى آمنت فى وقتها ولم تكتسب خيرا ليعلم ان قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لاينبغى أن تنفك احداهما عن الأخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد والا فالشقوة والهلاك انتهى كلام الكشاف وأشار البيضاوى لظهور دلالة الآية لهذا المعنى فقال والمعنى أنه لاينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها أو مقدمة ايمانها غير كاسبة فى ايمانها خيرا وهــــو دليل لمن لايعتبر الايمان المجرد عن عن العمل أى بل يجعل العمل جزءا من أصل الايمان وحقيقته كالمعتزلة لا من يجعله

جزءا من كماله وزيادته بجمهور أهل السنة وعامة أهل الحديث وأكثر الائمة ثم أشار البيضاوى الى الجواب عن ذلك بثلاثة أجوبة اختصارا فقال وللمعتبر أى لمن يعتبر الايمان المجرد عن العمل تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الأمرين على معنى لاينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لاينفع نفسا ايمانها الذى أحدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا انتهى وتقرير كلامه انا نجيب أولا بانا نسلم ان المعنى كذلك لكن يخص الحكم بذلك اليوم ولا نعممه لجميع الازمنة فمن مات مؤمنا قبل ذلك اليوم نفعه ايمانه وان لم يكن كسب فيه خيرا ولم يعمله ومن أدرك ذلك اليوم ان قدم الايمان عليه وكسب فيه خيرا نفعه والا بان لم يقدمه أوقدمه من غير كسب خير فيه فلا هذا حاصل الجواب الأول وفيه ان العمومات دلت على ان الإيمان المجرد نافع فى جميع الأحوال والأوقات وحاصل الجواب الثانى ان أو تكون تارة لعموم النفى كقوله تعالى (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) أى واحدا منهم وأخرى لنفى العموم وذلك اذا قدر عطف النفى على النفى ثم جىء باو والاية من الأول فالمعنى لاينفع نفسا لم تقدم ايمانا ولا كسبت فيه خيرا أى نفسا خالية من الأمرين جميعا عارية عنها وعليه اقتصر أبو السعود فى تفسيره واعترض هذا الوجه بان انتفاء الإيمان مستلزم لانتفاء كسب الخير فيه فلا وجه الترديد بينهما وأجاب عنه أبو السعود باجوبة واطال فيها الكلام وكلها مخدوشة وهى بالنكات البيانية الخطابية أشبه منها بالاجوبة وأقربها قوله ولك أن تقول المقصود من وصف نفسا بما ذكر من العدمين التعريض بحال الكفرة فى تمردهم وتفريطهم فى كل واحد من الامرين الواجبين عليهم وان كان وجوب أحدهما منوطا بالآخر كما فى قوله عز وجل فلا صدق ولا صلى تسجيلا على كمال طغيانهم وايذانا بتضاعف عقابهم لما تقرر من ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع فى حق المؤاخذة كما ينبىء عنه قوله ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة اه وهذا الذى قاله قريب لكنه خلاف مذهبه فان الكفار عندهم غير مكلفين بالفروع والله أعلم وحاصل الجواب الثالث من أجوبة البيضاوى انا لا نعطف أو كسبت على آمنت كما فى الوجهين الاولين حتى يلزم دخول الامرين فى حيز النفى بل نعطفه على النفى نفسه أعنى لم تكن فيكون الترديد بين النفى والاثبات لا بين المنفيين لمعنى لاينفع نفسا لم تقدم ايمانا على ذلك اليوم ايمانها سواء لم تؤمن أصلا لانه يصدق على من لا تؤمن انه لاينفعه الإيمان لأن النفع فرع الوجود فاذا انتفى انتفى نفعه أيضا أو أحدثته ذلك اليوم وكسبت فيه خيرا أيضا لان الايمان شرطه أن يكون بالغيب فاذا صار الأمر

معاينة لم ينفعها وهـذا هو معنى قول البيضاوى بمعنى لاينفع نفسا إيمانها الذى أحدثته وان كسبت فيه خيراً فانظر إلى هـذا السحر الحـــلال كيف أدرج رحمه الله ثلاثة أجوبةفى مقدار سطرين وغيره سود وجه ورقة كاملة بجواب واحد ولم يقدر على بيانه حق البيان ولاشك ان التأييد والهداية من الرحمن فانه الذى (علم القرآن خلق الإنسان علمه البيـان) ثم لمـا كان من الجوابين الاولين فيه مامر والثالث فيه خفاء وفى دلالة الكلام عليه بعد اختيار جمع من المحققين كالعلامة التفتازانى وابن الحاجب وصاحب الانتصاف وابن هشام وعليه اقتصر المحقق الكورانى فى تفسيره جوابا آخر غير الثلاثة وهو ان الآية من قبيل اللف التقديرى أى لاينفع نفسا إيمانها ولا كسبها فى الايمان لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً والمعنى أن النـاس فى التوبة قسمان قسم تائب عن الكفر وقسم من المعاصى فالكافر ان قدم الإيمـان على ذلك اليوم قبل منه ونفعه إيمانهم بعد ذلك اليوم أيضا وإلا فلا والعاصى إن تاب عن المعصية قبل ذلك قبلت منه ونفعته بعد ذلك اليوم أيضـا وإلا فلا قبول ولا نفع وهذا هو معنى مامر فى الحديث أنهم يجرى لهم وعليهم بعد ذلك اليوم ما كانوا يعملون قبل ذلك اليوم قال صاحب الانتصاف هذا الفن من الكلام فى البلاغة يلقب باللف التقديرى وأصله يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا إيمانها لم تكن مؤمنة من قبل إيمانها بعد ولا نفسا لم تكتسب فى إيمانهـا خيراً قبل ما تكسبه من الخير بعد فلف الكلامين فجعلهما كلاما واحدا اختصارا وإيجازا وبلاغة قال فظهر بذلك انه لا يخالف مذهب أهل الحق ولا ينقطع بعد ظهور الآيات اكتساب الخير أى فى النوع الذى كان يعمله قبل لافى مطلق الخير لئلا يخالف مامر وان نفع الإيمان المتقدم باق فى السلامة من الخلود فى النار قال فهو بالرد على مذهب الاعتزال أولى من أن يدل له وقال ابن هشام بهذا التقدير تندفع هـذه الشبهة قال وقد ذكر هـذا التأويل ابن عطية وابن الحاجب اه واعترض أبو السعود هـذا الجواب بأن مبنى اللف التقديرى أن يكون المقدر من متممات الكلام ومقتضيات المقام وقد ترك ذكره تعويلا على دلالة الملفوظ عليـه واقتضائه إياه ولا ريب فى ان ماهنا ليس مايستدعية قوله أو كسبت فى إيمانها خيرا ولا هو من مقتضيات المقـام اه أقول انـكار دلالة الكلام عليه واقتضاء المقـام يشبه مكابرة المحسوس فى المرام أمام دلالة الكلام فلانه بدون التقدير يؤدى لاختلال النظام أو لتناقض الاحكام وأما اقتضاء المقام فلانه فى بيان حكم عام لكافه الأيام فيعم الكفر والإسلام والطاعة والآثام وبالله التوفيق ولى الأنعام وقد أجابوا باجوبة أخر فلنشر إليها أحدهـا ان

الآية من قبيل القلب أى لم تكن كسبت خيرا أوآمنت من قبل وذكر نفى الإيمان بعد نفى الكسب مفيد لأنه ترق وليس كعكسه السابق فى عدم افادة الترديد ونكتة القلب التنبيه بتقديم الايمان فى انه الأصل الذى نيط به النجاة ثانيها حمل الإيمان على اللغوى السابق على نزول القرآن وهو المعرفة أى وهو من قبيل التصور لامن قبيل التصديق وقد فسربه الإيمان فى قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به قال البيضاوى معناه منهم من يصدق به ويعلم أنه حق ولكن يعاند وسبقه اليه الكشاف ويحمل الكسب على الاذعان والقبول ثالثها أن يحمل الإيمان على التصديق القلبى والكسب على الاقرار اللسانى أى وهو كسب لانه بالجارحة وهذا ظاهر لأن الإسلام غير الإيمان فيصح أن يقال ان الإيمان النافع فى الدارين ما يكون جامعا بينهما فيكون الظاهر معنا لامع المخالف أشار الى الجوابين الأخيرين شيخ مشايخنا العلامة المحقق الشريف صبغة الله الحسينى رحمه الله فيما كتب على هامش تفسير الكورانى بخطه لكن قوله ان الايمان النافع فى الدارين ما يكون جامعا بينهما مبنى على القول بأن الشهادتين شطر من الأيمان لا شرط والأصح خلافه كما هو مبين فى محله ولبعض متأخرى محقق العجم على هذه الآية رسالة مبسوطة بلسان المناطقة أتى فيه بالعجب العجاب وكشف عن وجه المقصود الحجاب لكن لبعدها عن أفهام العامة سيما المبتدئين لم تنقل منها شيئا هنا ولبعض المحشين على البيضاوى هنا خبط واضطراب فاجتنبه فانه جعل الأجوبة الثلاثة واحدآ وإنما نبهنا عليه لئلا يغتر به فيظن ان كلام البيضاوى متناقض والله أعلم

﴿ خاتمة ﴾ أخرج نعيم بن حماد فى الفتن والحاكم فى المستدرك عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لا يلبثون يعنى الناس بعد يأجوج ومأجوج حتى تطلع الشمس من مغربها وجفت الأقلام وطويت الصحف ولا يقبل من أحد توبة ويخر ابليس ساجدا ينادى الهى مرنى أن أسجد لمن شئت وتجتمع اليه الشياطين فتقول ياسيدنا الى من تفزع فيقول انما سألت ربى أن ينظرنى الى يوم البعث فانظرنى الى يوم الوقت المعلوم وقد طلعت الشمس من مغربها وهذا يوم الوقت المعلوم وتصير الشياطين ظاهرة فى الأرض حتى يقول الرجل هذا قرينى الذى كان يغوينى فالحمد لله الذى أخزاه ولا يزال ابليس ساجدآ باكيا حتى تخرج الدابة فتقتله وهو ساجد قلت وهذا يدل على تأخر الدابة عن الشمس ويتمتع المؤمنون بعد ذلك أربعين سنة لا يتمنون شيئا الا أعطوه حتى يتم أربعون سنة بعد الدابة ثم يعود فيهم الموت

ويسرع فلايبقى مؤمن ويبقى الكفار يتهارجون فى الطرق كالبهائم حتى ينكح الرجل أمه فى وسط الطريق يقوم واحد عنها وينزل واحد وأفضلهم من يقول لو تنحيتم عن الطريق كان أحسن فيكونون على مثل ذلك حتى لايولد أحد من نكاح ثم يعقم الله النساء ثلاثين سنة ويكونون كلهم أولاد زنا شرار الناس عليهم تقوم الساعة وأخرج الطبرانى وابن مردويه عن ابن عمرو بن العاص قال اذا طلعت الشمس من مغربها خر ابليس ساجدا ينادى ويجهر الهى مرنى اسجد لمن شئت فتجتمع اليه زبانية فيقولون ياسيدنا ماهذا التضرع فيقول انما سالت ربى أن ينظرنى الى الوقت المعلوم وهذا الوقت المعلوم قال وتخرج دابة الأرض من صدع فى الصفا فاول خطوة تضعها بانطاكية فتاتى ابليس فتخطمه .

﴿ تنبيه ﴾ فى طلوعها من المغرب رد على أهل الهيئة ومن وافقهم ان الشمس وغيرها من الفلكيات بسيطة لاتختلف مقتضياتها ولا يتطرق اليها تغيير عما هى عليه قال الكرمانى وقواعدهم منقوضة ومقدماتهم متنوعة وعلى تقدير تسليمها فلا امتناع من انطباق منطقة البروج على المعدل بحيث يصير المشرق مغربا والمغرب مشرقا اه وأما دابة الأرض فقد قال تعالى واذا وقع القول عليهم الآية قال أهل التفسير اذا لم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وقال البيضاوى اذا دنا وقوع معناه وهو ماوعدوا من البعث والعذاب وعن ابن مسعود اذا مات العلماء وذهب العلم ورفع القرآن أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم من الكلام ويؤيده انه قرىء تنبئهم وقرىء تحدثهم وقرىء حمل على التفسير تكلمهم ببطلان سائر الاديان سوى الاسلام وقيل من الكلم الجرح والتفعيل للتكثير ويؤيده انه قرىء تكلمهم بفتح فسكون وقرىء تجرحهم وسال أبو الحوارى ابن عباس تكلمهم أو تكلم فقال كلا ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر وقد مر أنه قيل انها الجساسة وجزم به البيضاوى وغيره وقرأ الكوفيون ويعقوب ان الناس بفتح الهمزة والباقون بكسرها على انه حكاية معنى قولها وحكايتها لقول الله ويؤيدهما ما ياتى انها تنادى باعلى صوتها إن الناس كانوا بآياتنا لايوقنون أو استئناف علة لخروجها أو علة لتكلمها على قراءة الكسر أو علة لحذف الجار على قراءة الفتح أى انما أخرجناها لأن الناس كانوا أو انما تكلمهم لأن الناس كانوا بآياتنا لايوقنون وعن أبى العالية ان وقوع القول سد باب الايمان والتوبة قلت وعلى هذا التفسير يكون فى القرآن أيضا الاشارة الى تأخرها عن طلوع الشمس من مغربها لانه به يقع القول والكلام فى حليتها وسيرتها

وخروجها أما حليتها فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن لها عنقا مشرفا أى طويلا يراها من بالمشرق كما يراها من بالمغرب ولها وجه كوجه الإنسان ومنقار كمنقار الطير ذات وبر وزغب وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنها ذات عصب وريش وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها ذات وبر وريش مؤلفة وفيها من كل لون لها أربع قوائم وعن ابن عمر رضى الله عنهما زغباء ذات وبر وريش وعن حذيفة أنها ملمعة ذات وبر وريش لن يدركها طالب ولن يفوتها هارب وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقد قيل له أن ناسا يزعمـــون أنك دابة الأرض فقال والله أن لدابة الأرض ريشا وزغبا ومالى ريش ولا زغب وأن لها حافرا ومالى حافر وأنها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثا وما أخرج ثلثاها وعن عمرو بن العاص أن رأسها يمس السماء وماخرجت رجلها من الأرض وعن ابن عمرو أنها تخرج بجرى الفرس ثلاثة أيام لم يخرج ثلثهـا وهذا يقرب من رواية على كرم الله وجهه المارة وعن أبى هريرة أن فيها من كل لون ما بين قرنيها فرسخ الراكب وعن ابن عباس رضى عنهما أنهـا مؤلفة ذات زغب وريش فيها من ألوان الدواب كلها وفيها من كل أمة سيما وسيماهم من هذه الأمة أنها تـكلم الناس بلسان عربى مبين تـكلمهم بكلامهم .

﴿ تنبيه ﴾ الزغب صغار الريش أول ما يطلع قاله فى النهاية وعن أبى الزبير أنه وصف الدابة فقال رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير أى وقد مر عن ابن عباس رضى الله عنهما أن وجهها وجه إنسان ومنقارها منقار طير بين كل مفصلين منها اثنى عشر ذراعا الأيل بفتح الهمزة وكسر التحتانية مشددة وبالعكس وبضم وفتح الوعل وهو تيس الجبل وعن عاصم بن حبيب بن أصبهان قال سمعت عليا على المنبر يقول إن دابة الأرض تأكل بفيها وتـكلم من استها وعن الحسن أن موسى سأل ربه إن يريه الدابة فخرجت ثلاثة أيام ولياليهن تذهب فى السماء لا يرى واحد من طرفيها قال فرأى منظراً فظيعا فقال رب ردها فردها وأما سيرتها فان معها عصى موسى وخاتم سليمان ابن داود تنادى بأعلى صوتها ان الناس كانوا بآياتنا لايوقنون وأنها تسم الناس المؤمن والـكافر فأما المؤمن فيرى وجهه كأنه كوكب درى ويـكتب بين عينيه مؤمن وأما الـكافر فيكتب بين عينية نكتة سوداء كافر .

﴿ تنبيه ﴾ يجوز فى إعراب هذا أن يـكون نكتة مرفوعا على أنه نائب فاعل يـكتب

وسوداء صفتها وكافر بدلا منه وأن يكون كافر نائب الفاعل ونكتة منصوبا على أنه حال منه تقدمت عليه وسوداء نعتها وفى رواية فتلقى المؤمن لتسمه فى وجهه ولكنه يبيض لها وجهه وتسم الكافر ولكنه يسود وجهه وفى رواية فارفض أى تفرق الناس الناس عنها شتى ومعا وثبت عصابة من المؤمنين وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله فبدات بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدرى وولت فى الأرض لايدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى أن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يافلان الآن تصلى فيقبل عليها فتسمه فى وجهه ثم تنطلق ويشترك الناس فى الأموال ويصطحبون فى الأمصار يعرف المؤمن الكافر وبالعكس حتى ان المؤمن يقول يا كافر اقضنى حقى وحتى أن الكافر ليقول يامؤمن اقضنى حقى وفى رواية تخرج فتصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من بين الخافقين وفى لفظ تستقبل المشرق فتصرخ صرخة تنفدها ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذها ثم تستقبل اليمن فتصرخ صرخة تنفذها وفى رواية لايبقى مؤمن إلا نكتت فى مسجده بعصا موسى نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه ولا يبقى كافر إلا نكتت فى وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان فتفشو تلك النكتة حتى يسود لها وجهه حتى أن الناس يتبايعون فى الأسواق بكم ذا يامؤمن وبكم ذا ياكافر ويقول هذا خذ يامؤمن ويقول هذا خذ ياكافر وفى رواية تأتى الرجل وهو يصلى فى المسجد فتقول ما الصلاة من حاجتك ماهذا إلاتعوذ ورياء فتخطمه وتكتب بين عينيه كذاب وقد مر أنها تقتل إبليس أو تخطمه وأما خروجها فقد ورد ان لها ثلاث خرجات فى الدهر فتخرج خرجة من أقصى البادية وفى رواية من أقصى اليمن ولا يدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم تكمن زمانا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى دون تلك فيعلو ذكرها فى أهل البادية ويدخل ذكرها القرية يعنى مكة قال ﷺ ثم بينما الناس فى أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها المسجد الحرام لم ترعهم إلا هى ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس عنها شتى هكذا ورد عن ابن عباس وحذيفة رضى الله عنهم وبعض طريق حديث حذيفة صحيح وعن ابن عباس أيضا انها تخرج من بعض أودية تهامة أى وهذا فى بعض خرجاتها والأول فى خرجاتها الاخيرة وعن أبى هريرة وابن عمر وابن عمرو وعائشة رضى الله عنهم أنها تخرج باجياد وعن ابن عمر أيضا أن رسول الله ﷺ أراه المكان الذى تخرج منه الدابة وأنه قبل الشق الذى فى الصفا وعن ابن عمر رضى الله

عنهما قال يكون خروجها من الصفا ليلة منى فيصبحون بين ذنبها ورأسها لا يدحض داحض ولا يخرج خارج حتى إذا فرغت مما أمر الله فهلك من هلك ونجا من نجا كان أول خطوة تضعها بإنطاكية وفى بعضها أنها تخرج من المروة وفى بعضها من مدينة قوم لوط وفى بعضها من وراء مكة .

(تنبيه) وجه الجمع بين هذه الروايات من وجهين أحدهما ان لها ثلاث خرجات ففى بعضها تخرج من مدينة قوم لوط ويصدق عليها أنها من أقصى البادية وفى بعضها تخرج من بعض أودية تهامة ويصدق عليها أنه من وراء مكة ومن اليمن لأن الحجاز يمانية ومن ثم قيل الكعبة يمانية وفى المرة الأخيرة تخرج من مكة وهى من عظم جثتها وطولها يمكن أن تخرج من بين المروة والصفا واجياد فإنها تمسك مقدار ثلاثة أيام وأكثر وحينئذ يصدق عليها أنها خرجت من المروة ومن الصفا ومن أجياد ومن المسجد وبالله التوفيق

الوجه الثانى أنها تخرج من جميع تلك الأماكن فى آن واحد خرقا للعادة فى صور مثالية وهذا أيضا مبنى على تحقيق المثال المحسوس وقد أفتى السيوطى فى رجلين حلفا بالطلاق كل حلف على أن الشيخ عبد القادر الطحطوطى بات عنده فى ليلة واحدة معينة بأنه لا يقع طلاق واحد منهما بناء على هذا قال وقد وقعت هذه المسئلة قديما وأفتى فيه العلماء بعدم الحنث انتهى ثم رأيت ابن علان قال فى تفسيره ضياء السبيل مالفظه وقيل تخرج فى كل بلد دابة مما هو مبثوث نوعها فى الأرض وليست واحدة فدابة على هذا القول اسم جنس انتهى وإذا قلنا بتعدد الصور المثالية أغنى عن القول بالجنسية وبالله التوفيق ومن الاشراط الدخان عن حذيفة بن أسيد قال اطلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا الساعة يارسول الله قال أنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال الحديث رواه مسلم والترمذى وابن ماجه ورواه حذيفة عن النبى ﷺ وأنه يمكث فى الأرض أربعين عاماً وفى رواية أنه يأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام وقد مر أنه يكون دخان عند هلاك ياجوج ومأجوج وأنه يمكث ثلاثا فيحتمل أن يكون هذا هو ويحتمل غيره لكنه لابد أن يكون قبل الريح الآتية لأن بعد الريح لايبقى مؤمن وعند الدخان يوجد المؤمنون كما هو صريح العبارة ومنها ريح طيبة تقبض روح كل مؤمن ورجوع الناس إلى عبادة الأوثان ودين آبائهم أخرج مسلم وغيره عن عائشة رضى الله عنها لاتذهب الأيام والليالى حتى تعبد اللات والعزى من دون الله الحديث وفيه فيبعث الله ريحا طيبة فيتوفى بها كل

مؤمن فى قلبه مثقال حبة من الإيمان فيبقى من لاخير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم وله شاهد من حديث حذيفة بن أسيد وأخرج أحمد ومسلم عن ابن عمرو قال ثم يرسل الله يعنى بعد موت عيسى ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكراً فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيقولون فما تأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها وهم فى ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ فى الصور .

﴿ تنبيه ﴾ هذا ينافى ما مر من قتل الدابة إبليس بحسب الظاهر ويمكن أن يقال على بعد أن هذا الشيطان غير إبليس وروى أحمد ومسلم والترمذى عن النواس ابن سمعان فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها أى يتسافدون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة وقد مر عن ابن مسعود أن المؤمنين يتمتعون بعد الدابة أربعين سنة ثم يعود فيهم الموت ويسرع فلا يبقى مؤمن ويبقى الكفار يتهارجون فى الطرق كالبهائم الحديث وفيه فيكونون على مثل ذلك حتى لا يولد أحد من نكاح ثم يعقم الله النساء ثلاثين سنة ويكون كلهم أولاد زنا شرار الناس عليهم تقوم الساعة وأخرج الحاكم عن أبى هريرة أن الله يبعث ريحا من اليمن السين من الحرير فلا تدع أحداً فى قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته .

﴿ تنبيه ﴾ قال المناوى فى تخريج أحاديث المصابيح ويجاب عن اختلاف الروايتين يعنى كون الريح من قبل الشام ومن اليمن بأنهما ريحان شامية ويمانية وأخرج ابن ماجه عن حذيفة بن اليمان قال يدرس الإسلام كما يدرس وشىء الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة فنحن نقولها فقال رجل لحذيفة فما تغنى عنهم الكلمة فاعرض عنه حذيفة فأعاد عليه السؤال ثانيا وثالثا فقال فى الثالثة تنجيهم من النار وأخرج أحمد بسند قوى عن أنس رضى الله عنه قال لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض لا إله إلا الله وهو عند مسلم لكن بلفظ الله الله فدلت الأحاديث المذكورة على أن المراد بالشرار فى الحديث هم الذين لا يقولون لا إله إلا الله والله الله وأنه مادام فى النوع الإنسانى من يقول هذه الكلمة لا تقوم الساعة وإنما تقوم على الكفار الذين لا يعرفون نكاحا لا يولدون من نكاح فيكونون بهائم فى صورة

الإنسان وليسوا بإنسان حقيقة أولئك كالانعام بل هم أضل (تكملة) فى فائدة ذكرها الشيخ الكبير محى الدين بن العربى رحمه الله فى الفصوص فى الفص الشيثى فلنذكر كلامه مع شرحه للعلامة المحقق نور الدين عبد الرحمن الجامى قدس الله أسرارهما قال رحمه الله (وعلى قدم شيث عليه السلام) بل على قلبه فى التهيؤ للتجليات الذاتيه والعطايا الوهبية (يكون آخر مولود يولد فى النوع الإنسانى) لأن مراتب الوجود دورية فكما أن شيثا عليه السلام كان أول مولود من سلسلة أولاد آدم المنتهية إلينا ينبغى أن يكون آخر مولود أيضا كذلك ليتم الدائرة بانطباق آخرها على أولها (وهو حامل أسراره) من علومه وتجلياته لما ذكرنا (وليس يولد بعده) ولد آخر (فى هذا النوع الإنسانى فهو خاتم الأولاد يولد معه) فى بطن واحد (أخت له) كما أن شيثا عليه السلام أيضا كان كذلك فإن حواء كانت تلد لآدم فى كل بطن ذكر وأنثى (فتخرج أخته) قبله (ويخرج) هو بعدها لأنه لو لم يتأخر عنها فى الولادة لم يكن خاتم الاولاد ويشبه أن يكون شيث عليه السلام مع أخته بعكس ذلك ليكون أول مولود (يكون رأسه عند رجليها ويكون مولوده بالصين) أقصى البلاد (ولغته لغة بلده ويسرى بعد ولادته العقم فى الرجال والنساء فيكثر النكاح من غير ولادة ويدعوهم إلى الله فلا يجاب فى هذه الدعوة (فإذا قبضه الله) وقبض مؤمنى زمانه (بقى من بقى مثل البهائم) فهم حيوانات فى صور الإنسان لاظهار كمال الحقائق الحيوانية الطبيعية البهيمية السبعية فى الصورة الإنسانية تماما على ماتقتضيه الطبيعة من حيث هى هى من غير وازع عقلى أو مانع شرعى (لايحلون حلالا ولا يحرمون حراما ويتصرفون) بحكم الطبيعة (بشهوة مجردة عن) العقل والشرع (فعليهم تقوم الساعة وتخرب الدنيا وانتقل الأمر إلى الآخرة انتهى) تنبيه مراد الشيخ رضى الله عنه بقوله ليس يولد بعده ولد فى هذا النوع الانسانى فهو خاتم الاولاد انتهى الإنسانى الحقيقى فهو خاتم أولاد المؤمنين أو خاتم أولاد النكاح فيكون العقم مرتين مرة فى المنكوحات ومرة فى مطلق النساء كما يشير له قول الشارح فيكثر النكاح من غير ولادة فان النكاح يطلق على العقد كما يطلق على الجماع فلا ينافى أن يولد بعده بهائم فى صورة الإنسان كما يشير اليه كلامه أو من الزنا كما صرح به حديث ابن مسعود المار فيكونون على مثل ذلك حتى لا يولد أحد من نكاح ثم يعقم الله النساء ثلاثين سنة ويكونون كلهم أولاد زنا شرار الناس عليهم تقوم الساعة فلا منافاة بين الحديث وكلام الشيخ والحديث وأن ضعفه الحاكم

فالكشف الصحيح يدل على صحة هذا المقدار منه ولبقيته بل وللمجموعة؛ واحد وقد مرت

﴿ تنبيه ﴾ آخر حكمة عقم النساء ثلاثين سنة والعلم عند الله تعالى أنهم لو توالدوا لزم تعذيب الصبيان قبل البلوغ وقد قال ﷺ رفع القلم عن ثلاث ومنهم الصبي حتى يبلغ والبلوغ وإن كان يحصل بخمسه عشر لكنه تعالى يعلم حتى يبلغوا أشدهم الزاما للحجة لا يقال هم أهل الفترة فكيف يعذبهم لأنه قد مر عن شرح الفصوص أن المولود المذكور يدعوهم إلى الله فلا يجاب ولا مانع أن يبقى الله ذلك المولود بعد هلاك جميع المؤمنين الزاما للحجة وبالله التوفيق وهذا إنما يوافق القول بأن الشيطان لا تقتله الدابة وأن الأعمال تكتب بعد طلوع الشمس من مغربها .

﴿ تنبيه ﴾ آخر ينافى ما ذكر بحسب الظاهر قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين الحديث فان ظاهر الروايات السابقة أنه لا يبقى أحد من المؤمنين فضلا عن القائم بالحق وظاهر هذا البقاء قال الحافظ فى فتح البارى يمكن أن يكون المراد بقوله أمر الله هبوب تلك الريح فيكون ظهور تلك الطائفة قبل هبوبها قال فبهذا الجمع يزول الاشكال بتوفيق الله تعالى انتهى ولا يأبى هذا كل الاباء ماورد فى بعض الروايات مكان أمر الله يوم القيامة لأن ماقارب الشيء يعطى حكمه فهذا الوقت يقربه من القيمة يطلق عليه القيمة وجه هذا أحسن من جمع غيره بأن يكفر بعض الناس ويبقى بعضهم لمنافاتة للخلايات الواردة كما لا يخفى ويوضحه مارواه الحاكم وصححه عن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاتزال عصابه من أمتى يقاتلون على أمر الله قاهرين على العدو لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة فقال عبد الله بن عمر وأجل ويبعث ريحا ريحها المسك ومسها مس الحرير فلا تترك نفسا فى قلبه من مثقال حبة من الايمان إلا قبضته ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة فان قول ابن عمرو هذا فى مقابلة ما رواه عقبة كالصريح فيما قلناه والله أعلم . ومنها رفع القرآن من المصاحف ومن الصدور روى الديلمى عن حذيفة وأبى هريرة مما قالا يسرى على كتاب الله ليلا فيصبح الناس وليس منه آية ولا حرف فى جوف إلا نسخت وروى عن ابن عمر لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث جاء فيكون له دوى حول العرش كدوى النحل فيقول الرب عز وجل مالك فيقول منك خرجت واليك عدت

أتلى فلا يعمل بى فعند ذلك رفع القرآن وأخرج السجزى عن إبن عمر رضى الله عنهما قال لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن والمقام ورؤيا النبى فى المنام وروى ابن ماجه بسند قوى والحاكم والبيهقى والضياء عن حذيفة رضى الله عنه يدرس الإسلام كما يدرس وشى الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسرى على كتاب الله فى ليلة فلا يبقى فى الأرض منه آية وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها ومنها هدم الكعبة وقد مر بأحاديثه وتوجيهها وإنما ذكرته هنا لان بعضهم قال ذلك بعد موت المؤمنين قرب القيمة عند انقطاع الحج . ومنها رجوع الناس إلى عبادة الأوثان وقد مرت أحاديثها وان بعضهم يؤمن بالدجال فهذا محط حديث تلحق قبائل من أمتى بالمشركين ويكفرون جميعا قبل يوم القيامة وهذا محط الاحاديث المصرحة بالعموم وكلاهما من الاشراط والله أعلم ومنها ريح تلقى الناس فى البحر أخرج الستة إلا البخارى عن حذيفة بن أسيد مرفوعا لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات وقال فى العاشر وريح تلقى الناس فى البحر وفى لفظ الترمذى والعاشرة إما ريح تطرحهم فى البحر وإما نزول عيسى ابن مريم بالشك من الراوى والمراد بكون عيسى عاشرا فى العد لا فى الوقوع وظاهره أن هذه غير الريح التى تلقى يأجوج ومأجوج فى البحر كما مر وان هذه تكون عند خروج النار الآتى ذكرها ويحتمل أن تكون إياها والله أعلم ومنها تقارب الزمان وقصر الأيام بحيث تكون السنة كالشهر ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضرمة بالنار واللفظ للترمذى وقد مر فى بحث الدجال أن هذا يصير فى زمانه أيضا ولا مانع من تكرره مرتين مرة فى زمنه ومرة فى آخر الزمان فالقدرة صالحة لكل شىء ومن الاشراط العظام وهى آخرها نار تخرج من قعر عدن تحشر الناس إلى محشرهم أخرج أحمد والبخارى عن أنس رضى الله عنه أما أول أشراط الساعة فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس إلى المغرب وأما أول ما يأكل أهل الجنة فزيادة كبد الحوت الحديث وأخرج الستة غير البخارى عن حذيفة بن أسيد مرفوعا لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات الحديث وفيه وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم ويروى نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر وفى لفظ من قعر عدن أبين وأبين بوزن أحمر إسم الملك الذى بناها قال فى النهاية وقد مر وجه الجمع بين أوليتها وآخريتها وأخرج أحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما

وهو وأبو داود والحاكم وأبو نعيم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال ستكون هجرة بعد هجرة لخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم ويبقى فى الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم وتقذرهم نفس الله وتحشرهم النار مع القردة والخنازير تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا وتأكل من تخلف .

﴿ تنبيه ﴾ قوله تقذرهم نفس الله من المتشابهات فيجب الايمان بها على مراد الله ومراد رسوله ولا حاجة إلى تأويله فان الحديث كالقرآن لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم لأنهم يقولون آمنا به كل من عند ربنا فيفتح لهم إيمانهم به العلم بتأويله وأخرج أحمد والترمذى وقال حسن صحيح عن ابن عمر ستخرج نار من حضرموت أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس قالوا يا رسول الله فما تأمرنا قال عليكم بالشام وهذا هو المراد بمهاجر إبراهيم فى الرواية السابقة وأخرج الطبرانى وابن عساكر عن حذيفة ابن اليمانى قال لتقصدنكم نار هى اليوم خامدة فى واد يقال له برهوت تغشى الناس فيها عذاب أليم تأكل الأنفس والأموال تدور الدنيا كلها فى ثمانية أيام تطير طير الريح والسحاب حرها بالليل أشد من حرها بالنهار ولها بين السماء والأرض دوى كدوى الرعد القاصف وهى من روس الخلائق أدنى من العرش قيل يا رسول الله أسليمة يومئذ على المؤمنين والمؤمنات قال وأين المؤمنين والمؤمنات يومئذ هم شر من الحمر يتسافدون كما يتسافد البهائم وليس فيهم رجل يقول مه مه وأخرج أحمد والبغوى والبارودى وابن قانع وابن حبان والطبرانى والحاكم وأبو نعيم عن رافع بن بشر السلمى قال يوشك أن تخرج نار من حبس سيل تسير سير بطيئة الابل تسير بالنهار وتقيم بالليل تغدو وتروح يقال غدت النهار أيها الناس فاغدوا قالت النار أيها الناس فقيلوا راحت النار أيها الناس فروحوا من أدركته أكلته

﴿ تنبيه ﴾ هذه النار المذكورة فى هذه الأحاديث الخارجة من قعر عدن غير نار المدينة المار ذكرها فى القسم الأول ولا ينافى هذه الرواية أن هذه تخرج من حبس سيل أيضا لأن أصل خروجها من برهوت ويقال له وادى النار وهو فى قعر عدن وعدن بناحية حضرموت وعلى ساحل البحر فالعبارات مآلها واحد وتمر بحبس سيل أيضا والخطاب مع أهل المدينة وحبس سيل شرقى المدينة فوصول النهار إليها يكون قبل وصولها المدينة فيصح أن يقال لهم تخرج نار من حبس سيل .

(فائدة) نقل الحافظ بن حجر عن القرطبى أن الحشر أربعة حشران فى الدنيا وحشران فى الآخرة فالذى فى الدنيا المذكور فى سورة الحشر وهو حشر اليهود إلى الشام والثانى الحشر المذكور فى أشراط الساعة وفى حديث أنس فى مسئلة عبد الله بن سلام النبى صلى الله عليه وسلم لما أسلم أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب وفى حديث عبد الله بن عمر عند الحاكم رفعه تبعث على أهل المشرق نار فتحشرهم إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ويكون لها ماسقط منهم وتخلف وتسوقهم سوق الجمل الكبير قال الحافظ بن حجر وكونها تخرج من قعر عدن لا ينافى حشرها الناس من المشرق إلى المغرب لأن ابتداء خروجها من عدن فاذا خرجت انتشرت فى الأرض كلها أى كما فى رواية الطبرانى وابن عساكر عن حذيفة المارة أنها تدور الدنيا كلها فى ثمانية أيام أو أن المراد تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب أى يكون المعنى تحشر من بين المشرق والمغرب أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق .

(تنبيه) يجمع بين قوله تدور الدنيا كلها فى ثمانية أيام وبين أنها تسير سير بطيئة الابل والجمل الكبير وتبيت وتقيل بأن انتشارها فى ثمانية أيام ثم تسير على سير الناس بعد ذلك والثالث حشر الأموات من قبورهم بعد البعث جميعا قال تعالى وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً والرابع حشرهم إلى الجنة أو النار ا قال الحافظ الحشر الاول ليس حشرا مستقلا فان المراد حشر كل موجود يومئذ والأول إنما وقع لفرقة مخصوصة وهذا وقع كثيرا كما وقع لبنى أمية أن ابن الزبير أخرجهم من المدينة إلى الى جهة الشام اه قلت المراد ماسمى حشرا على لسان الشارع وقد سمى الله الأول حشرا بخلاف غيره فظهر الفرق .

(خاتمة) اختلف الناس هل هذا الحشر قبل يوم القيامة أوهو يوم القيامة وعلى الأول هل النار حقيقة أو مجاز والمراد بها الفتن مال الى الثانى الحليمى وجزم به الغزالى قالوا ويدل له حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى الصحيحين وغيرهما يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا أى فالحديث كالتفسير لقوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة الآية قال الحافظ ابن حجر ويؤيده حديث أبى ذر عند أحمد والنسائى والبيهقى حدثنى الصادق المصدوق أن الناس يحشرون يوم القيامة ثلاثة أفواج فوج طاعمين

كاسين راكبين وفوج يمشون وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم الحديث ثم اختلفوا على هذا القول فى الجمع بين حديث أبى هريرة رضى الله عنه هذا وحديث ابن عباس رضى الله عنهما فى الصحيحين وغيرهما مرفوعا أنكم تحشرون حفاة عراة غرلا الحديث فقال الاسمعيلى الحشر يعبر به عن النشر أيضا لاتصاله به وهو اخراج الخلق من القبور فيخرجون من القبور حفاة عراة فيساقون ويجمعون الى الموقف للحساب ثم يحشر المتقون ركبانا على الابل أى والمجرمون على وجوههم وقال غيره يخرجون من القبور على مافى حديث ابن عباس رضى الله عنهما ثم يحشرون الى الموقف على مافى حديث أبى هريرة وقال بعض شراح المصابيح أى وهو التوربشتى حمل الحشر على هذا أقوى من وجوه أحدها اذا أطلق الحشر يراد به شرعا الحشر من القبور مالم يخصصه دليل ثانيها أن التقسيم المذكور فى الخبر لايستقيم فى الحشر الى أرض الشام لأن المهاجر لابدأن يكون راغبا أو راهبا أو جامعا بين الصفتين فأما أن يكون راغبا راهبا فقط وتكون هذه طريقة واحدة لاثانى لها من جنسها ثالثها حشر البقية على ماذكر والجاء النار اليهم الى تلك الجهة وملازمتها حتى لاتفارقهم قول لم يرد به التوقيف وليس لنا أن نحكم بتسليط النار فى الدنيا على أهل الشقوة من غير توقيف رابعها أن الحديث يفسر بعضه بعضا وقد وقع من حديث أبى هريرة بلفظ ثلثا على الدواب وثلثا ينسلون على أقدامهم وثلثا على وجوههم قال وترى أن هذا التقسيم نظير التقسيم الذى فى سورة الواقعة وكنتم أزواجا ثلاثة الآيات فقوله فى الحديث راغبين راهبين يريد عموم المؤمنين الخالطين عملا صالحا وآخر سيئا وهم أصحاب الميمنة وقوله اثنان على بعير الى آخره يريد السابقين وهم أفاضل المؤمنين ركبانا وقوله وتحشر بقيتهم النار يريد أصحاب المشأمة فيحتمل أن البعير يحمل عشرة دفعة واحدة لأنه يكون من بديع قدرة الله فيقوى على مالا يقدر عليه عشرة من بعران الدنيا ويحتمل أن يتعاقبوه اه ملخصا وقال الخطابى والقرطبى وصوبه القاضى عياض وقواه بحديث حذيفة بن أسد أن هذا الحشر يكون قبل يوم القيامة يحشر الناس أحياء الى الشام وأما الحشر من القبور فهو على مافى حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال وقوله اثنان على بعير الى عشرة ويزيد أنهم يعتقبون البعير الواحد يركب بعض ويمشى بعض أى وذلك لقلة الظهر كما فى بعض الاحاديث قال القاضى عياض ويقويه آخر حديث أبى هريرة تقيل معهم معهم وتبيت وتصبح وتمسى وأن هذه الاوصاف مختصة بالدنيا ورجحه الطيبى وتعقب على الشارح المذكور وأجاب عن أول وجوه ترجيحه بأن الدليل المخصص ثابت

فقد ورد فى عدة أحاديث وقوع الحشر فى الدنيا إلى جهة الشام.وذكر حديث حذيفة
ابن أسيد السابق ذكره وحديث معاوية بن حيدة رفعه إنكم محشورون ونحى بيده نحو
الشام رجالا وركبانا وتخرون على وجوهكم أخرجه الترمذى والنسائى وسنده قوى وحديث
ستكون هجرة بعد هجرة وينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم ولا يبقى فى الارض إلا شرارها
تلفظهم أرضوهم تحشرهم النار مع القردة والخنازير تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا
قالوا أخرجه أحمد بسند لا بأس به وحديث ستخرج نار من حضرموت تحشر الناس قالوا
فما تأمرنا يارسول الله قال عليكم بالشام قال فليس المراد بالنار فى هذه الاحاديث نار الآخرة
كما زعمه المعترض وإلا لقيل تحشر بقيتهم إلى النار وقد قال تحشر بقيتهم النار فاضاف الحشر
اليها قال والجواب عن الثانى أن التقسيم المذكور فى سورة الواقعة لا يستلزم ان يكون هو
التقسيم المذكور فى الحديث فان الذى فى الحديث ورد على القصد من الخلاص من الفتنة
فمن اغتنم الفرصة سار على فسحة من الظهر ويسرة فى الزاد راغبا فيما يستقبل راهبا مما يستدبره
وهؤلاء هم الصنف الأول فى الحديث فمن توانى حتى قل الظهر وضاق أن يسعهم لركوبهم
اشتركوا أو ركبوا عقبة فيحصل اشتراك الاثنين فى البعير الواحد وكذا الثلاثة يمكنهم
كل من الامرين وأما الأربعة فالظاهر من حالهم التعاقب وقد يمكن الاشتراك إذا
كانوا خفافا أو أطفالا وأما العشرة فبالتعاقب لا غير وسكت عما فوقها اشارة الى أنها
المنتهى فى ذلك وعما بينهما وبين الأربعة ايجازا واختصارا وهؤلاء هم الصنف الثانى
فى الحديث وأما الصنف الثالث فعبر عنه بقوله تحشر بقيتهم النار اشارة الى أنهم عجزوا
عن تحصيل ما يركبونه ولم يقع فى الحديث بيان حالهم بل يحتمل أنهم يمشون أو يسحبون
فرارا من النار ويؤيد ذلك ما وقع فى آخر حديث أبى ذر الذى تقدمت الإشارة اليه
فى كلام المعترض وفيه أنهم سالوا عن السبب فى مشى المذكورين فقال تلق الآفة على
الظهر حتى لا يبقى ذات ظهر حتى أن الرجل ليعطى الحديقة المعجبة بالشارف أى
الناقة المسن ذات القتب أى يشتريها بالبستان الكريم لهوان العقار الذى عزم على
الرحيل عنه وعزة الظهر الذى يوصله الى مقصوده وهذا لائق بحال الدنيا دون
الآخرة مؤكدا لما ذهب اليه الخطابى وغيره ويتنزل على وفق حديث الباب يعنى حديث
المصابيح وهو أن قوله فوج طاعمين كاسين راكبين موافق لقوله راغبين راهبين وقوله
وفوج يمشون موافق للصنف الذين يتعاقبون على البعير فان صفة المشى لازمة لهم
وأما الصنف الذين تحشرهم النار فهم الذين تسحبهم الملائكة قال والجواب عن الثالث

أنه تبين بشواهد الحديث أنه ليس المراد بالنار نار الآخرة وإنما هى نار تخرج من الدنيا أنذر النبى صلى الله عليه وسلم بخروجها وذكر كيفية ماتفعل فى الاحاديث المذكورة والجواب عن الرابع أن حديث أبى هريرة من رواية على بن زيد أى الذى استدل به المعترض مع ضعفه لايخالف حديث الباب لأنه موافق لحديث أبى ذر فى لفظه وقد تبين من حديث أبى ذر مادل على أنه فى الدنيا لابعد البعث فى الحشر إلى الموقف إذ لاحديقة هناك ولا آفة تلقى على الظهر ووقع فى حديث على بن زيد المذكور عند أحمد أنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك وأرض الموقف مستوية لاعوج فيها ولا أمتا ولا حدب ولا شوك قال هذا ماسنح لى على سبيل الاجتهاد ثم رأيت فى صحيح البخارى فى باب الحشر يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق فعلمت من ذلك أن الذى ذهب إليه الإمام التوربشتى هو الحق الذى لامحيد عنه اه كلام الطيبى مع التخيص قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى بعدما نقل ذلك عنه مانصه قلت ولم أقف فى شىء من طرق الحديث الذى أخرجه البخارى على لفظ يوم القيامة لافى صحيحه ولافى غيره وكذا هو عند مسلم والاسماعيلى وغيرهما ليس فيه يوم القيامة نعم ثبت لفظ يوم القيامة فى حديث أبى ذر المنبه عليه قبل وهو مؤول بأن المراد بذلك أن يوم القيامة بعقب ذلك فيكون مجاز المجاورة ويتعين ذلك لما وقع فيه أن الظهر يقل بما يلقى عليه من الآفة وأن الرجل يشترى الشارف الواحد بالحديقة المعجبة فان ذلك ظاهر جدا فى أنه من أحوال الدنيا لابعد البعث اه كلام الحافظ بلفظه وحاصله أن حمل لفظه من الحديث على المجاز أهون من إلغاء جملة من الفاظه وإبطال معنى الحديث فيتعين وعلى هذا فلو ثبت لفظ يوم القيامة فى البخارى أيضا لوجب تأويله بذلك كذلك لذلك وأقول قد مر فى حديث ابن عمر عند أحمد والترمذى وقال حسن صحيح ستخرج نار من حضرموت أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس الحديث فقد صرح بكونه قبل يوم القيامة وحديث حذيفة بن أسيد عند غير البخارى لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها الحديث فقد تعارض مع حديث البخارى المذكور على تقدير ثبوت لفظة يوم القيامة ولا يمكن تأويلهما بخلافه فوجب المصير إليه دفعا للتعارض فثبت أن الحق أن النار قبل يوم القيامه وبالله التوفيق فان قلت كون النار آخر الآيات يستلزم أن لايكون فى الأرض خيار وقد صرح بذلك فى حديث حذيفة عند الطبرانى وابن عساكر المار فان فيه قيل يارسول الله أهى سليمة على المؤمنين والمؤمنات قال وأين المؤمنون والمؤمنات

يومئذ الحديث وفى حديث ابن عمر عند أحمد وأبى عبيدة وعند أبى داود والحاكم وأبى نعيم لخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم وفى بعض الأحاديث راغبين راهبين وطاعمين كاسين فيلزم أن يوجد الخيار يومئذ وهذا تناقض أو كتناقض قلت ليس فى الحديث إلا أن خير الناس بها جرون باختيارهم إلى الشام فى رفاهية ورخاء ولا يلزم من ذلك أن يبقوا إلى خروج النار بل الثابت أن الريح تقبضهم ولا يبقى إلا الشرار وأن المراد خيارهم فى حال حياة الدنيا من يذهب بنفسه وهم الطاعمون الكاسون الذين يجدون الظهر والسعة ولا يلزم من ذلك أن يكونوا خيارا عند الله وكونهم راغبين فى الوصول إلى السلامة راهبين من النار كما فسره به الطيبى لايلزم منه أن يكونوا مؤمنين وهذا واضح وبالله التوفيق لسلوك أوضح طريق انه بالاجابة حقيق وبعباده رفيق (تذنيب) ورد فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن آخر من يحشر راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحوشا حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما وثنية الوداع قرب المدينة إلى جهة الشام على الاصح وفى رواية ابن شيبة عنه رجلان رجل من جهينة وآخر من مزينة فيقولان أين الناس فيأتيان المدينة فلا يجدان إلا الثعالب فينزل إليهما ملكان فيسحبانهما على وجوههما حتى يلحقانهما بالناس وروى ابن شيبة أيضا عن حذيفة بن أسيد قال آخر الناس محشرا رجلان من مزينة يفقدان الناس فيقول أحدهما لصاحبه قد فقدنا الناس منذ حين انطلق بنا إلى شخص من بنى فلان فينطلقان فلا يجدان أحداً ثم يقول انطلق بنا إلى المدينة فينطلقان فلا يجدان بها أحداً فيقول انطلق بنا إلى منزل قريش ببقيع الغرقد فينطلقان فلا يريان إلا السباع والثعالب فيتوجهان نحو البيت الحرام قال السمهودى فى الجمع بينهما وكأنه إذا توجها نحو البيت الحرم ينزل إليهما الملكان قبل ذهابهما فلا يخالف ماتقدم انتهى قلت وكونهما من مزينة تغليب لأن أحدهما من جهينة كما فى رواية ابن شبة والله أعلم وهذا الحشر لعله من نفخ الصور فان بعد النار المذكورة ينفخ فى الصور وتقوم الساعة روى الشيخان عن أبى هريرة مرفوعا لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما يتبايعانه فلا يطويانه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه أى يلطخه بالطين يقال لاط حوضه يليطه ويلوطه اذا لطخه بالطين وأصلحه فلا يسقى فيه أى ابله ودوابه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته أى بضم الهمزه يعنى لقمته الى فيه فلا يطعمها أى لايأكلها وفى حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم والنسائى يخرج الدجال فيمكث أربعين لاأدرى أربعين يوما أو شهراً أو عاما الحديث وفيه يبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع الى أن قال ثم ينفخ

فى الصور فلا يسمع أحد الا أصغى ليتا ورفع ليتا قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس قال فى النهاية الليت أى بكسر اللام اللام صفحة العنق وهما ليتان واصغى امال انتهى والمعنى أنه يرفع احدى أذنيه نحو السماء كما يستمع النداء من فوق وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه مابين النفختين أربعون عاما ونحوه عند أبى داود وابن مردويه عنه وروى ابن المبارك عن الحسن مثله وعند مسلم والنسائى ثم يرسل الله مطراً كأنه الطل فينبت منه أجساد بنى آدم ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال يأيها الناس هلم الى ربكم وقفوهم انهم مسئولون الحديث ونسأل الله العفو والعافية التامة والمغفرة العامة فى الدارين لنا ولو الدينا ولجميع المسلمين ولمشايخنا فى الدين ولاخواننا دينا وطينا ولأمة محمد أجمعين انه أرحم الراحمين آمين .

(خاتمة) نختم بها الكتاب ان شاء الله تعالى تتميما للفائدة فنقول قال الإمام الحافظ الحجة جلال الدين عبد الرحمن السيوطى فى رسالته المسماة بالكشف فى مجاوزة هذه الأمة الألف الذى دلت عليه الآثار أن مدة هذه الأمة تزيد على ألف سنة ولا تبلغ الزيادة عليها خمسمائة سنة وذلك لأنه ورد من طرق أن مدة الدنيا أى من لدن آدم عليه السلام الى قيام الساعة سبعة آلاف سنة وأن النبى صلى الله عليه وسلم بعث فى آخر الالف السادس قال وورد أن الدجال يخرج على رأس مائة سنة وينزل عيسى عليه السلام فيقتله فيمكث فى الأرض أربعين سنة وأن الناس يمكثون بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة وأن بين النفختين أربعين سنة فهذه مائتا سنه لابد منها قال ولا يمكن أن تكون المدة ألفا وخمسمائة سنة أصلا ثم ساق بسنده الأحاديث الدالة على ماذكره مستوفيا لطرقها أقول الذى فهم مما مر من الأحاديث التى ذكرناها فى القسم الثالث أن المهدى يمكث فى الأرض أربعين سنة وأن عيسى يمكث بعد الدجال أربعين سنة كما رواه الحاكم فى المستدرك عن ابن مسعود رضى الله عنه وأن عيسى ينزل فيقتل الدجال فيتمتعون أربعين سنة لايموت أحد ولا يمرض أحد ويقول الرجل لغنمه ولدابته اذهبوا فارعوا وتمر الماشية بين الزرعين لاتأكل منه سنبلة والحيات والعقارب لاتؤذى أحداً والسبع على أبواب الدور ويأخذ الرجل المدمن القمح فيبذره بلا حرث فيجىء منه سبعمائة مد الحديث فانه ظاهر فى أن الأربعين بعد الدجال وأن بعد عيسى يتولى أمراء منهم القحطانى يتولى احدى وعشرين سنة ولنفرض لبقيتهم الى طلوع الشمس من المغرب عشرين سنة

أيضا ان لم تكن أكثر فهذه مائة وعشرون سنة ومران الدجال يمكث أربعين سنة فإن لم تكن سنين فلا أقل من مقدار سنين لأن أيامه طوال وأن بعد طلوع الشمس من مغربها يمكث الناس مائة وعشرين سنة وفى رواية أن الشرار بعد الخيار عشرون ومائة سنة ومر أيضا أن المؤمنين يتمتعون بعد طلوعها أربعين سنة ثم يسرع فيهم الموت فهذه ثلثمائة وعشرون سنة وقد مضى بعد الألف قريب من ثمانين فهذه أربعمائة والى تمام هذه المائة تبلغ أربعمائة وثلاثين وقد مر عن السيوطى أنه لاتبلغ خمسمائة بل أخذ بعضهم من قوله تعالى فهل ينظرون الاالساعةأن تأتيهم بغتة وقوله لاتأتيهم الا بغتة أن الساعة تقوم سنة سبع بعد أربعمائة فان عدد حروف بغته ألف وأربعمائةوسبع والعلم عند الله تعالى فيحتمل خروج المهدى على رأس هذه المائة احتمالا قويا بل قبل المائة اذ الدجال يخرج فى خلافته وهو كما مر يخرج على رأس المائة ويحتمل أن يتاخر المائة الثانية ولا يفوتها قطعا واذا تاخر فلا بد أن يبعث الله على رأس هذه المائة من يحيي للأمة أمر دينها كما ورد فى حديث مشهور قال الحافظ السيوطى فى منظومته .

والشرط فى ذلك أن تمضى المائة ... وهو على حياته بين الفئه
يشار بالعلم الى مقامه ... وينصر السنة فى كلامه
وأن يكون فى حديث قد روى ... من أهل بيت المصطفى وهو قوى

ويرجح الاحتمال الثانى ماأخرج نعيم بن حماد عن محمد بن الحنفية قال يقوم المهدى سنة مائتين وأخرج عن جعفر الصادق قال يقوم المهدى سنة مائتين وأخرج أيضا عن أبى قبيل قال اجتماع الناس على المهدى سنة أربع ومائتين .

(تنبيه) وجه الجمع بين الروايات أن كمال ظهوره وذلك انما يكون بفتح القسطنطينية يكون سنة مائتين وتجمع عليه الناس اجمعون سنة أربع ومائتين وذلك بعد فتح الروميه والقاطع وهذا لاينافى خروج الدجال على رأس مائة لأنه باعتبار أول خروجه بالمشرق وادعائه الخلافة أولأن الأربع والخمس بل والعشرمن أول المائة يعد من رأس المائة عرفا وعلى هذا فيكون خروج المهدى بسبع أو بتسع أو بثلاثين أو باربعين قبل المائة لايخرجه عن كونه يخرج على رأس المائة وكذلك أن تاخر آخر مدته عن رأس المائة وهذه كلها مظنونات وردت باخبار الآحاد بعضها صحاح وبعضها حسان وبعضها ضعاف مع شواهد وبعضها بغير شواهد وغاية ماثبت بالاخبار الصحيحة الصريحة الكثيرة الشهيرة التى بلغت التواتر المعنوى وجود الآيات العظام التى منها بل أولها خروج المهدى وأنه ياتى فى آخر الزمان من ولد فاطمة

يملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلما وأنه يقاتل الروم فى الملحمة ويفتح القسطنطينية ويخرج الدجال فى زمنه وينزل عيسى ويصلى خلفه وماسوى ذلك كله أمور مظنونة أومشكوكة والله أعلم بحقيقة الحال ونعوذ بالله من الزيغ والضلال والغلوفى المقال والحمد لله على كل حال والصلاة على حائز قصب الكمال فى الغدو والآصال وعلى آله وصحبه خير صحب وآل وغفر الله لنا ولوالدينا وآبائنا واخواننا طينا ودينا وصلبا وقلبا ولجميع أمة محمد آمين .

قال مؤلفه الفقير الى الله تعالى محمد بن عبد الرسول بن عبد السيد العلوى الحسينى الموسوى الشهر زورى البرزنجى ثم المدنى عفى الله عنه اتفق ختمها يوم الأربعاء بين الصلاتين حادى عشر شهر الله الحرام ذى القعدة من شهور سنة ١٠٧٦ بالمدينة النبوية بمنزلى بالزقاق المعروف بالسويقه حامداً ومصليا مستغفراً محسبلا محوقلا داعيا بالمغفرة للمسلمين والمسلمات .

جعلها الله ذريعة ليوم المعاد بجاه سيد العباد
آمـــين

(تم بحمد الله تعالى)

خاتمة الطبع

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات والسلام على سيدنا محمد أشرف المخلوقات وعلى آله وأصحابه ذوى النفوس الزكيات وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الممات

(وبعد)

فقد تم طبع هـذا الكتاب اللطيف المغنى بمحاسنه
عن التعـريف وقد قام بطبعه وإخراجه
مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى ـ القاهره
وكان الفراغ من طبعه فى منتصف
شهر رجب سنة ١٣٩٣ هجرية
على صاحبها أزكى
السلام وأفضل التحية
وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما
كثيراً

ترجمة المصنف

هو إمام الأئمة الأعلام وقدوة الفضلاء وحجة الإسلام مسك ختام المحققين من الأوائل والأواخر وصدر صدور المدققين من الأماثل والأكابر لسان المتكلمين سند المناظرين أستاذ الأساتذة شرقا وغربا وجهبذ الجهابذة عجما وعربا مجدد الملة المحمدية ومشيد دعائم الشريعة الإسلامية كشاف مشكلات الفروع والأصول برأيه الصائب وحلال معضلات المعقول والمنقول بفكره الثاقب بحر العلم الذى لاتدرك منتهاه الأفهام وطود الفضل الذى تقصر عن وصفه ألسنة الأقلام وحيد الزمان المتحقق بحقائق المواهب اللدنية وفريد الأوان المتضلع من أذواق السنة النبوية سعد الفضلاء الحائز قصب السبق فى كل مضمار وسيد العلماء السائر ذكره مسير الشمس فى رابعة النهار تاج الشريعة المنشور علم فضله فى الآفاق والمشهود له بأنه أحد أفراد العالم علما وعملا بالاتفاق شمس التقى والزهادة وبدر الشرف والسيادة مولانا السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجى الحسينى الموسوى الشافعى الشهرزورى المدنى ولد طيب الله ثراه وجعل مقعد الصدق مأواه ليلة الجمعة الزهراء ثانى عشر ربيع الأول بشهرزور الغراء فى قرية برزنج المحمية عام أربعين بعد الألف من الهجرة النبوية وفيها نشأ فى حجر والده ودلاله وكرع من منهل فضله وإفضاله وبه تخرج فى العلوم والمعارف وتحلى بلطائف المحاسن ومحاسن اللطائف وأخذ عن جماعة من الأساتذة الأفاضل والجهابذة الأماثل كالملا زيرك والعلامة الثانى الملا شريف الصديقى الكورانى ثم رحل إلى ماردين وحلب واليمن ودمشق الشام والروم ومصر وبغداد دار السلام وأخذ فى هذه البلاد عن كثير من العلماء الأمجاد ثم قدم طيبة الغراء ونزل فى ساحة جده أبى الزهراء صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وعظم فمدت له موائد البر والإحسان وخلعت عليه خلع الفضل والرضوان وصحب فيها العارف الربانى العلامة الشيخ إبراهيم الكورانى والفهامة التقى العارف بالله الشيخ أحمد القشاشى وأخذ

عليه طريقة القوم العلية الشأن وصار من سراة أعيان طيبة المشار إليهم بالبنان وتصدر للتدريس فى الروضة المطهرة وأينعت فيها أزهار فضائله الباهرة وانتفع به الأنام من الخاص والعام وترجمه العلماء بتراجم تكتب بماء الذهب ويتنافس بها المتنافسون من عجم وعرب منهم الذهبى فى نفحاته والعياشى فى رحلته والحموى فى نتائج الرحلة وفوائد السفر والمرادى فى سلك الدرر والسيد البيتى فى شذور الاكبير فى معرفة أعقاب البشير النذير وحكم بأنه من المجددين بعض العلماء الأفاضل وأحسن فى سرده أسماءهم نظما حيث قال ولله دره من قائل

حادى عشر قد كان برزنجى مجدداً وشرطه جلى

ولا بدع فانه كان واحد العلماء بفضله وعلمه وحسن رأيه وكان فطانته وفهمه راسخ القدم طويل الباع غزير الفضل كثير الاطلاع غواصا فى دقائق العلوم مستخرجا درر المنطوق والمفهوم ناشراً من مطويات عوارف المعارف ورايات البراعة ومالكا أزمة الفصاحة والبلاغة كريم الأخلاق جميل السيرة مهذب الطباع حسن السريرة قوى الجنان فصيح اللسان إذا قرر أخذ بالقلوب والأبصار وإذا حرر بهر العقول وحير الأفكار وإذا نثر أخجل النجوم الزواهر وإذا نظم أزرى بعقود الجواهر وإذا احتج أو ضح الحجة وإذا ناظر ألجم الخصم وجعل حجته حجه وبالجملة فقد كان حاويا من الفضائل ما يعجز عنها الناقل مع سكينة وتواضع وهمة وحمية ووقوف مع الحدود الشرعية وخوف من الله تعالى فى السر والاعلان وعلو مكانة ورفعة شأن لدى السلطان الأفخم والخاقان الأعظم مولانا السلطان ابن السلطان إبراهيم خان ولد أمراء أشراف مكة الأماثل المشار إلى رفيع قدرهم بالأنامل عرض عليه طيب الله ثراه قضاء مصر سبع سنين فأباه. زاهدا بالدنيا ورعا ورغبة بالآخرة وطمعا وفاح عبير فضله فى الآفاق ووقع على جلالة قدرة الاتفاق وأخذ عنه وزراء بنى عثمان وأكابر دولتهم الأعيان وكانت المسائل المشكلة ترد إليه من سائر الأقطار فى كثير من العلوم العقلية والنقلية ومذاهب الأئمة الأربعة الأخيار فيجيب عنها بأسرع زمان بأوجز لفظ وأعذب معنى

وأحسن بيان كأن جواهر المبانى ولطائف المعانى طوع يديه وتقول المعقول والمنقول مسطرة بين عينيه فيختار منهما ما تقر به العيون ويتنافس به المتنافسون وأعظم شاهد على أنه الآية الكبرى فى العلوم منطوقها والمفهوم ماله من التآليف العديدة والتصانيف المفيدة التى أتى فيها بالعجب العجاب وسحر بحسن تحريرها وتهذيبها الالباب فنها أنوار السلسبيل فى شرح أسماء التنزيل والضاوى على صبح فاتحة البيضاوى والمصطلح على ألفية السيوطى فى المصطلح والنوافض للروافض ومرقاة الصعود فى تفسير أوائل العقود وهذا الكتاب المسمى بالاشاعة فى اشراط الساعة والجاذب الغيبى إلى الجانب الغربى وخالص التلخيص وتحصيل الامام والنفحة الفائحة وسداد الدين فى الدرجات والنجاة للوالدين وغير ذلك مما يبلغ تسعين مؤلفا ما بين مطول ومختصر ومنظوم ومنثور كنثر الدرر توفى رحمه الله تعالى بالمدينة المنورة سنة مائة وثلاثة بعد الألف من هجرة من له كمال العز والشرف عليه أفضل الصلاة والتسليم ظهر يوم الإثنين فى داره بزقاق القشاشى وكان له مشهد عظيم ودفن بالبقيع فى المقبرة الشهيرة بمقبرة السادة البرزنجيين بين قبة سيدنا العباس وأهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين وله عقب مبارك أكثرهم من العلماء ذوى الفضائل الباهرة يتداولون فتوى الشافعية فى المدينة المنورة وبرزنج بفتح الباء قرية أنشأها القطب الربانى الجد الثامن لصاحب الترجمة مولاى السيد عيسى الكورانى باشارة نبوية فى رؤية منامية وفيها رفع الله له ذكره وشد بأخيه السيد موسى أزره فتعاونا على البر والتقوى فبنيا فيها مسجدا ظهر لهما فيه منقبة قصوى جديرة بأن تذكر وتكتب بالمسك الاذفر وهى أنه لما قصر عليهما جذع من جذوعه أخذا بطرفيه وقالا بسم الله ومداه فامتد بأيديهما باذنه جل وعلا وفى ذلك يقول صاحب الترجمة عليه من الله تعالى سوابغ الرحمة .

جذعان يشهدان بمجدى جذع هنا قد كان حن لجدى
ثان ببرزنج بمسجدها الذى موسى وعيسى أسساه بجد
جدى وعمى امتد فى أيديهما أعظم بخارق جذعنا الممتد
من لم يصدق فليسل من ههنا من أهل بلدتنا فيكسب ودى

وقد أفاد بعض المترجمين الأعيان أن قصة امتـداد الجذع ذكرها حامل لواء العرفان مولانا المحقق أبو السعود مفتي الديار الروميـــــة في كتابه روضات الجنان

وصلى الله على سيـــــدنا محمد

وعلى آله وأصحابه وعشيرته

وأحبـــــابه

آمين

(تم بحمـــــد الله تعالى)

فهرس

كتاب الاشاعة لإشراط الساعة

صفحة

صفحة



يطلب من
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
ص.ب ١١/٩٤٢٤